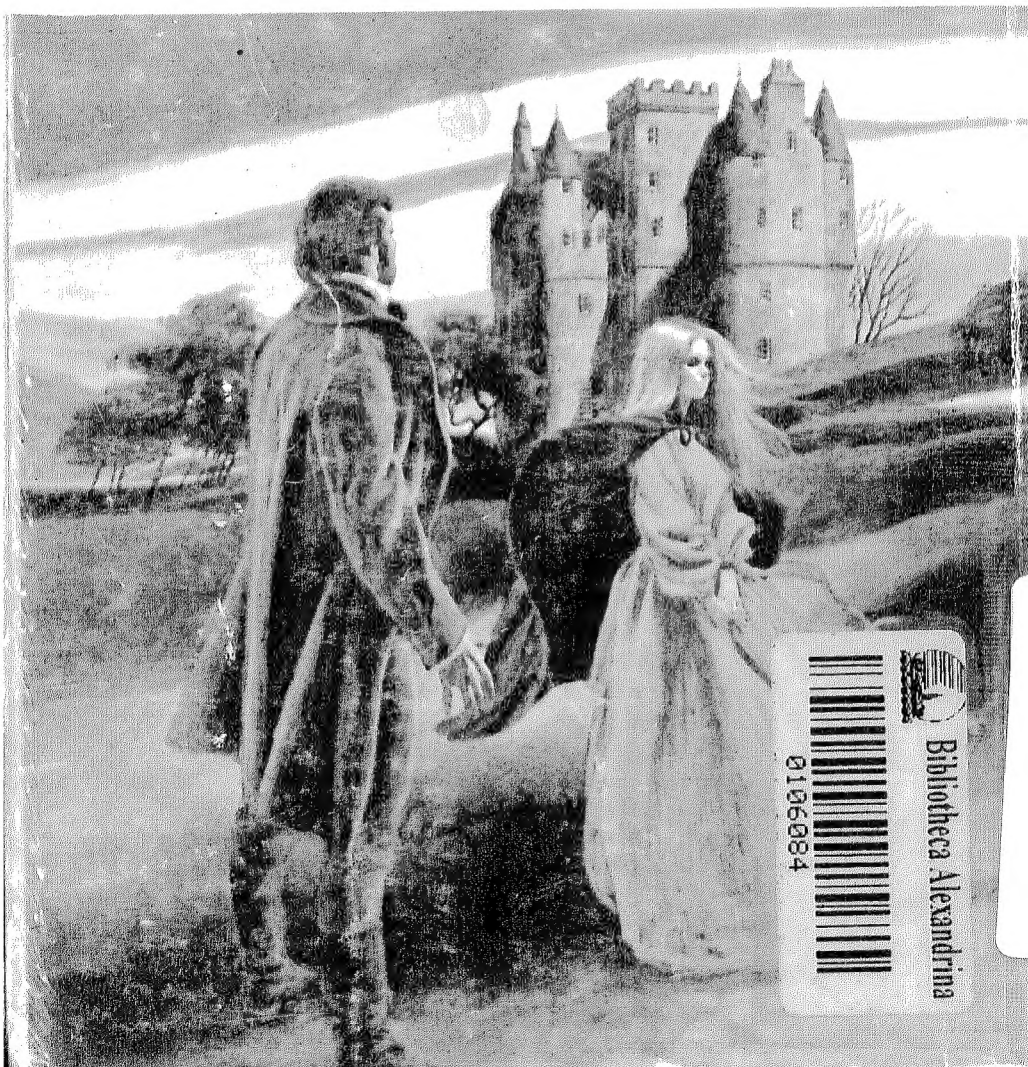


# الكونت دي مونت كريستو

المتحف القبطي للكتاب

اسكتة قمار



Bibliotheca Alexandrina



0106084







الكونت دي مونت كريستو



# الكلية دي مؤنت كريستو

اسكندر توماس



General Administration of the Alexandria Library (GAL)

د. فؤاد فيريد

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف : 843	منشورات
(ن. ١٥١)	
رقم التسجيل : ٢٩٤٨٣	المكتبة الحديثة
بيروت	

دار الشرف العربي - بيروت





## مؤلف الرواية



لقبوه « بالكبير » تمييزا له من ابنه الذي يحمل اسمه نفسه «اسكندر دوماس» . وقد ولد سنة ١٨٠٢ في قرية فرنسية تدعى « فيلير - كوترية » وقضى بها أعوامه الأولى خاملا ، ثم انتقل الى باريس وعمل في مكتبة دوق أورليتز . ثم اتصل بالبارون « تايلور » ومن طريقه عرف وكيل نيابة اسمه « فيلناف » كان قبل الثورة الفرنسية يكتب في كثير من الصحف ، فاتخذته أستاذا ومرشدا

ويعد اسكندر دوماس الكبير أكثر الكتاب الروائيين انتاجا ، وقد ترجمت رواياته الى أكثر اللغات الحية ، ومن أشهرها رواية « الكونت دي مونت كريستو »

واشتهر طول حياته بالاسراف الشديد ، حتى لقد حجز الدائنون على متاعه أكثر من مرة برغم كثرة ما كان يربحه من مؤلفاته . على أنه مع ذلك كان دائم الفكاهة والابتسام ، لا يبالي ما يقع فيه من الازمات المالية ، ويتلقاها بالسخرية التي كانت من لوازمه

وقد روى ابنه أنه قال له يوما : « انك يا أبى كأنما ترمى أموالك من النافذة » . فأجابه : « لا بأس ! . فهناك من يلتقطونها ! » . وقال لصديق له عاتبه على اسرافه : « كيف أكون مسرفا مع أنني جئت الى باريس وليس معى سوى قطعة ذهبية واحدة ما زلت محتفظا بها حتى الآن ؟ ! »

وطلب اليه يوما أن يساهم في التبرع بنفقات جنازة أحد المحضرين ، فترجع بضعف المبلغ المطلوب قائلا : « هذا لكى تدفنوا اثنين من المحضرين بدلا من واحد ! »

وذهب ذات ليلة الى مسرح الكوميدي فرانسيز لمشاهدة تمثيلية شعرية لصديقه « اسكندر سوميه » . وهناك رأى أحد النظارة نائما فلقت اليه نظر المؤلف مداعبا . ثم حدث فى الليلة التالية أن كانا فى المسرح يشاهدان تمثيلية له هو ، فلقت سوميه نظره الى متفرج نائم فى المكان نفسه فأجابه قائلا : « هذا الشخص هو نفسه الذى رأيته أمس لم يستيقظ بعد ! »



## الربان الشاب

فى يوم ٢٤ فبراير سنة ١٨١٥ سجل فنار « نوتردام دى لاجارد » اقتراب السفينة «فرعون» من الميناء قادمة من أزمير ، فترستا ، ف نابولى . . .  
وحين دارت السفينة حول جزيرة « قصر ايف » خرج قائدها الى ظهرها ، وسرعان ما امتلأت أرصفة « سان جرمان » بالمتفرجين . ولم ينتظر أحدهم وصول السفينة الى الميناء ، فقفز الى زورق صغير وانطلق به الى عرض البحر للقائها هناك

وكان على ظهر « فرعون » شاب يقف الى جوار قائدها فلم يكدهم يلمح راكب الزورق حتى ترك موقفه ومضى مسرعا الى حاجز السفينة حيث أطل منه ملوحا بقبعته فى صمت

كان شابا وسيما ، طويل القامة نحيفها ، تتراوح سنه بين الثامنة عشرة والعشرين ، ذا عينين سوداوين وشعر فاحم فى لون جناحي الغراب . . . وفى هيئته العامة ما يدل بوضوح على الهدوء والعزم المألوفين فى الرجال الذين تمرسوا بالاخطار منذ نعومة أظفارهم

وصاح به الرجل الذى فى الزورق وهو يدنو من السفينة :

— أهذا أنت يا ادمون ؟ ماذا جرى ؟ ما سبب هذه الكتابة التى تبدو عليك ؟

فأجاب الشاب : « لقد أصبنا بخطب جلل يا مسيو موريل . فقد فقدنا عند ( سيفيتا فيشيا ) قائدنا الشجاع الكابتن ليكلير . مات متأثرا بالحمى المخية ، وكان منظر احتضاره رهيبا يفتت الأكباد . . . والآن حين تصعد الى السطح سوف تجد فى خدمتك مسيو دانجلر العامل المنوط به شحن السفينة ، وسوف يتكفل بكل ما تريد ! »

وأمسك المسيو موريل ، وهو صاحب السفينة ، بالحبل الذى دلى اليه ، ثم تسلقه الى ظهرها

وكان دانجلر شابا فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ، ذا وجه منفر . . . وكان مكروها من البحارة بقدر ما كان ادمون دانتيس محبوبا منهم . . . فلما رأى صاحب السفينة ابتدره قائلا :

— هل سمعت يا مسيو موريل بالخطب الذى وقع ؟ لقد كان القبطان ليكلير التعس بحارا من الطراز الاول ، وهذا ما أهله لان يضطلع بقيادة سفينة تابعة لمؤسسة لها مكانتها مثل مؤسسة « موريل وولده » !

فقال له المسيو موريل وهو يرمق ادمون دانتيس بنظرة ذات معنى :  
- هذا صحيح ، ويلوح لى أيضا أن صديقنا ادمون - نائب القبطان -  
يفهم تلك التبعة جيدا !

فقال دانجلر وهو يحدج زميله ادمون بنظرة تفيض بالكراهية :  
- نعم يا سيدى ، ولهذا لم يكد القبطان يلفظ نفسه الاخير حتى تولي  
هو القيادة دون أن يستشير أحدا ، ثم مكث بالسفينة يوما ونصف يوم فى  
جزيرة ( البا ) بدلا من القدوم الى مارسيليا مباشرة !

وهنا قال دانتيس مبرا موقفه : « ألتمس المذرة يا مسيو موريل ..  
وعلى أية حال فالسفينة الآن تلقى مراسيها ، وأنا فى انتظار ما تأمر به ! »  
فقال موريل : « ا ت أريد الا أن أعرف لماذا توقفت فى جزيرة البا ؟ »  
فأجاب دانتيس : « كان ذلك استجابة لآخر تعليمات القبطان ليكلير ،  
فقد أعطانى وهو يحضر طردا صغيرا كى أوصله الى المارشال برتران ! »

- لقد فعلت الصواب يا دانتيس بتنفيذك وصية القبطان ليكلير والتوقف  
فى البا ، ولو أن ذلك قد يجلب عليك المتاعب فيما لو علمت السلطات انك  
قد حملت طردا الى المارشال !

- وكيف يجلب ذلك على المتاعب يا سيدى ، وأنا لم أعرف شيئا عن  
محتويات الطرد الذى حملته ؟

- هل لك أن تأتى لتناول العشاء معنا ؟

- شكرا لك يا سيدى على هذا الشرف الذى تسبغه على ، لكنى أرجو  
التفضل بأعفائى من هذه الدعوة .. ان زيارتى الأولى ينبغي أن تكون لأبى  
- اذن فسوف ننتظرك بعد أن تفرغ من زيارة أبيك

واحمر وجه الضابط الشاب ، ثم قال وهو يغالب حياؤه :

- مرة أخرى أرى نفسى مجبرا على الاعتذار يا مسيو موريل ، فبعد  
الفراغ من هذه الزيارة تبقى أمامى زيارة أخرى أنا فى أشد الشوق الى  
القيام بها !

فابتسم صاحب السفينة وقال : « أنت على حق يا دانتيس .. ان هناك  
من تتقرب وصولك بلهفة لا تقل عن لهفة أبيك .. وأعنى بها «مرسيديس»  
الحسنة ! »

وهنا ازداد احمرار وجه دانتيس وقال فى تلثم : « أشكرك يا سيدى ،  
ولهذه المناسبة أرجو أن تسمح لى بإجازة لبضعة أسابيع »

فقال له المسيو موريل : « اذن أنت تعتزم اتمام زواجكما ؟ »

فاوما موافقا وقال : « وسنسافر بعد ذلك الى باريس »

فقال المسيو موريل : « حسنا ! .. لك الاجازة التى تريدها يا دانتيس  
على أن تعود بعد ثلاثة أشهر »

تم ربّ كنف الشاب واستطرد قائلا :  
- ان « فرعون » لا تستطيع أن تبهر بغر قبطانها !  
فضغط الشاب يد صاحب السفينة وقال وقد اغرورقت عيناه بالدموع  
لفرط تأثره : « آه مسيو موريل ! اننى أشكرك باسم أبى .. واسم  
مرسيدس ! »

وشد المسيو موريل على يد الشاب مهنئا ومودعا ، وقال له :  
- انك شاب كفؤ طيب القلب ولن أعوقك عن الذهاب الآن ، ولتصحبك  
السلامة !

وعلى أثر ذلك مضى دانتيس الى شارع ( دى نوای ) فى حي (لاكانابير)  
.. وهناك دخل منزلا صغيرا الى يسار ممر ( دى ميان ) . وصعد سلمه  
المعتم عدوا الى الطابق الرابع ، حيث تمهل أمام باب نصف مفتوح ، يرى  
الناظر خلاله جميع محتويات الحجرة التى يفضى اليها

وهناك فى تلك الحجرة كان يجلس والد دانتيس ، فما كاد يلح ابنه  
حتى أطلق صيحة فرح ، ثم خف الى استقباله واحتضنه مرتجفا من شدة  
الانفعال . ولحظ الشاب شعوب وجه أبيه فسأله فى انزعاج : « ماذا بك  
يا أبى العزيز ؟ هل أنت مريض ؟ أين تحتفظ بنبيذك ؟ »

فأجاب الشيخ المسن : « لا فائدة من الإنكار يا بنى .. لم يعد عندي  
نبيذ ! »

فتساءل دانتيس وقد شحب وجهه : « ماذا ؟ ليس عندك نبيذ ؟ هل  
كنت فى حاجة الى نقود يا أبى .. لقد أعطيتك مائتى فرنك حين رحلت  
منذ ثلاثة أشهر ! »

- نعم ، هذا صحيح يا ادمون ، لكنك نسيت الدين الصغير الذى كان  
علينا لجارنا « كادروس » الخياط .. لقد ذكرنى به وأندرنى ان لم أدفعه  
بان يطالب به المسيو موريل .. وهكذا خشيت أن يصيبك الرجل بأذى  
فدفعت له دينه ! ..

فقال دانتيس متعجبا : « دفعت كل الدين الذى فى ذمتى لكادروس ،  
دفعت مائة وأربعين فرنكا ! »

فتمتم الأب المسن موافقا ، بينما واصل دانتيس كلامه قائلا :  
- اذن فقد عشت ثلاثة أشهر بستين فرنكا ؟! ان هذا ليحزننى كثيرا  
يا أبى !

وسكت الشاب فجأة اذ سمع وقع خطى شخص قادم ، ثم ظهر «كادروس»  
عند الباب ، وكان شابا فى نحو الخامسة والعشرين من عمره تحيط بوجهه  
لحية سوداء ، وفى يده قطعة من القماش ينتهيا لحياكتها . ولم يكده يلح  
دانتيس حتى ابتدره قائلا : « أهذا أنت يا ادمون ؟ انك فيما سمعت  
مستمتع بالحظوة عند المسيو موريل فى هذه الايام . لكنك أخطأت برفض

دعوته الى العشاء ، فلكى يصير المرء قبطانا ينبغي أن يتقرب بالزلفى الى رؤسائه .

فأجابه دانتيس : « أرجو أن أصير قبطانا بغير هذه الوسيلة ! »  
فقال كادروس : « ان أصدقائك القدامى جميعا على أية حال ستسرحهم هذه الترقية وأنا أعرف يقينا من سيكون أشدهم سرورا ! »

فالتفت الأيب الشيخ الى الحياض متسائلا : « أتعنى مرسيديس ؟ »  
وسارع ابنه الى الاجابة قائلا : « نعم يا أبى العزيز ، ولهذا أرجو أن تأذن لى فى أن أذهب لزيارة أسرتها الآن »

فقال أبوه على الفور : « هذا واجب يسرنى أن تؤديه يا بنى العزيز .  
فلتبارك السماء لك فى زوجتك كما باركت لى فىك ! »

ثم عاتق الفتى أباه وأوما الى كادروس برأسه . . وغادر المسكن . . بينما مضى كادروس بعد لحظة ليلحق بصديقه البحار « دانجلر » ، الذى كان فى انتظاره ، فابتدعه هذا قائلا : « هيه ؟ هل أشار الى أملة فى أن يعين قبطانا ؟ »

فأجاب كادروس : « لقد تكلم عن هذا الأمر كما لو كان شيئا مقرورا ! »  
فغمغم دانجلر : « لو كان للانسان أن يختار ، لآثر الغبى أن يظل حيث هو ، بل لآثر أن يهبط درجة عن مرتبته الحالية ! »

ولما سأل كادروس عما يعنيه ، أجاب قائلا :

— لا شيء . ! كنت أحدث نفسى !

ثم تنهد واستطرد قائلا : « هل ما يزال يحب تلك الفتاة التى تنتمى الى عشيرة كاتالان ؟ »

فقال كادروس : « نعم ، انه ما زال يحبها بكل مشاعره . . ولكن اذا لم أكن مخطئا فسوف تنور عاصفة فى ذلك الحى . . فما من مرة رأيت فيها مرسيديس تأتى الى المدينة الا كان معها شاب أسمر طويل القامة ، مفتول العضلات ، فاحم العينين ، تبدو عليه الشراسة . . وهى تدعوه بأبن العم ! »  
فسأله دانجلر : « متى يذهب دانتيس لزيارة فتاته ؟ »

فأجاب . « لقد انطلق لأداء هذه المهمة قبل أن أحضر اليك مباشرة ! »  
فقال له : « اذن . . يحسن أن نمضى الآن الى هناك لنجلس فى حانة (لاريزرف) حيث نشرب قدحا من نبيذ (مالقا) وننتظر ما يجد من الانباء! »

## اتهام خطير

كانت القرية التي تقطنها عشيرة « كاتالان » تقع على بعد مائة خطوة من الحانة التي جلس فيها دانجلر وصديقه كادروس يحسبان التبيذ . وكانت هذه العشيرة الغامضة قد هاجرت منذ زمن بعيد من وطنها الاصلى « اسبانيا » واستقرت في تلك البقعة من الارض الشبيهة باللسان الممتد في البحر . وقد لبث القوم حوالي ثلاثة قرون او اربعة لا يختلطون بأهل مرسيليا ، وانما يتزاجون فيما بينهم ويحافظون على تقاليد بلادهم الاصلية ولغتها وزيتها

وفي بيت من بيوت تلك القرية ، كانت تجلس شابة حسناء ذات شعر فاحم كالقهرمان الاسود ، وعينين مثل عيني الغزال . وقد أسندت ظهرها الى الجدار . وعلى قيد ثلاث خطوات منها جلس على مقعد هناك شاب طويل في العشرين أو الثانية والعشرين من عمره ، وأخذ يحدها بنظرات ملؤها القلق والحيرة . ثم قال لها :

— ما هو ذا عيد الفصح قد اقترب مرة أخرى يا مرسيدس ، فعماذا ترين في مسألة زواجنا ؟

فقالت له الفتاة : « لقد أجبت عن هذا السؤال مائة مرة يا فرناند ، وما زلت أؤكد لك انى احبك كاخ ، وأرجو الا تسألنى أكثر من هذا الحب الاخرى ، لان قلبي ملك لا آخر أنت تعرفه وهو « ادمون دانتييس ! »

وهنا حدق فرناند في وجه الفتاة ثم سألها وهو يصر بأسنانه : « واذا فرضنا أنه مات فماذا يكون رأيك ؟ »

فقالت : « اذا مات ادمون فانى أموت أيضا ! »

وفي تلك اللحظة هتف صوت طروب من الخارج :

« مرسيدس ! مرسيدس ! »

فصاحت الفتاة وقد تورد وجهها غبطة وكادالحب يجعلها تقفز من مكانها: « آه ، هذا هو ! »

وعندئذ اندفع فرناند الى الخارج وقد شحب وجهه وارتجفت أوصاله . وهاهنا يحدث نفسه وهو يعدو ويشد شعر رأسه كالجنون « آوه ، من يخلصنى من هذا الرجل ؟ يا لى من تعس ! »

وفيما هو كذلك سمع صوتا يساديه : « فرناند ٠١ فرناند ٠١ الى أين نعدو هكذا ؟ »

فتوقف الشاب فجأة ونظر حواليه . فرأى كادروس حالسا مع دانجلر الى منصدة تحت تكسية خشبية خارج الحانة المجاورة للمنزل وقال كادروس وهو يوميء الى صديقه : « أترى يا دانجلر ٠٠٠ ان فرناند شاب شجاع طيب من عشيرة كانالان ، وهو يحب فتاة تدعى مرسيدس ٠٠ ولكن يبدو أن هذه الفتاة تحب نائب قبطان السفينة فرعون ! »

فقال فرناند : « ان الأمر يكاد يدفعني الى هاوية اليأس » فقال له كادروس : « لماذا تستسلم لليأس بدلا من أن تفكر في حل لمشكلتك ٠ لم أكن أعتقد أن هذا دأب عشيرتك !؟ »

فزفر فرناند زفرة حرى وقال :  
— اني على استعداد لان أطعن خطيبها ذاك بسكين ، لكنها أكدت لي أنها لو وقع له أى مكروه فستقتل نفسها !

وهنا قال دانجلر : « هناك حل ناجح لا يقل أثره عن أثر موت ذلك الخطيب ٠٠ لو أن جدران السجن مثلا حالت بين ادمون ومرسيدس ، لآدى هذا الى انفصالهما ومنع زواجهما ٠٠ وهكذا ترى أن لا حاجة بك الى قتله ! »  
فتنهذ فرناند مرة أخرى وقال : « ومن لي بالوسيلة التي تكفل اللقاء دانتيس في غياهب السجن ؟ هل لديك هذه الوسيلة ؟ »

فقال : « يخيل الى أنه بعد رحلة كالتي قام بها أخيرا ، وعرج فيها على جزيرة ( البا ) يمكن بسهولة أن تزج به السلطات الملكية في السجن بتهمة أنه من أتباع بونابرت ! »

فهتف فرناند متحمسا : « حسنا ! ٠٠ سأشى أنا به الى السلطات الملكية » فقال دانجلر مقاطعا : « كلاً ! ٠٠ لو قررنا اتخاذ هذه الخطوة لكان الافضل أن نأخذ هذه الريشة — كما أفعل الآن — ونغمسها في هذا الحبر ، ثم نكتب الاتهام الذى نتفق عليه باليد اليسرى ، كيلا يعلم أحد . بأن لنا يدا في الأمر ! »  
ثم كتب دانجلر بيسراه السطور التالية ، وقراها بعده فرناند بصوت هامس :

« من صديق للعرش والدين الى فخامة النائب العام لصاحب الجلالة الملك ٠٠ ان من يدعى ادمون دانتيس ، نائب قبطان السفينة ( فرعون ) وصل هذا الصباح قادما من أزمر بعد أن مر بنابولي وبورتو فيراجو ٠ وقد عهد اليه ( مورا ) في مهمة حمل خطاب الى الغاصب ( نابوليون بونابرت ) ٠٠ كما عهد اليه هذا الغاصب حين اجتمع به في حمل رسالة منه الى جماعة من أنصاره ذوي الخطر في باريس ٠٠ وسوف تجدون الدليل الذى يثبت هذه الجريمة عند القبض عليه ، لان خطاب الغاصب ما زال عنده ، أو عند أبيه ، ان لم يكن في غرفته الخاصة بالسفينة ! »



ثم قال دانيجلر معقبا : « هذا عظيم ! » والآن يبدو انتقامك معقولا ، فهو لا يمكن أن يرتد اليك . وما علينا الآن الا أن نغلف هذا الخطاب ، ثم نكتب على المظروف ( الى النائب العام لصاحب الجلالة ) وبذلك ينتهى كل شيء ! »

وما أتم دانيجلر عبارته حتى كان قد انتهى فى الوقت نفسه من كتابة العنوان . . . بينما قال كادروس مؤكدا : « نعم ، وبذلك ينتهى كل شيء ! »

وكان هذا قد استطاع باجهد قواه الذهنية الى آخر ما تحتل أن يتابع عبارات الخطاب أثناء تلاوة فرناند اياه ويفهم مدى فظاعة النتائج التى قد يفضى اليها الاتهام . . . فعاد يكرر قول صديقه دانيجلر : « نعم ، بذلك ينتهى كل شيء ! لكنها تكون فعلة دنيئة تجلب العار ! »

ثم مد الرجل يده محاولا انتزاع الخطاب من يد دانيجلر ، فلم يمكنه هذا من الوصول اليه وقال له وهو يبعد الخطاب من متناول يده : « ان الامر مزاح ، وانى لأول من يحزن اذا وقع أى مكروه لصديقنا الهام دانتيس ! وعلى هذا فما أنذا أمزقه وأقذف به الى الارض بين المهملات والقاذورات ! »

ثم نهض دانيجلر بعد أن ألقى الخطاب فى ركن من أركان الحانة ، وأخذ طريقه ومعه صديقه كادروس عاكدين من حيث جاءا . وبعد أن مشيا خطوات التفت دانيجلر الى الخلف فرأى فرناند يلتقط الخطاب ويضعه فى جيبه ثم يمضى نحو المدينة !



## زفاف الى السجن

أعدت العدة فى اليوم التالى لزفاف مرسيدس الى دانتيس ، وهناك فى الطابق الثانى من حانة القرية التى اجتمع فيها المتآمرون فى اليوم السابق ، امتلأت الشرفة بالمدعوين الى المأدبة قبل أن يحين الموعد المحدد لها بساعة كاملة ٠٠ وكانوا خليطاً من بحارة السفينة « فرعون » زملاء دانتيس ، وليفى من خاصة أصدقائه ، وقد ارتدى الجميع أحسن ثيابهم

وحينما لاح موكب العروسين هبط المسيو موريل ليستقبله ، امعانا فى تكريم القبطان الجديد ، فى أسعد مناسبات حياته ، وتبعه جمع من الجنود والبحارة ، وكانوا قد علموا منه نبأ اختيار « دانتيس » قبطاناً للسفينة فرعون خلفاً للقبطان ليكلير ، فتضاعفت فرحتهم بهذا الاختيار



وحين بلغت العروس منتصف المائدة الكبرى وقفت والتفتت الى أبيها قائلة : « أرجو أن تكرم يا أبى بالجلوس الى يمينى » ، ثم أومأت الى فرناند بابتسامة لطيفة وقالت : « أما عن يسارى فساجلس ذلك الذى طالما كان بمثابة أخ لى ! »

وكانما أثارت عبارتها وابتسامتها اللواعج الكامنة فى صدر الفتى فشحب وجهه على أثر ذلك شحوباً مخيفاً وتقلصت شفثاه ، وبدا فى منتهى الاضطراب !

وهناك فى الجانب الآخر من المائدة كان دانتيس بدوره يتولى معاونة ضيوفه الممتازين على الجلوس ، فأجلس المسيو موريل الى يمينه ، ودانجلر الى يساره ٠٠ ثم أوما الى بقية المدعوين فجلسوا حيثما راق لهم أن يجلسوا وفيما هم يأكلون قال دانتيس يخاطبهم :

— أى أصدقائى الأعزاء ٠٠ يسرنى أن أخبركم أننا بفضل نفوذ المسيو موريل حصلنا على إذن بالتجاوز عن المهلة القانونية المشروطة لعقد القران ، وعلى هذا سوف ينتظرنا عمدة مارسيليا فى الساعة الثانية والنصف فى قاعة البلدية ٠ أى بعد حوالى ساعة ، ولن تمضى ساعة أخرى حتى يتم الزواج ٠ وفى صباح غد أسافر الى باريس لانجاز المهمة الموكولة الى ، وسوف أعود الى هنا فى أول مارس ، وفى اليوم التالى أقيم المأدبة الحقيقية



وساح وكيل النيابة : « ادمون دانتيس .. اى أبيض عليك باسم القانون »

للزواج ، حيث يسعدني أن أدعوكم جميعا اليها منذ الآن !  
وبعد حين سمع صوت مرسيدس العذب وهي تقول :  
— هلا تحركنا ؟ لقد دقت الساعة الثانية ، ولم يبق الا ربع ساعة على موعد الذهاب الى البلدية !  
وفي تلك اللحظة سمعت على الباب ثلاث طرقات ٠٠ وصاح صوت عال من الخارج : « افتحوا باسم القانون ! »  
ثم فتح الباب ، ودخل منه محقق من وكلاء النائب العام ، يتبعه عدد من الجنود ، وصاح المحقق على الفور :  
— ادمون دانتيس ، اني اقبض عليك باسم القانون ٠٠! وسوف تملن بالاسباب التي دعت الى ذلك في بداية التحقيق !  
وساد القاعة على أثر ذلك سكون رهيب ، ثم هبط دانتيس السلم خلف المحقق يتبعهما الجنود ٠٠ وكانت أمام الباب عربة استقلها برفقة المحقق واثنين من الحراس ٠٠ ثم درجت بهم العربة عائدة الى مارسيليا  
وصاح المسيو موريل ببقية المدعويين قائلا :  
— انتظروني هنا جميعا ، سأهرع الى مارسيليا ثم أعود لانيتمكم بالخبر اليقين عن تطور الامور  
وفي الوقت نفسه كان القاء القبض على دانتيس موضع تعليقات مختلفة اللهجة من جانب بعض المدعويين ، فقال أحدهم يسأل دانجلر : « وما رأيك في هذا الحادث ؟ »  
فأجاب دانجلر : « أعتقد أن دانتيس لابد قد اتهم بتهريب مادة تافهة من المواد الممنوع دخولها الى هذه البلاد »  
وهنا قال والد الشاب في صوت متهدج : « الآن تذكرت ٠٠ لقد ذكر لي ابني المسكين أمس أنه أحضر لي صندوقاً صغيراً من البن وآخر من التبغ » وأخيراً هتف واحد من المدعويين كان مطلاً من الشرفة :  
— أخبار طيبة ! أخبار طيبة ٠٠! هذا هو المسيو موريل قد عاد . لا شك الآن أننا سنسمع منه نبأ الافراج عن صديقنا دانتيس !  
وهرعت مرسيدس والوالد الشيخ ليستقبلا صاحب السفينة عند الباب ويستطلعا منه الانباء ٠٠ لكن هذا خاطب الحاضرين بقوله في لهجة جادة :  
« ان الأمر قد اتخذ اتجاهاً أخطر مما كنت أظن أيها الاصدقاء » ان دانتيس متهم بانتماؤه الى حزب بونابرت ! »



في الوقت الذي جرت فيه تلك الاحداث المتلاحقة في مادة زفاف مرسيدس الى دانتيس ، كانت هناك في أحد القصور الارستقراطية الواقعة

فى شارع «جران كور» تجاه نافورة «ميدوزا» حفلة زفاف أخرى ، يشهدها جمع من صفوة المجتمع الرفيع فى مرسيليا

وفى هذه الحفلة نهض رجل مسن يحل صدره بصليب « سان لويس » ، مقترحاً شرب نخب صحة الملك لويس الثامن عشر . ولم يكن ذلك الشيخ سوى المركيز دى سانت ميران . وكانت المركيزة زوجته امرأة ذات وجه عيوس ومظهر مترف جليل ، برغم الخمسين سنة التى انصرفت من عمرها . . . فقالت معلقة :

- آه ، لو كان أولئك الثوريون هنا الآن لما استطاعوا الا أن يعترفوا بأن الملك هو حقاً راعيها « لويس المحبوب » بينما غاصبهم التعسك كان دائماً وسوف يكون فى كل حين عبقرهم الشرير « نابليون اللعين » . . . الست على حق يا ميسيو فيلفور ؟

والثفت هذا الى المركيزة حين سمعها تذكر اسمه وقال فى هدوء :

- أسألك المعذرة يا سيدتى ، اننى فى الواقع ، واعتذر مرة أخرى عن ذلك ، لم اكن أتتبع النقاش !

وهنا قالت « رينيه دى سانت ميران » وهى شابة حسنة يكلل هامتها تاج من الشعر الكستنائى الجميل وتزين وجهها عيناان كأنهما تسبحان فى بللور سائل :

- لا بأس يا أمى العزيزة . . . لقد كنت أنا المسئولة عن شغل انتباه الميسيو دى فيلفور بحيث لم ادعه يصغى الى حديثك . . . والآن يا ميسيو دى فيلفور ، دعنى أذكرك بأن أمى تخاطبك !

وعلى أثر ذلك عادت الام تكرر رأيها فقالت : « كنت أقول يا فيلفور ان أنصار بونابرت ليس لهم حماستنا وتفانيها فى الاخلاص ،

فقال الشاب : « ان لهم مع ذلك ما يعتبر عوضاً عن هذه الصفات الرائعة ، وأعنى بذلك تعصبهم لسيدهم الى أقصى حد . . . ان نابليون يكاد يكون معبود أتباعه ، وليس هذا لأنه زعيم ومشرع للقوانين فقط ، بل لأنه نموذج مجسم للمساواة ! »

- هل تعلم يا فيلفور أنك تتكلم بلهجة ثورية مخيفة ؟ لكنى أعذكرك ! - فمن المستحيل أن نتظر من ابن الجيروندى أن يكون معصوماً من آثار الحمرة القديمة ! »

وعندئذ اصطبغ وجه فيلفور بحمرة القرمز ، ثم أجاب محدثته قائلاً « صحيح يا سيدتى أن أبى كان من أنصار الجيرونديين ، لكنه لم يكن بين أولئك الذين صوتوا طالبيين اعدام الملك . . . أما عن نفسى فقد وضعت جانباً كل اعتبار ، حتى اسم أبى ، وتنصلت من مبادئه السياسية . . . لقد كان - بل يحتل أنه ما زال حتى الآن من أتباع بونابرت ، وهو يسمى نفسه ( نوارتييه ) . . . أما أنا فعلى العكس منه ملكى متحمس ، وقد خلعت على

نفسى لقب دى فيلفور ٠٠ وعلى كل حال فلندع مخلفات الوباء الثورى حتى تذهب وتزول من تلقاء نفسها ! »

فأجابته المركيزة : « من صميم قلبى أرجو أن ينسى الماضى الى الأبد . وكل ما أطلبه أن يكون دى فيلفور فى المستقبل حازما لا يلين فى مبادئه السياسية . ولتثق بأنه لو وقع فى يدك أى شخص متآمر على الحكومة فإن واجبك يقضى بأن تعاقبه عقابا صارما ، ولاسيما أنك معروف بالانتماء الى أسرة كانت من أنصار الجيرونديين ! »

فقال فيلفور : « اننى يا سيديتى ، بحكم مهنتى والزمن الذى نعيش فيه ، مضطر الى أن أكون صارما . لقد توليت توجيه محاكمات علنية عدة بنجاح تام ، وأوقعت بالمعتدين العقاب الذى يستحقونه ، لكننا لم نقض على الخطر بعد ! »

وهنا هتفت حسناء شابة ، هى ابنة الكونت سالفيو والصديقة الحميمة للآنسة دى سانت ميران :

— أواه ! بريك يا مسيو دى فيلفور حاول عقد بعض المحاكمات الكبيرة أثناء وجودنا فى مارسيليا ، فانى لم أدخل محكمة فى حياتى ، ويقال انها متعة مسلية !

فأجاب الشاب : « نعم انها تكون مسلية بلا شك ، اذا اعتبرنا مشاهدة مآسى الحياة تسلية ! » وعلى كل حال كونى على ثقة من أنه لو سنحت أية فرصة قريبة فلن أتردد فى دعوتك لكى تحضرى إحدى المحاكمات ! »

وفى هذه اللحظة دخل خادم وهمس فى أذن فيلفور ، فنهض هذا معتذرا من مغادرة القاعة قليلا ، لعمل طارئ ، ثم عاد بعد لحظات متهلل الوجه ، وقال ردا على استفسار من الآنسة دى سانت ميران :

— لقد دعيت لتولى التحقيق فى مسألة خطيرة قد تنتهى على يد الجلاد ، وإذا صحت المعلومات التى تلقيتها فإن هناك مؤامرة «بونابرتية» ، وسأقرأ لكم الخطاب الذى حوى الاتهام

ثم تلا عليهم الرسالة التى أعدها دانجلر وكادروس وفرناند فى حانة القرية ، متهمين فيها ادمون دانتييس بالمرور على جزيرة ( البا ) حيث يقيم نابليون منفيا ، وتوصيل رسالة إليه ! ولم يكده فيلفور يفرغ من القراءة حتى هتفت الفتاة « رينيه » مصفقة وهى ترنو لحطبتها فى لهفة واشفاق :

— أوه يا فيلفور ، كن رحيما فى يوم خطبتنا هذا !

فأجابها هبتسما : « ارضاء لك يا عزيزتى رينيه ، أعدك بأن أظهر كل التسامح الذى فى طاقتى ، ولكن اذا كانت التهمة ثابتة على هذا المتآمر البونابرتى فينبغى أن تأذنى لى فى أن أقدم رأسه للمقصلة ! »

وغادر فيلفور المكان على الفور قاصدا الى بيته ، الملحق بقصر العدالة ،

وهناك جلس الى مكتبه مكتئبا ٠٠ وبعد لحظة أدخل عليه دانتيس ، وقال  
فى هدوء ردا على سؤال المحقق : « اسمى ادمون دانتيس »

— هل خدمت فى عهد الغاصب ؟

— كنت على وشك الانخراط فى سلك البحرية الملكية حين سقط بونابرت  
وعندئذ خاطبه فيللفور وهو يخرج الخطاب من جيبه ويعرضه عليه :  
« سيدى ، هل تعرف لك أعداء ؟ »

فأجابه هذا بعد أن قرأ الخطاب ، وقد غامت على وجهه سحابة قاتمة :  
« كلا يا سيدى ! لست أعرف هذا الخط »

ثم أضاف وهو ينظر الى المحقق نظرة امتنان :

— انه لمن حسن حظى أن يحقق معى رجل مثلك ، فهذا الخطاب لا يصدر  
الا من عدو حاسد !

فقال له فيللفور : « الآن حدثنى بصراحة ، حديث الرجل الى رجل يهتم  
بأمره : أى نصيب من الحقيقة فى الاتهام الوارد فى هذا الخطاب المجهول  
المصدر ؟ »

فأجاب دانتيس : « لا شئ البتة ! سأروى لك الوقائع على حقيقتها ٠٠  
عندما غادرنا نابولي أصيب القبطان ليكلير بحمى مخية ٠ وفى نهاية اليوم  
الثالث اذ أحس بدهر أجله استدعانى وقال لى : ( يا عزيزى دانتيس ، أقسم  
أمامى لتؤددين المهمة التى سأكلفك بها ٠٠ ان قيادة السفينة سوف تؤول  
إليك بعد موتى ، بوسفك نائبى ، وأنا أريد منك أن تعرج بالسفينة على  
جزيرة البيا ، وأن تهبط الى البر فى ميناء ( بورتو فيراجو ) ثم تسأل عن  
مكان الماريشال الاكبر وتسلمه هذا الخطاب ، وإذا أعطاك ردا عليه خطابا  
آخر فلتحمله الى حيث يطلب منك ٠٠ ولتذكر دائما أن رغبات الانسان  
المحتضر مقدسة ، علاوة على أن الرغبات الاخيرة الصادرة الى بحار من رئيسه  
تعتبر بمنابة الأمر ! ) ٠٠ وهكذا أبحرت الى جزيرة البيا ، وهناك أمرت جميع  
البحارة بالبقاء على ظهر السفينة ونزلت وحدى الى البر ، وسلمت الرسالة  
للماريشال الاكبر ، فزودنى برسالة لأحملها الى شخص فى باريس ! »

فقال فيللفور على الفور : « اذا كنت قد ارتكبت ذنبا فهو ذنب عدم  
المحبة ، الذى جعلك تطيع أوامر رئيسك ٠٠ فلتنهمل أمر الخطاب الذى  
أحضرتة من البيا ، وعدنى بشرفك أن تحضر متى استدعيناك ، والآن اذهب  
الى أصدقائك ! »

فتساءل دانتيس فرحا : « اذن فأنا مطلق السراح يا سيدى ؟ »

فقال فيللفور : « نعم ، ولكن أعطنى ذلك الخطاب أولا ! »

فأجاب : « لقد أخذه منى حين فتشونى ، وها أنذا أراه ضمن الاوراق  
التي أمامك ! »

ثم تناول دانتيس قبعته وقفازيه وهم بالخروج ، لكن المحقق استوقفه قائلاً : « انتظر دقيقة ٠٠ الى من كتب الخطاب ؟ »

فقال : « الى ميسو نوارتييه ، بشارع كوك هيرون بباريس ! »  
ولو أن صاعقة سقطت فى الحجرة ، لما كان ذهول فيلفور أشد منه لدى سماعه هذا الاسم ٠٠ فقد شحِب وجهه شحوبا مخيفا ، ثم سأل محدثه : « هل أطلعت أحدا على هذا الخطاب ؟ »

فأجاب : « كلا يا سيدى ! وأقسم بشرفى !

— أليس لك علم بشئ مما فيه ؟

— كلا ٠٠ وأقسم بشرفى يا سيدى !

وغمغم فيلفور محدثا نفسه : « آه لو علم محتويات هذا الخطاب . وأن نوارتييه هو الذى ، اذن لهلك ! »

ثم أضاف محدثا دانتيس : « لم يعد فى وسعى يا سيدى — كما كنت أوُمل — أن أطلق سراحك فورا ، لكننى سأجاهدكى أجعل مدة اعتقالك أقصر ما يمكن ، ذلك لأن التهمة الرئيسية ضدك هى هذا الخطاب ، وسترى الآن ما أنا صانع به »

ثم اقترب من المدفأة ، وألقى الخطاب فى النار ، وانتظر حتى احترق عن آخره ، ثم قال مستطردا : « ها أنت ذا ترى أنى أحرقت الخطاب ٠٠ وسوف أحجزك حتى المساء فى قصر العدالة ، فإذا استجوبك أحد غيرى فقل له ما ذكرته لى ولكن حذار أن تشير بحرف الى هذا الخطاب ، وثق بأنك ان أطلعت هذه التعليمات فلا ضير عليك قط ! »

فتنهذ دانتيس وقال : « اطمئن يا سيدى ، لن أشير اليه بحرف ! »  
واذ ذاك دق فيلفور الجرس ، فلما ظهر أحد الجنود على الباب همس فى أذنه ببضع كلمات ٠٠ ثم قال يخاطب دانتيس : « اتبعه » ٠٠ ولم يكد الباب يغلق بعد انصرافهما حتى ألقى فيلفور بنفسه متهاككا على مقعده وراح فى شبه اغماء ٠ فلما أفاق راح يحدث نفسه قائلا : « لو كان النائب العام موجودا فى مارسيليا اليوم لهلكت ، ولدمر هذا الخطاب اللعين كل آمالى ٠٠ أو اه يا أبى ، الى متى يظل ماضيك يعرقل مستقبلى ونجاحى ؟ »  
وفجأة أضاء وجهه خاطر مباغت ورففت على فمه ابتسامة ، وتحجرت عيناه من الانهماك فى التفكير ، وقال يحدث نفسه : « هذا يكفى ! من هذا الخطاب الذى كان سيقتضى على سوف أجمع ثروة من الملك ! ٠٠ والآن الى العمل الذى فى يدي ! »



أما دانتيس فقد خرج يتوسط حامية حراسه الى حيث كانت عربة تنتظر



فى الخارج فصعد سلمها وجلس بين اثنين من جنود البوليس ، بينما جلس فى مواجهتهم جنديان آخران ٠٠ ثم بدأت المركبة سيرها فوق الطريق المرصوف بالاحجار ٠٠ وحين وقفت آخر الامر طلب الحراس منه أن يهبط ، وتقدمه بعضهم الى رصيف يفضى الى البحر فأركبوه قاربا انطلق به فى الماء تدفعه مجاديف أربعة من البحارة !

وتساءل دانتيس : « الى أين تأخذوننى ؟ »

ولم يتلق أى جواب ، لكنه حين تطلع حواليه وقعت عينه على الصخرة السوداء الكثيبة التى يقوم عليها سجن قصر « ايف » ٠٠ وبدأ له القلعة الموحشة التى كانت مادة لأشنع الأساطير المخيفة خلال أكثر من ثلاثمائة عام !

وأحس دانتيس كأنه فى حلم ، وهو يصعد سلم القلعة ، ثم حين أغلق الباب الضخم بينه وبين عالم الأحرار ٠٠ بل انه لم يتنبه وهو داخل حتى الى المحيط ، ذلك الحاجز الرهيب الذى ينظر اليه المسجونون نظرة يأس بالغة ٠٠ وقاده حارس الى زنزانة تكاد تقع تحت مستوى الارض ، وكانت جدرانها العارية المبللة ببخار البحر كأنها مشربة بالدموع ، يضيئها مصباح خافت الضوء موضوع فوق كرسي صغير بغير ظهر ٠ وخاطبه الحارس قائلا : « هذه غرفتك التى ستقضى فيها الليلة ٠٠ فالوقت متأخر ، وحاكم السجن نائم ، وقد ينقلك غدا الى غرفة أخرى ٠٠ واليك طعامك من الخبز والماء ، وهو كل ما يستطيع السجناء أن يطعم فيه ٠ طابت ليلتك ! »

وبقى دانتيس وحيدا فى الظلمة والسكون ، يحس كأن أشباحا وظلالا تننفس على جبهته المتهبة ٠٠ وعند ظهور أول طلائع الفجر عاد اليه السجناء يحمل أمرا بترك السجناء حيث هو ٠٠ فوجد دانتيس واقفا فى الوضع الذى تركه فيه أول الليل ، وكأنما تحول الى تمثال جامد ، وقد تقرحت أجفانه من البكاء ٠٠ لقد قضى الليلة واقفا بلا نوم !

واقترب السجناء منه فلم يبد على دانتيس أنه تنبه الى اقترابه ٠٠ ثم سأله هذا : « ألم تنم ؟ »

فقال : « لست أدري ! »

فسأله : « أنت جائع ؟ » فكرر الاجابة نفسها ٠ وحينئذ سأله الحارس : « ألا تريد شيئا ؟ » فلما أجاب بأنه يريد أن يرى الحاكم ! ٠٠ هز السجناء كتفيه وغادر المكان صامتا بعد أن أغلق باب الزنزانة كما كان

وعندئذ انفجر دانتيس باكيا ، ثم ألقى نفسه على الارض وراح يسائل نفسه : « أية جريمة ارتكبتها حتى أعاقب على هذه الصورة ؟ »

وانقضى اليوم على هذا المنوال ٠٠ لم يكد يذوق طعاما ، وانما راح يدور فى الزنزانة كالوحش المحبوس ، ويلوم نفسه على أنه جلس ساكنا مستسلما فى الزورق أثناء نقله الى السجن ، فى حين كان يستطيع أن يقفز الى البحر

هيبيلخ الشاطىء بفضل براعته المشهود بها فى السباحة ٠٠ وهناك يخفى نفسه حتى تصل أية سفينة فيستقلها هاربا الى اسبانيا أو ايطاليا ، حيث يلحق به أبوه ومرسيديس

ولن يحيره التفكير فى الوسيلة التى يكسب بها عيشه هناك ، فالبحارة الاثناذ أمثاله يجدون ترحيبا حيثما حلوا ، وهو يتقن الايطالية والاسبانية كأبائهما !

وكاد يجن ندما على أنه وثق بوعد فيلفور ، فألقى بنفسه فى حلق فوق النقش المفروش على أرض الزنانة وأغمض عينيه لعله ينام !

وفى الصباح التالى دخل عليه السجن بصحبة جاويز وأربعة من الجنود، وقال السجن لهم على الفور : « هيا ٠٠ لقد أمر حاكم السجن بنقل هذا السجن الى الطابق الأسفل ، ليودع مع أمثاله من المجانين هناك ! »

وأمسك الحراس بدانتيس ، فتبعهم مستسلما ، وبعد أن هبط خمس عشرة درجة من السلم ، فتح أمامه باب قبو معتم ، ثم ألقى فيه وحده وأغلق الباب كما كان !

وتقدم دانتيس مادا ذراعيه فى الظلام الحالك حتى لمس الجدار ، فارتقى الى جواره يائسا وحدث نفسه قائلا : « حقا ٠٠ لقد صدق السجن ٠٠ ان الحيط الذى يفصلنى عن الجنون المطبق صار الآن أوهى من خيط العنكبوت ! »



## بارقة أمل

كان قد انقضى عام على استرداد الملك لويس الثامن عشر عرشه بعد هزيمة نابليون في معركة ووترلو

وذهب المفتش العام للسجون ليزور قصر « ايف » وسمع دانتيس وهو في زنزانيته يقبو ذلك السجن جلبة الاستعداد لزيارة المفتش العام فأدرك أن ثمة شيئا غير عادي يجري في عالم الأحياء ، وإن لم يدرك كنهه بالضبط !

وهبط الزائر السلم الى الطابق الأسفل ، المظلم الموحش ، فلم يملك أن هتف : « أوه ! من يستطيع أن يعيش هنا ؟ »

فأجابه حاكم السجن الذي يرافقه : « يعيش هنا متأمر خطر ، لدينا تعليمات متسدة بأن نراقبه بمنتهى الدقة والصرامة ، لجرأته وشدة بأسه ، وأنه الآن لا أشبه بمجنون ، ولن يمضي عام آخر حتى يكون جنونه قد اكتمل ! » وفي الزنزانة السفلى التي ستهبط اليها بسلم آخر لا يزيد طوله على عشرين قدما ، يوجد رهاب سجين كان يرأس أحد الأحزاب الإيطالية . وهو هنا منذ سنة ١٨١١ ، وقد جن بعد سنتين من دخوله السجن . وهو يضحك أحيانا ويبكي أحيانا . وقد نحل جسمه في البداية ، ثم بدأ الآن يمتلئ ويصير بدينا . ولعله يروك أن تراه ، فإن جنونه مسل الى حد كبير ! »

وفيما كان دانتيس مستلقيا في ركن من القبو سمع وقع خطي الباب ، ثم صوت المفتاح يدار في القفل ، فهب واقفا منربصا ، وما كاد المفتش يدخل حتى هتف يخاطبه في ضراعة تثير الاشفاق : « أريد أن أعرف أية جريمة ارتكبتها ؟ أريد أن أحاكم ، فإذا ثبتت ادانتى أعدم رميا بالرصاص ، والا أطلق سراحى »

فأجابه المفتش : « سوف نرى »

ثم التفت الى الحاكم وهمس قائلا : « ان حالة هذا المسكين تفتت قلبي ، ويجب أن تعرض على الادلة التي تثبت جريمته ! »

وخرج المفتش وأغلق الباب من جديد ، ولكن بقي مع دانتيس في زنزانيته هذه المرة رفيق جديد هو الأمل الذي بعثته في نفسه كلمات المفتش العام وسأل حاكم السجن ضيفه المفتش : « هل تريد الاطلاع على السجل أولا

أم تتابع الجولة لزيارة القبو الآخر ؟ ان الراهب السجين الذى فيه يتخيل أنه يملك كنزا هائلا . وقد عرض فى العام الاول أن يدفع ملبسون فرنك مقابل الإفراج عنه ، وفى العام التالى عرض مليونين . . وهكذا دواليك . وهو الآن فى عامه الخامس ، وسوف يعرض عليك خمسة ملايين ! »



وهناك فى وسط ذلك القبو رأى الزائران شيئا لا تكاد أسماهه البالية تغطى جسده . ولم يتحرك حين سمع جلبة الداخلين بل استمر مشغولا بأعماله الحسابية الخاصة بكنزه ، حتى اذا أضاءت المشاعل القبو رفع رأسه وحقق قليلا فى الزائرين ثم أسرع فى لف غطاء الفراش حول جسمه ! وسأله المفتش : « ماذا تريد يا سيدى ؟ »

فأجاب : « سيدى ، أنا الراهب فاريما ، ولدت فى روما وعملت عشرين عاما سكرتيريا للكاردينال سبادا ، وقد اعتقلت سنة ١٨١١ لسبب لا أعلمه . ومنذ ذلك التاريخ وأنا أطلب الإفراج عني ، تارة من الحكومة الفرنسية وتارة من الحكومة الإيطالية . . واني مستعد لأن أدفع فى مقابل الإفراج عني خمسة ملايين من الجنيهات ! »

فأجابه المفتش . « يا سيدى العزيز ، ان الحكومة غنية وليست فى حاجة الى ملايينك ، فاحتفظ بها حتى يفرج عنك ! »

فقال الراهب السجين . « اذا لم يفرج عني . وبقيت هنا حتى أموت ، فسوف يضيق الكبر . انى أعرض عليك ستة ملايين ، وسأقنع بالباقي فى مقابل أن ترد الى حريتي . . انى لست مجنوناً ، والكنز الذى أتحدث عنه موجود حقا ، وأنا على استعداد لأن أوقع على تعهد بالارشاد الى مكانه ، فاذا لم تجدوه فأعيدوني الى هنا . . ولست أطلب أكثر من ذلك ! »

فقال المفتش : « انها خطة بارعة ، فلو طلب جميع السجناء ذلك لانتجت لهم فرصة رائعة للفرار ! »

ثم خرج الزائر ومرافقوه ، وأغلق السجنان الباب دون السجن !

ووفى المفتش بوعده لدانتيس ، ففحص سجله ، ووجد فيه هذه العبارة : « بونا برتي عنيف شديد الخطر ، قام بدور ايجابي فى فرار الفاضب من البيا . . ! » ولم يستطع المفتش ازاء هـذه التهمة الا أن يكتب على هامش السجل معلقا : « لا شيء يمكن عمله فى أمره ! »



فى نهاية العام التالى وصل الى السجن حاكم جديد ، وكان عسيرا عليه أن يعرف المسجونين بأسمائهم لأن عددهم يزيد على الخمسين ، فصار يرمز

الى كل برقم رنزانتته ٠ وكان رقم القبو الذى يعيش فيه ادمون دانتيس ٣٤  
٠٠ وفى الوقت الذى بلغ فيه اليأس بالسجين الشاب غايته حتى دفعه  
الى التفكير فى الانتحار ، فوجيء ذات ليلة بسماع صسوت أجوف صادر  
من وراء الجدار الذى ينام الى جواره ، وكأنه صوت آلة حديدية تدق الاحجار  
٠٠ فحدث نفسه قائلا : « لا شك فى أن هناك سجينًا آخر يحاول الفرار ،  
آه لو استطعت مساعدته ! »

ومضى ادمون الى ركن قبوه فتناول حجرا ودق به الجدار ثم انتظر قليلا  
فلما لم يسمع شيئا أفعم قلبه بالأمل فى نجاح مساعدته لذلك السجين  
زميله المجهول ٠ ونهض فنقل فراشه من مكانه وأخذ يبحث عن شئ ينقب  
به الجدار حتى ينتزع حجرا منه ، ولكنه لم يجد ما يصلح لذلك غير آتية  
شرا به ، على أن يحطمها ويستخدم قطعة مدببة منها فى الغرض المطلوب !  
وكان أمامه الليل كله يعمل أناءه ، برغم أن الظلام كان يعوقه الى حد ما  
٠٠ وحين وجد الجدار شديد الصلابة أعاد الفراش الى مكانه ليخفى آثار  
المحاولة وآثر الانتظار الى الصباح ٠٠ أما زميله فقد دأب على عمله طيلة الليل  
ولما أشرق النهار وجاء السجان الى دانتيس بالطعام ، أخبره بأن الآتية  
وقعت فانكسرت ٠٠ فما كان من هذا الا أن ذهب لاحضار أخرى دون أن  
يعنى بجمع شظايا الآتية المكسورة ٠٠ !

وبعد ثلاثة أيام نجح دانتيس ، بفضل مراعاته منتهى الحذر ، فى ازالة  
طبقة الاسمنت التى تكسو الجدار والكشف عن حجر كبير وراءها ٠٠ وصار  
عليه أن يخفر حول الحجر حتى يستطيع اقتلاعه من مكانه ٠ ولكن بماذا  
يخفر ٠٠؟ ان الآتية الحزفية تعجز عن ذلك ٠ وهنا خطر له أن يضع الآتية  
الحديدية التى يحضر له فيها السجان الحساء أمام الباب بحيث يدوسها هذا  
بقدمه حين يدخل لأخذ الصحف الفارغة ، فتتكسر ٠٠ فلما تم له ذلك  
وفق الخطة التى رسمها طلب الى الحارس أن يدع بقايا الآتية المكسورة الى  
الصباح ، وصادف هذا الطلب هوى من نفس السجان الكسول فقبل !  
وكاد دانتيس يجن فرحا ٠٠ فلما خرج زحزح الفراش من مكانه وأهوى  
بمقبض الآتية المدبب على جوانب الحجر ٠٠ فلم تمض ساعة حتى أمكن  
اقتلاعه من مكانه ، وانفتحت فى الجدار ثغرة سعتها قدم مكعب ونصف قدم  
٠٠ واذا ذاك أخذ دانتيس المخلفات التى نتجت عن ثقب الجدار ودفنها فى  
شقوق الجدران ٠٠ ثم أعاد فراشه الى مكانه ليخفى آثار فعلته ونام قريبا  
العين !

وبعد مجهود مماثل دام بضع ليال ، فوجيء دانتيس فى ذات ليلة بسماع  
صوت كأنه صادر من تحت الأرض ، فوقف شعر رأسه دهشة واجفالا ٠٠  
ثم قال له صاحب الصوت : « لا تحفر أكثر من ذلك ٠ ولكن قل لى فقط  
ما ارتفاع ثغرتك ؟ »

فهمس قائلا : « انها فى مستوى أرض الحجرة ! »

- وعلام يفتح باب حجرتك ؟

- على ممر يؤدي الى فناء السجن !

- أعتقد أن الجدار الذي تثقبه هو جدار السجن الخارجي ، فلتتوقف عن العمل حتى أتصل بك • أنا السجين رقم ٢٧ • وسأتصل بك غدا •• !

وفى الصباح التالي سمع دانتيس ثلاث طرقات •• فركع على ركبتيه وراح ينصت • ثم قال له ذلك السجين :

- هل خرج سجانك ؟

- نعم، وهو لن يعود قبل المساء • ومن ثم فأمامنا اثنتا عشرة ساعة للعمل

وبعد لحظة انهار الجزء من الارض الذي كان دانتيس متكئا عليه بيديه ، بينما كان رأسه في الثغرة •• فارتد الى الخلف في الوقت الذي هوت فيه كتلة من الاحجار والارض فاخفت في حفرة انفتحت تحت الثغرة التي فتحتها هو •• ثم من أعماق هذا الممر رأى رأس رجل يبرز أولا ثم يتبعه جسمه •• وإذا السجين رقم ٢٧ قد صار معه في زنزانته !

وأخذ دانتيس زميله السجين بين ذراعيه معانقا ، بل كاد يحمله نحو النافذة كي يرى ملامح وجهه •• كان رجلا ضئيل الجسم ، ابيض شعره من الالام ، ذا عين نافذة تكاد تكون مدفونة خلف حاجبه الاغبر الغزير • وكانت له لحية طويلة تصل الى صدره • أما وجهه النحيل وخطوط ملامحه الجسورة فتتم عن رجل ألف أن يستخدم قواه الذهنية أكثر من قواه الجسمية وعلم دانتيس من زميله أنه انتزع بعض « شناكل » سريه كي يستعين بها على حفر الطريق الذي سلكه من زنزاناته الى زنزانه جاره ، وطوله نحو خمسين قدما

فنهتف دانتيس ، شبه مدعور : « خمسون قدما ؟ »

- نعم ، هي المسافة بين حجرتك وحجرتي • ولكنني لسوء الحظ أخطأت تبين اتجاه الطريق الذي حفرته ، بسبب نقص الادوات الهندسية اللازمة •• فبدلا من أن ينتهي بى الى الجدار الخارجي المطل على البحر ، قادني الى الممر الذي تنفتح عليه حجرتك • وهكذا ذهب جهدي كله هباء ، فان الممر يطل على فناء مزدحم بالجنود !

فقال دانتيس : « هذا صحيح ، لكن الممر الذي تتحدث عنه لا يحد غير جانب واحد من زنزانتى • وهناك ثلاثة جوانب أخرى ، فهل تعرف شيئا عن موقعها ؟ »

- هذا الجانب ينتهي الى الصخر الصلب •• وهناك جانب آخر ينتهي عند الجزء الاسفل من مسكن حاكم السجن ، ولو نقبناه لوصلنا الى زنزانات مغلقة • أما الجانب الرابع والاخير من زنزانتك فهو يطل على مكان مفتوح يمر فيه الحراس بلا انقطاع ، ويسهرون على حراسته ليل نهار •• ومن هذا تبين الاستحالة المطلقة في الفرار عن طريق زنزانتك ؟

وبعد أن قضى السجينان فترة يتشاوران فى تأمل عميق ، هتف دانتيس فجأة : « لقد وجدت ما كنت تبحث عنه ٠٠ ان الممر الذى سلكته من زنزانتك يمتد هنا فى اتجاه الرواق الآخر ، ولا يرتفع عنه أكثر من ١٥ قدما ٠ واذن ينبغي أن نثقب جدار الممر لفتح ثغرة جانبية فى منتصفه ٠٠ وفى هذه المرة سنضع خططك بحيث تخرج أقرب الى الصواب ، فسوف نهبط فى الرواق الذى وصفته ، فنقتل الحارس الذى يحرسه ونلوذ بالفرار ! »

— لحظة واحدة يا صديقى العزيز ٠٠ لقد جعلت دأبى حتى الآن أن أعلن الحرب ضد الظروف ، لا البشر ٠٠ لم أجد بأسا أو خطيئة ما فى أن أثقب جدارا أو أحطم درجة من سلم ، ولكنى لا أستطيع اقناع نفسى بسهولة بأن أثقب قلبا حيا أو أنتزع حياة ٠٠ فتعال زرني فى زنزانتي يا صديقى العزيز وسوف أريك عملا أدبيا كاملا ، هو ثمرة أفكارى وتأملاتى طيلة حياتى !

— على أى شيء كتبت مؤلفك هذا ؟

— على قميص من قمصانى ٠ لقد اخترعت تركيبا يجعل التيل مثل ورق البرشمان فى نعومته وسهولة الكتابة عليه

— ولكن ، مم صنعت الحبر الذى كتبت به ؟

— كانت فى زنزانتي يوما ما مدفأة ، تغطيها طبقة كثيفة من « الهباب » ، فأخذت قليلا منه وأذبتة فى جزء من النبيذ الذى كانوا يحضرونه الى كل يوم أحد ٠ وأؤكد لك أن الحبر الذى نتج من هذا الخليط لا يضارح ٠ لكنى فى المسائل والملاحظات الهامة كنت أخز اصبعى بآبرة وأكتب بدمى ذاته ٠٠ اتبعنى !

ومضى الراهب يتبعه زميله عبر الممر تحت الارض حتى وصلا دون صعوبة تذكر الى نهاية الممشى الذى يفضى الى زنزانة الراهب ٠ وهناك فى تلك البقعة كان الممر يزداد ضيقا حتى لا يسمح بمرور أحد منه الا اذا زحف على يديه وركبتيه !

وأخيرا بلغا قبر الراهب ، فأخرج من أحد المخابى ثلاث اسطوانات من التيل مكتوبة كلها ، وقال لدانتيس

— هاك المؤلف كاملا ٠٠ لقد كتبت كلمة « النهاية » فى آخر الصفحة الثامنة والستين منذ نحو أسبوع ، فلو خرجت يوما من هذا السجن ووجدت فى إيطاليا ناشرا له الجراءة على نشر ما كتبت ، فإن سمعتى الادبية تكون قد توطدت نهائيا

ثم عرض الراهب على دانتيس « الريشة » التى كان يستخدمها فى الكتابة ، وهى عصا صغيرة طولها ست بوصات ، ربط فى طرفها غضروف مأخوذ من رأس سمكة وقد دهب طرفه وهنق مثل الريشة العادية ٠٠ فقال له دانتيس :

— الشيء الذى يحيرنى هو كيف تعمل فى ظلام الليل ؟

فأجابه فاريا : « لقد فصلت الشحم من اللحم الذى يجيئنى فى الطعام ، وصهرته فنتج عنه زيت للوقود ، ثم صنعت لى مصباحا صغيرا من قطعتين من الصوان وقطعة من الكتان المحروق . أما الثقاب فقد اضطررتى تدبير أمره الى التظاهر بأنى مصاب بمرض جلدى ، ثم طلبت قليلا من مادة الكبريت لهذا الغرض ، فجلبيوها لى . . انك لم تر بعد شيئا من أفانيى ! »

ثم أزاح الفراش من مكانه فظهرت خلف أحد الاحجار ثغرة فى داخلها سلم من - الجبال حلولة يتراوح بين خمسة وعشرين مترا وثلاثين مترا . وقد وجده دانتيس من المتانة بحيث يتحمل أى ثقل ! . . فسأل زميله الراهب : « كيف صنعتها ؟ »

فأجاب فاريا : « صنعتها من أقمصتى التى مزقتها ! »

ثم سد الراهب الثغرة بالحجر وأعاد الفراش الى مكانه وقال :

— هل لك الآن أن تروى لى قصتك أنت ؟

وأخذ دانتيس يسرد له قصته حتى أتمها ، فأطرق الراهب برهة يفكر ثم سأل :

— من الذى يستفيد من اختفائك ؟ . . ان الأمر واضح كالشمس ، لكن بساطتك وطيبة قلبك قد أخفيا الحقائق عليك . . والان قل لى ، هل كان دانجلر يعرف فرناند ؟

— لا . . بل نعم ! فالآن تذكرت أننى رأيتها جالسين معا فى الليلة السابقة للزفاف ، وكان دانجلر يمزح فى مزح بينما بدا فرناند شاحبا قلقل . . ولست أدري كيف لم أفكر فى هذا الأمر من قبل ؟ انى لا ذكر الآن جيدا أنه كان أمامهما على المنضدة حبر وريشة وورق ! . . يا للانذار القساة القلوب !

— هل ثمة شيء آخر أستطيع أن أعينك على كشفه ؟

— نعم ، أريدك أن تعلق لى سبب القاتل فى السجن دون محاكمة أو تحقيق !

— هذا شيء آخر ! . . الى من كان ذلك الخطاب الذى أعطى لك فى « البا » موجه ؟

— الى ميسيو نوارتييه رقم ١٣ شارع كوك هيرون بباريس

— نوارتييه ، نوارتييه ؟ كنت أعرف شخصا بهذا الاسم من الجيرونديين أثناء الثورة . . وماذا كان اسم المحقق الذى استجوبك ؟

— دى فيلفور !

وعندئذ أغرق الراهب فى الضحك وقال : « كيف هذا ؟ . . ألا تستطيع استنتاج شخصية نوارتييه هذا ، بعد أن حرص المحقق على إخفاء اسمه ؟ . . انه أبوه ! »



ولو أن صاعقة سقطت على دانتيس ، لما كان أشد فزعا منه لدى سماع هذه العبارة ٠! وومض في ذهنه ضوء خاطف مباغت أضاء وأوضح كل ملابسات الموقف التي كانت غارقة في الظلام !

وبين عاد الى زنزانه ارتدى على فراشه ، حيث وجده الحارس حين دخل عليه في المساء مجملقا في الفضاء صامتا ، بلا حراك ٠٠ لقد انتهى من تفكيره وتأملاته الطويلة الى قرار خفيف أقسم لينفذنه ما وجد الى ذلك سبيلا!

وأخيرا أفاق دانتيس من شروده على صوت فاريا ، الذي جاء على أثر خروج سجنانه ليدعوه الى مشاركته عشاءه ٠٠ فقال له : « ينبغي أن تعلمني بعض ما تعلم ٠٠ على الأقل حتى لا تمل صحبتي ٠٠! وأنا أعدك بألا أشير بكلمة واحدة بعد ذلك الى الفرار من السجن ! »

فأجابه الراهب العلامة متأوها : « ان المعارف البشرية يا بني محدودة داخل دائرة ضيقة ، فاذا علمتك الرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ واللغات الثلاث أو الأربع التي إتقنها فسوف تضارعني في العلم ٠٠ وهذا يستغرق حوالى عامين ! »

فهتف دانتيس : « عامين فقط ؟ أعتقد أن عامين يكفيان لاستيعاب كل هذه العلوم ؟ »

وفى تلك اللمسية وضع السجينان برنامجا للدراسة ، وفي اليوم التالي بدأ تنفيذه !



## سر الكنز المفقود

فى نهاية ذلك العام كان دانتيس - بفضل ما تعلمه - قد صار وكأنه خلق من جديد ! لكنه لاحظ أن فاريا يزداد كل يوم كآبة ووجوما ، وكان فكرة ما لا تفتأ تلح عليه وتطارده ٠٠ وذات يوم سمعه يقول فى شروء : « آه ، لو لم يكن هناك ذلك الحارس الديديبان ! »

فسأله متلطفًا : « هل فكرت فى وسيلة لاسترداد حريتنا ؟ »

فقال : « نعم ، ولكن هل أنت قوى البنية ؟ »

فتناول الشاب ازميل الراهب وثناء بيديه حتى صار كهيئة حدوة الحصان ، ثم عاد فقوم اعوجاج الازميل حتى عاد كما كان !

وبدا الاغتياب فى وجه الراهب الحزين ، ثم قال له :

- هل تعدنى بالأا تصيب الحارس بأذى ، الا عند الضرورة القصوى ؟

- أعدك بشرفى !

- اذن نستطيع أن نشرع فى تنفيذ خطة الهرب ، وسوف تستغرق منا حوالى عام !

وأخذ الراهب يشرح لدانتيس خطته ، وهى تلخص فى حفر نفق تحت الممر الموصل بين زنزانيهما ، بالطريقة التى تحفر بها المناجم ، ثم الخروج من نافذة قريبة الى جدار السجن الخارجى ، ثم الهبوط الى البحر بواسطة الحبل الذى قتله الراهب وجعل منه سلما

وفى اليوم نفسه بدأ السجينان حفر النفق ، بالنشاط الذى توافر لهما بعد طول الراحة ، مدفوعين بأمالهما فى الحرية والخلص ٠٠ ولم يكن يعوق عملهما غير حرص كل منهما على العودة الى زنزانه فى الموعد المناسب قبل زيارة السجن النهارية أو الليلية ٠٠ !

وانقضى عام ٠٠ وفى نهاية الشهر الخامس عشر تم حفر النفق ، وصار السجينان يسمعان بوضوح صدئ خطوات الديديبان وهو يروح ويجيء فوق رأسيهما ٠٠ ولم يبق أمامهما غير انتظار حلول ليلة حائلة الظلام كى ينفذا خطة الفرار !

وفى ذات ليلة سمع دانتيس صوت الراهب يناديه فى حشجة تنم عن ألم شديد ، وكان قد تركه فى زنزانه هو-، فخف اليه على عجل ، ليجده

واقفا في وسط المكان ، شاحبا شحوب الموتى ، وقد تصبب جبينه عرقا وتقلصت يده ، وما كاد يراه حتى ابتدره قائلا :

— اصغ الى ما سأقوله بعناية ٠٠ انى مصاب بنوبة من نوبات مرض رهيب قاتل ، وقد أصابتني النوبة الاولى منه في العام السابق لاعتقالى ، وليس لها غير علاج واحد ٠٠ فأسرع بربك الى زنزانتي واخلع احدى قوائم السرير ، تجد في داخلها قارورة صغيرة مملوءة الى نصفها بسائل أحمر ٠٠ أحضرها الى بسرعة ٠٠ أو فلتأخذنى أنا الى فراشى لثلا يعاجئنى الحراس عاثبا عن زنزانتي . خذنى قبل أن أفقد ما بقى لى من قوة على جر ساقى ! وحين أرقد دانتيس رفيقه على فراشه قال له هذا وهو يرتجف : « شكرا لك ! انى أوشك أن أصاب بنوبة كالصرع ، وحين تبلغ حدتها قد ترانى راقدا بلا حراك كالمت ، أو قد تزداد النوبة شدة فتسبب لى تشنجات مخيفة ، فاذا حدث ذلك فاحرص على ألا تبلغ صرختى مسامع أحد ، والا فرقوا بيننا الى الأبد وأحبطوا كل خططنا . وحين يبرد جسدى ويسكن كالجثة الهامدة ، فعندئذ — وليس قبل ذلك — افتح فى عنوة بسكين أو نحوها ، واسكب فى حلقي ثمانى قطرات أو عشرة من السائل الذى فى الفئينة ، وبذلك قد أشفى من نوبتى ! »

فتساءل دانتيس فى لهجة المفجوع : « قد تشفى ؟ »

وفجأة صاح فاريا : « النجدة ٠٠ النجدة ٠٠ انى أموت ٠٠ »

وبلغ من عنف النوبة أن المسكين عجز عن اتمام عبارته ، وراح جسده يهتز هزات مخيفة وتنطلق منه صرخات مروعة كتمها دانتيس بوضع الغطاء فوق رأسه ٠٠ واستمرت النوبة ساعتين ، استرد المريض فى نهايتها هدوءه وسكن جسده كالمت ٠٠ وانتظر دانتيس حتى زالت منه كل علائم الحياة ثم فتح فمه عنوة وسكب قطرات السائل فى حلقة ٠٠ وانقضت ساعة والمريض لا يبدي بادرة من بوادر العودة الى الحياة ٠٠ وأخيرا صعد الى خديه لون باهت ، وارتد الوعي الى مقلتي العين ، وبذل الراهب محاولة متخاذلة للتحرك ٠٠ وحين استرد قدرته على الكلام قال :

— ان النوبة الماضية لم تدم أكثر من نصف ساعة ، وقد أفقت منها دون معاناة أحد ٠٠ أما الآن فانى عاجز عن تحريك ساقى اليمنى أو ذراعى ، ورأسى ثقيل ، مما يدل على حدوث نزيف دموى فى المخ ٠٠ وأغلب الظن أن النوبة الثالثة سوف تقضى على أو تخلفنى مشلولا مدى الحياة . بل ان هذه النوبة التى انقضت قد حكمت على بالبقاء رهن السجن بقية عمرى ، فقد شلت ذراعى نهائيا ٠٠ ارفعها واحكم بنفسك اذا كنت مخطئا

ورفع الشاب ذراع الراهب فلما سقطت من تلقاء نفسها بحكم ثقلها ، قال له فى أسى : « اذن فسوف أبقي أنا أيضا ! » ثم مسح يده فى رفق رأس الراهب المريض وأمساف قائلا : « أقسم بكل ما هو مقدس أن لا أتركك ما دمت على قيد الحياة ! »

فنظر فاريا الى صديقه الشاب نظرة شغف وقرأ فى وجهه توكيدا  
لاخلاصه المكين ، فغمغم وهو يمد اليه يده :

— أشكرك ، وأقبل ما تعد به .. ولكن لما كنت لن أستطيع مغادرة هذا  
المكان ، فلا مناص من سد الثغرة التى فى نهاية النفق ، خشية أن تنهار  
الارض عندها بمضى المدة فيكتشف أمر ما دبرنا ويفصل بيننا مدى الحياة  
.. فامض وأتم هذه المهمة ، ولا تحضر الى غدا الا بعد أن يخرج السحان من  
عندى .. فان لدى أمرا على أعظم درجة من الاهمية أود الافضاء به اليك !

وحين عاد دانتيس فى صباح اليوم التالى وجد فاريا جالسا وقد بدت  
عليه الراحة ، وفى يده اليسرى ورقة لوح له بها قائلا :

— أنظر الى هذه الورقة يا صديقى ! ان فى وسعى أن أعترف لك الآن  
— بعد أن ثبت لى وفاؤك — بأن فيها مفتاح كنزى الذى يخصك نصفه منذ  
اليوم . لا تحسبنى مخبولا ، فهذا الكنز موجود فعلا يا دانتيس ، ولئن  
لم يتح لى أن أظفر به فسوف يتاح لك ذلك . والان اقرأ هذه الورقة !

وكانت الورقة تحوى هذه الكلمات

« فى هذا اليوم ، الخامس والعشرين من أبريل سنة ١٤٩٨ ، دعيت الى  
لعشاء عند صاحب القدااسة البابا الكسندر السادس .. وخشية أن يطعم  
قداسته فى أن يغدو وارثى ، وأن يدخر لى مصير الكردينال كابرارا  
والكردينال بنتيفوليو اللذين قتلوا بالسسم ، أعلن هنا لابن أخى « جيدو  
سبادا » وريثى الوحيد أنى دفنت فى مكان يعرفه هو وقد زاره معى ، وأعنى  
به كهوف جزيرة مونت كريستو الصغيرة ، كل ما أملك من المال والذهب  
والجواهر والاحجار الكريمة ، وهى ثروة تقدر بنحو مليونين من الريالات  
الرومانية . ويستطيع أن يجدها اذا رفع الصخرة العشرين من الاخدود  
الصغير الواقع الى الشرق على امتداد خط مستقيم . ولهذه الكهوف فتحتان ،  
والكنز يوجد فى الزاوية البعيدة من ثانيتهما ، وهذا الكنز أتركه بأكمله له  
باعتباره وريثى الوحيد . »

قيصر سبادا »

وانتظر الراهب حتى أتم دانتيس قراءة الورقة ثم قال له :

— هذه هى وصية الكردينال سبادا التى عين فيها مكان كنز الاسرة الذى  
حاول البابا الكسندر السادس اغتصابه بقتل الكردينال . على أن هذا  
الكنز لم يعثر عليه أحد . وقد كنت أنا سكرتير الكردينال سبادا ، وهو  
آخر من حملوا هذا الاسم ، وبعد موته اكتشفت هذه الورقة بين طيات كتاب  
صلوات خلفه لى . وقبل أن أصل الى جزيرة مونت كريستو لأبحث عن  
الكنز ، اعتقلت ! فلو أننا هربنا يوما معا ، فسيكون لك نصف هذا  
الكنز .. أما اذا مت هنا وهربت أنت وحدك فانه يكون لك بأكمله !

وتساءل دانتيس متلعثما : « ولكن .. ألم يعد للكنز ورثة شرعيون فى  
العالم غيرنا ؟ »

فقال فاريا : « كلا ! لقد انقضت أسرة سبادا ، علاوة على أن الكردينال الأخير منهم جعلني وريثه الشرعى . . فلو أننا وضعنا أيدينا على الكنز ففى وسعنا الاستمتاع به دون أدنى وخز من ضمير . . وهو يساوى بعملتنا الحالية نحو ثلاثة عشر مليون ريال ! »

وخيل الى دانتيس أنه فى حلم، فتأرجح برهة بين الفرح وعدم التصديق . . بينما استطرد فاريا : « لقد كتبت عنك قصة هذا الكنز حتى الآن كى أختبر خلقك ، ثم أفاجئك بها . . ولو كنا قد هربنا قبل أن تصيبنى النوبة لقدتك بنفسى الى جزيرة مونت كريستو ، فانا أعدك بمثابة ابن لى ، وقد أرسلك الله الى كى تواسينى فى الوقت الذى لم يعد فى استطاعتى أن أكون حرا ، ولا والدا »

ثم مد فاريا ذراعه السليمة الى دانتيس فأخذها الشاب بين يديه وانخرط فى البكاء !

ولم يكن الراهب يعرف جزيرة مونت كريستو ، لكن دانتيس كان يعرفها ، فقد طالما مر بها . . وهى تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من « بيانوزا » ، بين جزيرة كورسيكا وجزيرة البيا . . وقد كانت الجزيرة - وما تزال - مهجورة تماما ، وهى صخرة مخروطية الشكل تبدو كأنها قد قذفت بها قوة بركانية من جوف المحيط . . وقد رسم دانتيس خريطة تقريبية للجزيرة ، وأدلى اليه فاريا ببضع نصائح تتعلق بطريقة البحث عن الكنز

ولكن ، كأنما شاء القدر أن يحرم المسجونين من فرصتهما الاخيرة . . فقد أعادت سلطات السجن بناء الجناح المطل على البحر ، لانه كان قد تهدم فى كثير من المواضع ، وسدت بكتل ضخمة من الاحجار تلك الثغرة التى أغلقها دانتيس مؤقتا بناء على نصيحة الراهب . . وهكذا قام سد جديد منيع يهدم كل آمال السجينين فى الفرار !



## الميت الهارب

استيقظ دانتيس من نومه فجأة على صوت نداء صادر من زنزانة قاربا زميله الراهب السجين ، فسارع اليه منزعا ، وعلى ضوء الصباح الصغير هناك رآه شاحب الوجه غائر العينين متشبها بقوائم السرير ، وقد تقلصت قسماته بتلك الاعراض المخيفة التي ظهرت عليه في النوبة السابقة !

وقال له فاريا بصوت خائر : « وا أسفاه يا صديقي ٠٠ ان النبوة  
الظليعة تعاروني ، ولن يمضي ربع ساعة حتى أكون ساكنا كالجملة الهامدة ٠٠  
فافعل ما فعلته في المرة السابقة ، ولكن لا تطل الانتظار ٠٠ فإذا رأيت بعد  
أن تسكب في حلقى اثنتي عشرة قطرة ، بدلا من عشر ، أننى لا أفيق ٠٠  
فاسكب بقية محتويات القارورة أيضا في فمى ! »

واخذ دانتيس صديقه المريض بين ذراعيه وأرقده على الفراش ١٠٠ وانتاب الراهب على الأمر تشنجات عنيفة ، فرفع رأسه بمجهود أخير وهمس له :  
« موت كريستو ، لا تنس موت كريستو ! »

وحين قدر دانتيس أن اللحظة المناسبة لاسعاف صديقه قد حانت ، فتح فكيه وسكب بينهما اثنتى عشرة قطرة ثم انتظر . وكانت القارورة تحوي بعد ذلك ضعف هذا القدر ٠٠ وانقضى نصف ساعة دون أن يحدث أى تغير فى حالة المريض فوضع فم القنبلة بين شفتي الراهب القرمزيتى وسكب ما فيها فى حلقه ٠٠! فأحدث الدواء أثرا مؤقتا هز كيان المريض هزا عنيفا ثم عاد جسده الى سكونه الاول ، وظلت عينا مفتوحتين ٠٠ وشيثا فشيثا سرت فيه برودة الموت ، وضعف نبضه تدريجا حتى وقف آخر الأمر !

وكان موعد مرور السجان قد اقترب ، فاطفا دانتيس المصباح وأخفاها بعناية ثم خرج الى المر السرى وأغلق الثغرة بالحجر بكل ما وسعته من اتفاق .. وحين وصل الى رزائنه لم يلبث أن سمع جلبة السجان وهو يكتشف موت السجين ، ثم أصوات الحاكم وطبيب السجن والحراس ، وكان الحاكم يقول : « انه سوف يدفن الليلة بكل تكريم فى أحدث غرارة نجدها هنا ! »

ثم سمعت خطوات أخرى ، وضجيج أعقبه تحريك سرير الميت، وأصوات مختلفة مختلطة .. وبعد حين هدا كل شيء وعاد سكون الموت يخيم على السجن .. فتسلل دانتيس الى الممر ، واذا بأقن من خلو زنزانه صديقه من أى انسان رفع الحجر فى حذر ودلف اليها !

كانت الجنة قد وضعت في كنفها داخل غرارة من الخيش ، استعددا لالقاتها في البحر

واذ رأى دانتيس ذلك المنظر الذي يعده للفراق الأبدي عن صديقه الذي كان سلواه الوحيدة في سجنه ، عاودته فكرة الانتحار التي كانت تراوده من قبل ، فراح يذرع المكان جيئة وذهابا ٠٠ وفجأة وقف الى جوار الفراش جامدا ، وغغم :

— يا الهى ! ما الذى أوحى الى بهذه الفكرة ؟ أهى من وحيك ؟ لكن ما دام أن أحدا غير الموتى لا يخرج حرا من هذا المكان ، فلاأخذ مكان الميت ! ولم يتمهل ليتدبر هذا القرار اليائس ، بل جذب الجثة من الغرارة وحملها عبر النفق الى زنزانته هو ، حيث وضعها فوق فراشه ، ولف رأسها بالغطاء الذى يتدثر به أثناء نومه ٠٠ ثم قبل جبين صديقه الوفى التعس وأدار رأسه نحو الحائط كى يحسبه السجنان نائما حين يدخل فى الزيارة التالية، ومرق عائدا الى المر حاملا معه ابرة وخيطا وسكيننا !

وحين بلغ زنزانه الراهب دلف الى داخل الجوال واتخذ الوضع الذى كانت عليه الجثة ثم خاط الغرارة من الداخل كما كانت !

وانقضى الليل على هذه الحال ، دون أن يحضر أحد . وفى الساعة السابعة من الصباح بدأ عذاب دانتيس الحقيقى ! ولم تستطع يده التي وضعتها فوق قلبه أن تخفف من عنف ضرباته الشديدة ، بينما راح يمسح بيده الاخرى قطرات العرق المتصبب على وجهه . ومن وقت لآخر كانت تسرى في جسمه قشعريرة باردة تعصر قلبه ، حتى خيل اليه أنه سوف يموت ٠٠ وأخيرا سمع صدى خطوات تدنو ، فتذرع بكل ما بقى له من شجاعة وحس أنفاسه ! ٠٠ ثم فتح الباب ، ودخل منه رجلان ، بينما وقف ثالث عند الباب يحمل مصباحا بلغ ضياؤه الخافت عين الشاب عبر الغرارة السمكية ٠٠ وحمله كلا الرجلين من طرفى الغرارة ، وسمع أحدهما يقول للآخر :

— انها ثقيلة هذه الجثة مع أن صاحبها كان عجوزا نحيل الجسم !

فأجابه زميله : « يقولون ان وزن العظام يزداد بمقدار نصف رطل كل عام ! »

ثم سارت القافلة يتقدمها حامل المصباح ، فصعد رجالها السلم المؤدى من القبو الى الطابق الاول ٠٠ وفجأة أحس دانتيس هواء البحر الرطب المنعش يصدم جبهته ٠٠ ثم وضعه حامله وهو فى الغرارة على حاجز ، وثبتا ثقلا حديديا بقدميه فى عنف كاد يرغمه على أن يصرخ من الألم ٠٠ ثم عادا فحملاه واستأنفا السير حتى سمع اصطفاق أمواج البحر وهى تصدم الصخور التى يقوم عليها بناء السجن ٠٠ ثم قال أحد الحمالين : « يا لها من ليلة باردة ، لا تناسب الغوص فى البحر ! » ، فأجابه الثانى : « ان الراهب سوف يصاب بالبلل ! »

ثم انفجر كلاهما ضاحكين فى وحشية ! فوقف شعر رأس الشاب من الفزع ٠٠ وعاد الاول يقول : « ما قد وصلنا أخيرا » ٠ فاعترض زميله قائلا : « بل لنصعد بضغ درجات أيضا ، فلعلك تذكر أن الميت الذى القيناه آخر مرة قد اصطدم بالصخور ، فاتهما الحاكم بالاهمال ١٠٠ »

ثم صعدا خمس درجات أو ستا ، وتوقفا أخيرا ٠٠ وأحس دانتيس أيديهما تؤرججه ذهابا وجيئة تأهبا للاقائه فى اليم ، وسمع أحدهما يقول : « واحد ٠٠ اثنين ٠٠ ثلاثة ! » ٠٠ وفى هذه اللحظة شعر بهما يطوحان به فى الفضاء بقوة فيهوى من حالى كالطائر الذبيح ، بسرعة مروعة جعلت دمه يجمد فى عروقه !

وبدا له كأن سقوطه استمر قرنا من الزمان ٠٠ وأخيرا اصطدم فى عنف بالماء البارد ، فأطلق برغمه صيحة حادة اختنقت حين غاص فى أعماق البحر ، يجذبه الى قاعه ثقل زنته ستة وثلاثون رطلا ، وما لبث قليلا حتى شعر بأنه استقر فى قاع البحر ٠٠ فى مقبرة سجن قصر ايف !

وبرغم ما لقيه من الفزع خلال « رحلته » الرهيبة هذه ، كان من حضور الذهن بحيث لم يكذب يفوص فى لجة اليم حتى مد يده اليمنى بالسكين الى الفرارة التى تحتويه فشققها وأخرج ذراعه ثم جسمه ، لكنه عجز برغم جهوده أن يخلص نفسه من الثقل الذى يجذبه نحو القاع ٠٠ وأخيرا انحنى على نفسه ، وبمحاولة أخيرة يائسة قطع الرباط الذى يثبت الثقل فى قدميه ، فى اللحظة التى كاد فيها يموت مختنقا ٠٠ ثم رفع جسمه نحو السطح بكل ما يقى له من قوة ٠٠ وحين بلغه جذب نفسا عميقا من الهواء ثم غاص فى الماء مختارا خشية أن يلحقه أحد « زبانية » السجن !

وحين برز فوق الماء مرة أخرى كان قد ابتعد عن البقعة التى ألقى فيها نحو خمسين قدما ٠٠ وكانت تنبسط فوق رأسه سماء سوداء تنذر بالعاصفة ، ويمتد البحر أمامه فسيحا كثيبا رهيبا ، ، تزار أمواجه وترغى وتزبد ٠٠ وخلق له يقوم كالشبح ذلك البناء الصخرى الموحش الذى تمتد صخوره المدببة كالأذرع التى تتأهب للانقضاض على فريستها ٠ وفوق الصخرة العليا كان مصباح يضىء وجهى رجلين ٠ خيل اليه أنهما الحمالان اللذان قذفا به الى البحر وقد سمعا صيحته فوقفا يرقبان ظهوره فوق صفحة الماء ٠٠ وعلى هذا لم يجد بدا من أن يعود فيفوص ويبقى تحت اللجة أطول فترة ممكنة ، ولم يكن ذلك بالأمر العسير عليه وهو المشهود له بأنه أبرع سباح فى مارسيليا ٠٠ وحين برز فوق الماء مرة أخرى كان المصباح قد اختفى !

واعتمز دانتيس أن يهرع نحو أقرب جزيرة ، وكانت تبعد فرسحا عن قصر ايف ٠ وبعد انقضاء أكثر من ساعة فى السباحة المتواصلة ضد الريح ، أحس الماء حادا فى ركبته ، فمد يده ٠٠ وإذا هى تصطدم بعائق من الصخور



٠٠ وبوثة أخرى بلغ شاطئ جزيرة «تبولين» • فتمدد هناك فوق صخور الجرانيت وهو يرفع الى الله أحر صلوات الشكر • ثم ما لبث قليلا حتى راح في النعاس ، بعد أن نال منه الجهد الذي بذله في الوصول الى هناك !



وبعد حوالى ساعة استيقظ من نعاسه على هزيم الرعد ، وحين نهض كان البرق يضيء الظلمة بمضات خاطفة رأى على هديها زورقا من زوارق الصيد تتقاذفه الامواج وقد تعلق أربعة من ركابه بشراعه الممزق بينما تعلق الخامس بالذفة المكسورة • فاندفع دانتيس يمدو هابطا الصخور ، فلما بلغ الشاطئ لم ير للزورق أثرا !

وهذات العواصف بالتدريج • ثم أشرق النهار ، فقال الشاب محدثا نفسه : « بعد ساعتين أو ثلاث سوف يدخل السجن زنزانتي فيكتشف الحادث وتطلق سلطات السجن صفارة الانذار ! »

واستدارت عيناه في اتجاه قصر إيف ، فلمح عن بعد سفينة شراعية صغيرة من طراز سفن « جنوة » قادمة من ميناء مارسيليا • • فهتف جذلا : « هل يعقل أن أكون بعد نصف ساعة على ظهرها • • ان هؤلاء المهربين الذين يرتدون مسوح التجار سوف يفضلون أن يبيعوني على أن يقوموا بعمل انساني ، لكنني سأزعم أنني بحار غرفت في عواصف الليلة السابقة ، وسوف يصدقون قصتي ما دام أن أحدا لن يفندها أو ينقضها ! »

وحانت منه نظرة الى حيث غرق زورق الصيد ، فلمح غطاء رأس أحمر من أغطية البحارة متعلقا بطرف صخرة ، وبضع قطع من أخشاب عائمة فوق الماء • • وفي لحظة رسم خطته : سبح الى مكان غطاء الرأس حتى بلغه ثم وضعه على رأسه ، وتعلق باحدى قطع الاخشاب الطافية واتجه الى حيث وقف في طريق السفينة المقتربة ! • •



## في جزيرة مونت كريستو

قضى دانتيس شهرين ونصف شهر يعمل بحارا في سفينة المهربين ، ويمر بجزيرة مونت كريستو ذهابا وايابا بدون ان يجد الفرصة الملائمة للهبوط فيها .. وأخيرا اقترح الربان الوقوف عندها للراحة . وكانت مهجورة تماما بحيث بدت مكانا نموذجيا لتجارة التهريب !

وفي اليوم التالي لم يرتب أحد في نوايا دانتيس حين أعلن عزمه على اصطيد بعض الوعول البرية التي تقفز بين الصخور .. ثم تظاهر بأنه سقط من صخرة وأصيب في ركبته اصابة تعجزه عن الحركة .. وحين اقترح عليه زملاؤه أن يحملوه الى السفينة أبى قائلا : « انه بفضل الموت على آلام التحرك ! » .. ثم طلب الى اخوانه ان يتركوا له بعض المؤن ويعودوا اليه بعد يومين أو ثلاثة ، أو يرسلوا اليه اى زورق صيد يصادفونه في البحر ، فلم يسعهم الا اجابته الى طلبه !

ولم تكد سفينتهم تبحر حتى هب من مرقده في خفة الغزال حاملا معه بندقيته وفأسه ، وهرع نحو المكان الذي حددته خريطة الراهب مكانا للكنز .. وهناك لمح آثارا على الصخور تؤدي الى اخدود صغير يكفي اتساعه وعمقه لمرور زورق صغير واخفائه عن العيون ، فرجح ان يكون الكردينال سبادا قد أحضر كنزه الى هذا المكان في زورق اخفاه في الأخدود ثم دفن كنزه في نهايته ، عند صخرة ضخمة تغطي تلك النهاية !

وتمشيا مع هذه النظرية راح يحفر بفأسه مجرى صغيرا بين الصخرة العليا والتي تحتها ، ثم ملاءه بالبارود وأشعل طرف الفتيل وانسحب .. فلما حدث الانفجار رفع الصخرة العليا عن قاعدتها وحطم السفلى تحطيمًا ، وفر من شقوقها آلاف الحشرات ، تتبعها ثعبان ضخم كان كأنه شيطان الكنز الحارس ، لكنه لم يلبث أن تسلل الى الظلمات واختفى !

واقترب دانتيس من الصخرة العليا ، التي مالت نحو البحر .. ثم وضع جذر شجرة زيتون في احد الشقوق وبذل كل قواه وأجهد كل أعصاب جسمه كي يزحزح الحجر .. وأخيرا تداعت الصخرة ، وانزلت تندرج من قمة الى قمة حتى اختفت آخر الأمر في جوف البحر .. !

وكانت البقعة التي تغطيها الصخرة مستديرة الشكل ، تكشف عن حلقة حديدية مثبتة في بلاطة مربعة ، فوضع « عتلة » شجرة الزيتون في الحلقة وجذبها بكل قوته ، فانكشفت البلاطة عن سلم يؤدي الى كهف عميق تحت الأرض !



« وچین استرد داتیس هدوه ، عکف علی احصاء محتویات کنزه »

وهبط دانتيس السلم ، لكنه بدلا من ان يجد ظلمة في قاع الكهف وجد ضوءا خافتا يتسرب من شقوق الصخور .. وتذكر ان وصية الكردينال حددت مكان الكنز بأنه في « أبعد زاوية من الفتحة الثانية » .. واذن فعليه ان يبحث الآن عن الكهف الثاني . وخطر له ان هذا الكهف المشهود لا يد ان يوجد في مكان أبعد من شاطئ الجزيرة ، فراح يدق الصخور وينصت الى رنينها عله يسمع رنيناً أجوف ينم عن وجود الكهف . : وأخيراً خيل اليه انه يسمع الرنين المطلوب ، فعاد يدق الصخور ليتأكد من الأمر ، فتهشم طبقة خارجية تكسو الصخرة ، وكشفت بذلك عن حجر ابيض كبير !

لقد غطيت فتحة الكهف بالاحجار ثم كسيت بتلك الطبقة وطلبت بحيث تشبه ما حولها من الجرائيت !

والفأس التي كانت ثقيلة في البداية صارت الآن في خفة الريشة ..

وحين تم لدانتيس الكشف عن الفتحة هبط الى الكهف الثاني ، فاذا هو اعماق واحلك ظلمة من الاول ! .. والى يسار الفتحة كانت توجد زاوية عميقة مظلمة ، قدر الشاب من منظرها ان الكهف لو وجد فلن يوجد الا فيها .. ومن ثم تقدم نحوها وأهوى بفأسه على أرضها .. !

وعند الضربة الخامسة او السادسة اصطدمت الفأس بسطح ذي رنين يشبه الحديد ، وسرعان ما رأى الشاب خزانة من خشب البلوط مثبتة بأحزمة من الفولاذ .. وفي وسط غطائها لوحة فضية حفر عليها شعار أسرة سبادا !

وامسك الصندوق من مقبضه وحاول ان يرفعه ، فلم يفلح .. فحول همه الى محاولة فتحه .. وبعد جهود جبارة بمختلف الوسائل لانث الاقفال وانكسرت . ولكنه أصيب بدوار ، فأغمض عينيه وفتحهما ، ليستوثق من انه لا يحلم !

كان الصندوق مقسما الى ثلاثة أقسام : لمعت في الاول منها اكوام من العملة الذهبية البراقة .. وكان القسم الثاني يحوى كتلا من الذهب غير المصقول .. أما الثالث فقد اغترف الشاب منه بيديه حفنات من الجواهر الغلابة ، من ماس ولؤلؤ وياقوت .. !

وحين استرد هدوءه وأطربته فرحته عكف على احصاء محتويات كنزه : كانت هناك ألف سبيكة من الذهب الخالص ، زنة كل منها من رطلين الى ثلاثة .. ثم خمسة وعشرون ألف ريال ، يساوي كل منها نحو ثمانين فرنكا من العملة المتداولة ، ويحمل رسم البابا الكسندر السادس واسلافه .. ثم احصى عشرين حفنة من الماس والآلء النادرة

وكان النهار قد أوشك ان ينقضي ، فخشى دانتيس ان يفاجئه أحد في الكهف ففادته وبندقيته في يده . وفي تلك الليلة تناول عشاءه بضع قطع

من البسكويت وكأسا من الروم ، ثم اختلس من الليل بضع ساعات نامها فوق فوهة الكهف ، نوما متقطعا تتخلله مشاعر مختلطة من الفرح والفرح !



ولما اشرق النهار التالي بعد أن انتظره دانتيس بفارغ الصبر ، هبط الى مكان الكنز حيث ملأ جيوبه بالجواهر ثم اغلق الصندوق بأحكام وأعاد كل شيء الى مظهره الاول سواء في داخل الكهف أو خارجه ، بحيث لم يترك وراءه اثرا ينم عن اقتراب انسان من المكان !.. ثم رضى على الشاطئ في انتظار وصول قافلة من البحارة !

وفي اليوم السادس عاد المهربون الى الجزيرة ، فلم يكذ دانتيس يلمح شراع السفينة «اميليا الشابة» حتى خف الى الشاطئ ليستقبل اخوانه .. وحرص على أن يقول لهم أن اصابته لم تشف تماما ، وإن خفت حدة آلامه !.. وفيما هو يشتر معهم فهم من حديثهم أنهم يخشون أن تلتقى بهم سفينة من سفن حراس السواحل علموا أنها غادرت ميناء طولون لمطاردهم !.. ولم تضع الجماعة وقتا في الانتظار فأقنع الجميع بسفينتهم الى ميناء «ليجهورن» .. وهناك عرج دانتيس على جوهرى يهودى باع له اربعة من الاحجار الصغيرة التى يحملها في جيوبه بعشرين ألف فرنك .. ثم عاد يقول لزملائه البحارة المهربين أن ميراثا قد آل اليه من عم له ، وأنه سوف يتركهم نهائيا . ثم قدم لصديق له منهم كان قد احبه - ويدعى «جاكوبو» - سفينة شراعية جديدة على سبيل الهدية ، علاوة على مبلغ من المال يعينه على استئجار بحارة لحسابه والاستقلال بالعمل ، مقابل شرط واحد اشترطه دانتيس عليه ، هو ان يذهب من فورهِ الى مارسيليا ويستقضى أبناء شيخ مسن يدعى «لويس دانتيس» يقطن حارة «دى ميان» ، وفئة شابة تدعى «مرسيدس» من قاطنات قرية «كانالان»

وفي صباح اليوم التالى ابخر جاكوبو بسفينته الى مارسيليا ، على أن يعود فيلتقى بولى نعمته في جزيرة مونت كريستو ، حيث يقدم له تقريرا عن المهمة التى اداها في مارسيليا !

وبعد أن ودع دانتيس زملاءه «المهربين» ووزع عليهم الهبات والهدايا لمناسبة الارث الذى آل اليه ، رحل وحده الى جنوة .. وعند وصوله كان أحد اساطين بناء السفن يجرى تجربة «يخت» جديد صنعه لثرى انجليزى ، مقابل مبلغ أربعين ألف جنيه . فعرض عليه دانتيس أن يبيعه اياه بثمن يزيد عشرين ألفا أخرى !.. ووجد الصانع ان فى وسعه بناء يخت آخر مماثل قبل موعد وصول الثرى الانجليزى لتسلمه ، فقبل ما عرضه عليه الشاب .. وعندئذ قاده دانتيس الى منزل تاجر يهودى ، حيث خلا هو الى التاجر فترة باعه خلالها عددا من الجواهر التى يحملها في جيوبه ،

تم خرج فدفن الى صاحب اليخت الثمن المتفق عليه .. وطلب اليه ان يصنع خزانة سرية توضع في نخباً غير منظور في كابينته الخاصة باليخت .. فاتم الصانع المهمة المطلوبة منه في اليوم التالى ..

وبعد ساعتين ابهر داننيس باليخت من ميناء جنوة ، بين حشد من المتفرجين الذين تجمهروا ليروا النبيل « الاسبانى » الذى يقود يخته بنفسه ! .. وعند غروب شمس اليوم التالى رسا داننيس بيخته في احد خلجان الجزيرة ، ولم يكد يشرق النهار حتى عكف على نقل كنزه الضخم الى المخبأ السرى الذى في كابينته ، ففرغ من مهمته قبل الغروب !

ثم قضى داننيس اسبوعا آخر يتجول بيخته حول الجزيرة - في انتظار عودة جاكوبو - ويدرس معالمها بعناية الفارس البارع الذى يدرس مؤهلات جواده الجديد الذى يعده للاشتراك في سباق حاسم !

وفي اليوم الثامن لمح سفينة جاكوبو الصغيرة تدنو من الجزيرة ، وحين رسا بها صاحبها الى جوار يخت مولاه حمل اليه نتيجة ابحائه بصدد المهمتين اللتين عهد بهما اليه .. وكانت نتيجة غير سارة : فان « لويس داننيس » قد مات .. اما مرسيديس فاخفت ولا يعلم احد عنها شيئا !

اصفى الشاب الى هذه الأنباء بهدوء متكلف ، ثم قفز نحو الشاطئ في خفة معربا عن رغبته في ان يترك وحده بعض الوقت .. وحين عاد بعد بضع ساعات امر اثنين من بحارة جاكوبو باعداد اليخت للمسير ، في اتجاه مرسيليا ! .. لقد كان داننيس متاهبا لنبا موت ابيه ، اما اختفاء خطيبته الغامض فلم يدر كيف يعالله !

ولم يكن في وسعه ان يزود احدا من رجاله بتعليمات واضحة بصدد المستقبل ، بغير ان يفشى سره .. الى ان بعض المعلومات التى كان يريد الوصول اليها لم تكن تصلح بطبيعتها لان يستقصيها سواه . وكانت المرأة قد دلته عند وصوله الى ليجهورن على ان هيئته قد تغيرت بحيث لم يعد في امكان احد ان يعرف حقيقة شخصيته ! .. هذا الى كونه يملك الآن من وسائل التنكر ما يكفل اتخاذه اى اسم واية شخصية يقع اختياره عليها !

وهكذا رسا بيخته ذات صباح جميل في ميناء مرسيليا ، تتبعه سفينة جاكوبو الصغيرة .. واختار لرسوه الرصيف المواجه لذلك الذى حمل منه الى القارب الذى اقله الى سجن « قصر ايف » الرهيب ، في تلك الليلة الليلية التى لا تنسى !

وبرغم انه كان يرتجف رجفة غير ارادية كلما وقع بصره على احد رجال الشرطة ، فانه تدرع بقدرته على تمالك نفسه ، وكان قد تعود ذلك اثناء معاشرته للراهب العلامة فاريا في السجن ، فلم يبد عليه ادنى انفعال وهو يقدم الى شرطة الميناء جواز سفره الانجليزى الذى حصل عليه من ليجهورن .. وبفضل ذلك الجواز الاجنبى الذى يحترم في فرنسا اكثر من

جوازات البلاد نفسها ، استطاع أن ينزل الى البر بلا صعوبة تذكر !  
وكان أول من لفت نظره على أرصفة الميناء بحار من مرؤوسيه القدامى  
في السفينة « فرعون » ، فخطر له أن يمتحن تنكره بالتحدث الى الرجل ..  
فأتجه اليه وراح يلقي عليه بعض الأسئلة المختلفة وهو يرقب تعبير وجهه  
بعناية .. لكن البحار لم تصدر عنه كلمة أو نظرة تلقى في الروح أنه قد رأى  
محدثه يوما من الأيام من قبل ! .. وفي النهاية منحه دانتيس قطعة من النقود  
جزاء له على شهامته وانصرف !

وكانت كل خطوة يخطوها تقبض قلبه وتثير في نفسه عواطف وذكريات  
شتى .. فلما بلغ نهاية شارع « دى نواي » ولمح حارة « دى ميان » ..  
اهتزت ركبته لفرط تأثره حتى كاد يسقط تحت عجلات عربة عابرة ! ..  
وأخيرا بلغ المنزل المتواضع الذي كان يقطنه أبوه !

كان المسكن الصغير الذي عاش فيه الأب يقع في الطابق الخامس ، حيث  
يسكن الآن شاب وعروس لم يمض على زواجهما أسبوع .. ولم يكن قد  
بقي من مظهر المسكن القديم غير جدرانه .. فالتمس الزائر رؤية المسكن ،  
وحين لحظ الزوجان عليه علائم التأثير العميق آثرا أن يحترما قداسة حزنه  
فلم يسألاه عن سببه وملابساته وتركاه يتأمل المكان كما يشاء .. فلما  
انسحب آخر الأمر من موطن ذكرياته رافقا حتى الباب ووجها اليه الدعوة  
كى يعود لزيارة المكان في الوقت الذي يروقه !

وأثناء نزول دانتيس السلم توقف في الطابق الرابع ليستفسر عما إذا كان  
« التريزي » المدعو « كادروس » ما يزال يقطن مسكنه القديم ؟ .. فقيل له  
أن الرجل قد أصيب بضائقة جعلته يهجر مهنته ، وأنه الآن يدير حانة  
صغيرة على الطريق بين « بيلجارد » و « بوكير »

ثم استفسر عن مالك المنزل ، فلما عرفه وكل مسجلا للعقود فابتاعه  
له من مالكة باسم « اللورد ويلمور » — وهو الاسم المثبت في جواز سفره  
الانجليزي — مقابل مبلغ خمسة وعشرين ألف فرنك ، وهو مبلغ يساوي  
عشرة أضعاف قيمته الحقيقية .. ولو طلب المالك نصف مليون من الفرنكات  
ثمنا له لحصل عليها ! .. وفي اليوم نفسه أخطر مسجل العقود قاطني الطابق  
الخامس أن المالك الجديد يعرض عليهما أن يختارا أى مسكن آخر في المنزل  
بالإيجار الزهيد نفسه ويخليا مسكنهما الصغير !

وقد أثارت هذه القصة الغريبة اهتمام أهل الحى وفضولهم ، فراحوا  
يعللونها بشتى التعليلات ، لكن تمليلا واحدا منها لم يقترب من الحقيقة  
الخفية أو يحوم حولها !

## جزاء الوفاء

لعل الذى طافوا بجنوب فرنسا ، مروا خلال الطريق بين مدينة « بوكير » وقرية « بيلجارد » بحانة صغيرة يوزجج الهواء على واجهتها لافتتها المصنوعة من الصفيح . . . وقد أشرف على ادارتها خلال السنوات السبع الاخيرة رجل وزوجته ، يعاونهما اثنان من الخدم . أما الرجل فكان صاحبنا « الترزى » القديم « جاسبار كادروس » . . . وأما زوجته فكانت امرأة شاحبة يبدو عليها المرض ، لا تكاد تبرح مخدعها فى الطابق الثانى ، بينما يشرف زوجها على استقبال الرواد واجابة طلباتهم !

وفى ذات يوم رأى كادروس رجلا يرتدى مسوح رجال الدين السوداء ويمتطي جوادا ، مقبلا من جهة بيلجارد ، وعلى رأسه قبعة مثلثة الاركان . . . فلما ترجل أمام باب الحانة استقبله صاحبها مرحبا ، فألقى عليه القس نظرة طويلة فاحصة ، ثم قال يسأله فى لهجة ايطالية قوية : « أنت مسيو كادروس على ما أعتقد ؟ » أما أنا فأدعى القس « بوزونى » . . . هل عرفت فى سنة ١٨١٤ ، أو ١٨١٥ ، بحارا شابا يدعى دانتيس ؟ »

فأجابه كادروس وقد احفر وجهه تحت نظرة القس الصافية الهادئة : « دانتيس ؟ نعم . . . لقد كان ادمون دانتيس من أعز أصدقائى ! »

ثم استطرد بعد حين قائلا : « أخبرنى اذا سمحت أيها الأب : ماذا جرى لادمون التنعس ؟ هل تعرفه ؟ هل هو حي مطلق السراح ؟ هل هو موسر وسعيد ؟ »

— بل انه مات سجيننا تعسا محطم القلب فريسة لليأس المريع . . .

عندئذ غامت على وجه كادروس سحابة من الشحوب الشبيهة بشحوب الموتى ، ثم أدار وجهه بعيدا ، وراه القس يمسح الدموع عن عينيه بطرف المنديل الاحمر المربوط حول رأسه . . . ثم أردف : « هل كنت تعرف الفتى المسكين اذن ؟ »

— لقد استدعيت لأراه على فراش الموت ، كى أدخل على نفسه عزاء الدين . . . ولقد أقسم دانتيس فى حضرة الموت انه يجهل كل شئ عن سبب سجنه ! فغمغم كادروس : « هذا صحيح . . . آه يا سيدى ، ان الفتى المسكين قد ذكر لك الحقيقة ! »

فقال القس : « ولهذا السبب ناشدنى أن أكشف الستار عن لغز لم



يستطع يوما أن يحله ، وأن انقى ذكراه من أية وصمة أو شائبة تكون قد علفت بها ! »

وهنا استراحت نظرات القس على وجه كادروس الذى تمشت فيه كآبة وانقباض شديدان . ثم استطرد قائلا : « لقد عرف دانتيس فى سجنه ثريا انجليزيا أطلق سراحه فى عهد الامبراطورية الثانية ، كان يملك ماسة كبيرة القيمة أهدها يوم خروجه من السجن الى دانتيس ، اعرابا عن امتنانه وشكره له على العناية والعطف اللذين أظهرهما الشاب نحوه وهو يمرضه أثناء اصابته بمرض خطير فى سجنه . وتقدر الماسة بنحو خمسين ألف فرنك ! »

وأخرج القس من جيبه علبة صغيرة فتحتها فبهرت الماسة التى فى داخلها عيني كادروس ، الذى سأله ملهوها : « ولكن كيف وصلت الماسة الى حيازتك يا سيدى ؟ هل أوصى لك ادمون بها ؟ »

فقال القس : « كلا ! بل جعلنى منفذا لوصيته ، وقد ذكر لى أنه كان يوما له أربعة اصدقاء اوفياء ، الى جانب العذراء التى كان خطيبها . وقد شعر بأنهم جميعا تألموا لفيا به أشد الألم . أحدهم يدعى كادروس . »

وهنا ارتجف صاحب الحانة لذكر اسمه . بينما استطرد محدثه يروى على لسان دانتيس ، متظاهرا بأنه لا يلاحظ ارتباك كادروس : « والصديق الثانى يدعى دانجلر . والثالث كان برغم أنه غريبه يحبه أخلص الحب ، وكان اسمه فرناند . أما خطيبته فاسمها مرسيديس . وقد كلفنى أن أذهب الى مرسيليا لأبيع الماسة وأقسم ثمنها الى خمسة أنصبة متساوية ، ثم أعطى كلا من هؤلاء الاصدقاء الاوفياء نصيبا منها . فهم وحدهم الذين أحبه على الارض »

— ولكنك لم تذكر غير أربعة أسماء . فمن الخامس ؟

— الخامس هو والد دانتيس ، وقد علمت أنه توفى !

— هذا صحيح يا سيدى ! ان الشيخ المسكين قد مات !

وكادت تخنقه غصته وانفعاله . بينما استطرد الاب بوزونى قائلا وهو يبذل جهدا كبيرا كى يخفى تأثره : « لقد وقفت من أبحاثى فى مارسيليا على معلومات كثيرة ، لكنى عجزت عن الاهتداء الى من يصف لى كيف كانت نهاية والد دانتيس ، فهل تعرف شيئا فى هذا الصدد ؟ »

— ومن يعرف اذا لم أعرف أنا ؟ لقد كنت أعيش فى المسكن الذى يقع أسفل مسكن الاب مباشرة . لقد مات لويس دانتيس بعد نحو عام من اختفاء ولده ، والناس يقولون انه مات من الحزن ، أما أنا الذى رأيته فى ساعات احتضاره فأقول لك انه مات من الجوع !

فهتف القس وهو يهب من مقعده : « مات من الجوع ؟ ان شر الحيوانات لا تموت هذه الميتة البشعة ! هذا مستحيل ، مستحيل ! »

فاستطرد كادروس مستدركا : « لست أعنى أن الجميع قد هجروه أو نبذوه تماما ، فان مرسيديس ومسيو موريل كانا يعطفان عليه ٠٠ ولكن لسبب ما ظل الشيخ التعس يكن كراهية شديدة للمدعو « فرناند » ٠٠ الذى ذكرت اسمه منذ حين بين أصدقاء دانتييس الاوفياء »

— أولم يكن كذلك فى الواقع ؟

— وهل يمكن أن يكون الرجل وفيلا لغريمه الذى ينافسه على الخطوة بالمرأة التى يحبها ويريدها لنفسه ؟ ٠٠ مسكين ادمون ، لقد خدعوه بقسوة ، لكنه لحسن الحظ لم يعرف ، والا لتعذر عليه وهو على فراش الموت أن يصفح عن أعدائه ٠٠ والواقع أن هبة ادمون المسكين لا يستحقها الحقنة أمثال فرناند ودانجلر ، اللذين وشيا به باعتباره من عملاء نابليون ٠٠ لقد كنت حاضرا ذلك الحادث

— وهل لم تحتج أو تعترض على هذا الاثم ٠٠ انك اذا كنت لم تفعل فقد كنت شريكا فيه !

— سيدي ، انهما قد سقياني من الخمر ما أفقدنى كل وعى تقريبا ، بحيث لم أعد أشعر بما يجرى حولى الا شعورا مبهما غير واضح . وقد قلت كل ما كان فى استطاعة من فى مثل حالتى تلك أن يقول ، لكن اللعينين أكدا لى انهما يمزحان ولا ضرر من مزاحهما البتة ٠٠ ومع ذلك فان وخز الضمير يطاردنى ليل نهار !

— لقد أشرت الى شخص يدعى مسيو موريل ، فمن يكون ؟

— انه صاحب السفينة فرعون ورئيس دانتييس ، وقد توسط من أجله عشرين مرة . وحين عاد الامبراطور الى عرشه طالب بالافراج عن السجين بحماسة جعلت القوم يضطهدونه فيما بعد باعتباره من أنصار بوناپرت ٠٠٠ وقد ذهب لزيارة والد دانتييس عشر مرات ، ودعاه كي يزوره فى بيته . وقبل وفاة الرجل بيوم أو اثنين ترك مسيو موريل كيس نقوده فوق رف المدفأة ، فدفعت منه ديون الميت وأنفق على دفنه بالمظهر اللائق . وهكذا مات والد ادمون ، كما عاش ، دون أن يؤذى أحدا . وما زلت أحتفظ بكيس النقود المذكور . انه كبير ، ومصنوع من الحرير الاحمر !

— وهل ما يزال مسيو موريل على قيد الحياة ؟ لا ريب انه الآن ثرى سعيد ؟

فابتسم كادروس فى مرارة وأجاب : « انه فى أسوأ حال ، يكاد يشرف على الافلاس والدمار ، بعد خمس وعشرين سنة من العمل المتواصل الذى أكسبه أحسن سمعة فى دوائر مارسيليا التجارية . لقد فقد الرجل خمس سفن فى مدى عامين ، وخسر أموالا طائلة بسبب افلاس ثلاثة من البيوت المالية الكبرى . والآن بات أملة الوحيد معلقا على وصول السفينة «فرعون» سالمة ، وهى السفينة التى كان دانتييس المسكين ربانها ، وينتظر وصولها

من جزر الهند حاملة شحنة من النيلة ودود القرمز .. فاذا غرقت هذه السفينة مثل سابقتها فعلى الرجل السلام !! ان له زوجة كانت تصرفاتها برغم كل الظروف أشبه بتصرفات الملائكة .. كما أن له ابنة كانت على وشك الزواج من الشاب الذى تحبه لكن أسرته سوف تحول الآن دون زواجه من ابنة تاجر مقلس .. وله أيضا ابن يدعى مكسمليان يعمل ملازما فى الجيش .. وهكذا ترى أن كل ذلك يزيد فى أحزانه وأشجانه ، فلو كان وحيدا فى الدنيا لا قرغ رصاصة فى رأسه واستراح !»

— هذا فظيح !

— وهكذا تكافئ السماء الفضيلة يا سيدي ! فانا الذى لم أفعل يوما شرا — عدا الذى ذكرت لك قصته — أعانى ضائقة شديدة، وزوجتى تموت من الحمى أمام عيني ، وأنا عاجز عن أن أصنع شيئا من أجلها . انى سوف أموت جسوعا ، كما مات والد دانتيس ، بينما يتمرغ دانجلر وفرناند فى الثراء الفاحش .. لقد جلبت عليهما أفعالهما الحظ الحسن ، بينما أصاب الشقاء والبؤس الرجال الشرفاء !»

— وماذا صار من أمر دانجلر ، المتآمر الأول كما تقول ؟

— لقد غادر مارسيليا على أثر اعتقال دانتيس الى حيث عين — بوساطة موريل الذى جهل كل شيء عن جريمته — صرافا فى بنك اسباني . وخلال الحرب مع اسبانيا استخدم فى قوميسيرية الجيش الفرنسى حيث جمع ثروة، ثم ضارب بها فى البورصة فضاعفها ثلاث مرات أو أربع مرات . وقد تزوج أولا ابنة صاحب البنك الذى كان يعمل فيه ، لكنها ماتت ، فتزوج للمرة الثانية من أرملة تدعى مدام دى نارجون ، هى ابنة مسيو دى سرفيو كبير أمناء الملك . انه الآن مليونير وقد أنعموا عليه بلقب بارون ، فصار يدعى « البارون دانجلر » .. وهو يقطن قصرا فاخرا فى شارع « مون بلون » ، به حظيرة تضم عشرة جياد ، وستة من الخدم ، أما ملايينه التى فى البنك فلست أعرف عددها !»

— وفرناند ؟

— ان له قصة مشابهة .. فعلى اثر عودة الامبراطور جند للجيش ، كما جندت انا أيضا ، لكننى كنت اكبر منه سنا ، ومتزوجا حديثا من زوجتى المسكينه ، فأرسلت الى الساحل .. اما هو فقد انضم الى الجيش العامل ومضى مع فرقته الى الجبهة حيث اشترك فى معركة « لينى » . وفى الليلة التالية للمعركة عهد اليه فى الوقوف ( ديدبانا ) أمام باب جنرال كان على اتصال سرى بالاعداء .. وفى تلك الليلة كان على الجنرال أن يذهب الى خطوط الانجليز ، فعرض على فرناند أن يرافقه .. فوافق هذا ، وهجر مركز حراسته وتبع الجنرال !! ولو بقي نابليون على عرشه لحكم فرناند أمام مجلس عسكري ، لكن بلاط الملك كافاه على فعلته !! وهكذا عاد الى فرنسا برتبة صف ضابط ، وبفضل عطف الجنرال ووساطته رقى الى

يوزباشى فى سنة ١٨٢٣ ، خلال الحرب الاسبانية ٠٠ اى فى الوقت الذى قامر فيه دانجلر بمضارباته الاولى ٠ ولما كان فرناند من أصل اسباني فقد أرسل الى اسبانيا ليعمل على تهدئة شعور مواطنيه ، وهناك التقى بدانجلر وتوطدت بينهما الصلات ٠٠ وما لبث أن ظفر بمعاونة الملكيين فى العاصمة وأدى من الخدمات خلال تلك الحملة القصيرة ما نتجت عنه ترقيته عقب معركة ( تروكاديرو ) الى رتبة اميرالاي ومنحه لقب ( كونت ) ووسام الضابط فى فرقة الشرف ( اللجيون دونور ) !

فغمغم القس : « يا لها من أقدار ٠٠١ »

واستطرد كادروس : « هذا صحيح ، ولكن اسمع البقية : فعند انتهاء الحرب الاسبانية تأثر مستقبل فرناند ومصالحه بالسلام الطويل الذى بدا أنه يسود أوربا ، ولم يعكره غير اقدام اليونان على شن الحرب ضد تركيا ، من أجل استقلالها ٠٠ وعندئذ استدارت العيون جميعا نحو أثينا ، حتى صار شعار العصر كله الاشفاق على اليونان وتعزيدهم ٠٠ ومن هنا سمحت حكومة فرنسا بتأليف جيش من المتطوعين لنصرة جارتها ، دون أن تتولى ذلك التعزيز رسميا ٠٠ فسعى فرناند حتى حصل على إذن بالسفر للخدمة فى اليونان ، وكان اسمه ما يزال مدرجا فى سجلات الجيش وبعد فترة من الزمن أعلن أن الكونت دى مورسرف - وكان هذا هو الاسم الذى صار يعرف به - قد التحق بخدمة الوالى الألباني « على باشا » فى درجة « مشير عام » ٠٠ وقد قتل على باشا ، لكنه قبل أن يموت رأى أن يكافئ فرناند على خدماته بأن يترك له مبلغا من المال عاد به هذا الى فرنسا ، حيث رقى الى رتبة لواء ٠٠ وهو الآن يملك قصرا فاخرا - رقم ٢٧ شارع « دى هيلدر » بباريس !

فتح القس فمه دهشة ، وتردد لحظة ، ثم بذل جهدا كبيرا كى يتمالك نفسه ، وأخيرا قال : « ومرسيدس ؟ ماذا كان مصيرها ؟ يقولون انها اختفت ! »

فأجاب كادروس : « مرسيدس اليوم من أعظم نساء باريس ! لقد أصيبت عقب اعتقال دانتيس بنوبة من اليأس البالغ كادت تقضى عليها ٠٠ وكم استعظفت المحقق مسيو دى فيلفور ، ولكن بلا جدوى ! ٠٠ وأخيرا جعلت مهما أن تعنى بالشيخ المهدم والد ادمون ٠ وفى غمرة ياسها أصابها مكروه جديد ، هو رحيل فرناند الى الحرب ٠ ولم تكن قد عرفت بدور فرناند فى اعتقال حبيبها ادمون ، والجريمة التى اقترفها نحوه ، فلما ذهب بدوره أحسست أنها فقدت أختها بعد خطيبتها ، وبقيت وحيدة ! ٠٠ وانقضت ثلاثة أشهر بدون أن تتلقى أى نبأ من ادمون ، أو من فرناند ، فصار البكاء ملاذها الوحيد ٠ لم تبق لها غير رفقة شيخ مهدم يقتله اليأس قتلا بطيئا ٠٠ وذات مساء سمعت خطوات أدركت أنها خطوات فرناند ، وظهر هذا أمامها بستره صف الضابط ٠ لم يكن هو حبيبها المنشود ، لكنها أحسست كان جانبا من

حياتها الماضية قد رد اليها . لقد ملك آخر قلبها ، لكن هذا الآخر غائب ، مختفئ ، ولعله قد مات !! ولدى هذه الفكرة الاخيرة كانت مرسيديس تنخرط فى البكاء ، وتضم يديها فى لوعة وضراعة .. لكن الخاطر الذى طالما استبشعته من قبل ، حين كان يقترحه عليها أحد ، فرض نفسه الآن من تلقاء ذاته على ذهنها .. وفى الوقت عينه كان دانتييس الشيخ لا يفتأ يقول لها : « مات حبيبنا ادمون .. والا لعاد الينا ! » .. ولكن لو عاش الشيخ لما صارت مرسيديس زوجة لآخر ، غير ابنه .. فانه لم يكن ليكيف عن تأنيبها وتحذيرها من الخيانة .. وقد أدرك فرناند ذلك ، فلما سمع بوفاة الرجل عاد .. وكان قد صار ملازما . وفى الزيارة الاولى لم يتفوه بحرف لمرسيديس عن حبه اياها .. وفى الثانية ذكرها بأنه يحبها .. فطلبت اليه أن ينتظر ستة أشهر أخرى تحزن خلالها على ادمون وترتدى السواد ! » فقال الأب بوزوئى وهو يبتسم ابتسامة مريرة :

— اذن فقد أخلصت لحبيبها ثمانية عشر شهرا فى الجملة . فقيم بطمع أكثر من ذلك أعظم العشاق ولها وهياما ؟ ثم ردد مغمضا كلمات الشاعر الانجليزى : ( يا ضعف الارادة .. يا وهن العزيمة .. ان اسمك : المرأة ) واستطرد كادروس : « وبعد ستة أشهر من ذلك التاريخ تم الزفاف فى كنيسة » اكول » !

فغمغم الكاهن : « الكنيسة ذاتها التى كان سيعقد فيها زواجهما من ادمون ! .. لم يطرأ غير تغيير فى شخص الزوج ! »

واستأنف كادروس حديثه : « وهكذا تزوجت مرسيديس ، لكنها كادت يفنى عليها وهى تمر أمام حانة ( لاريوزف ) ، حيث احتفل قبل عام ونصف عام بخطبتها الى ذاك الذى لو أمعنت النظر الآن فى أعماق قلبها لأدركت أنها ما تزال تحبه ! .. وفى حمى فزع فرناند من عودة دانتييس ، حرص على الابتعاد بنفسه وبزوجته عن المدينة .. فلم تنقض عشرة أيام على الزواج حتى غادرا مرسليليا ! »

— وهل لم تر مرسيديس بعد ذلك ؟

— بل لقد رأيتها ، خلال الحرب الاسبانية ، فى « بربجنان » حيث كان فرناند قد تركها تعنى بتربية ولدها

— ابنها ؟

— نعم .. « ألبرت » الصغير !

— ولكن ، كى تستطيع تثقيف ابنها لا بد أن تكون هى على قدر من الثقافة . وقد فهمت من ادمون أنها ابنة صياد بسيط .. جميلة ولكن ليست متعلمة !

— انها من الذكاء بحيث كيفت نفسها حسب مركز زوجها وثروته ، فتعلمت الرسم ، والموسيقى ، وكل شئ .. واعتقد أنها فعلت ذلك كى تشغل نفسها عن التفكير فى حبه القديم وتنسى الماضى . لقد ملأت رأسها كى

تخفف العبء الذى يشغل قلبها • وهى الآن غارقة فى الثراء والمجد واللقاب  
• • لكنها فيما أعتقد غير سعيدة !

– وما الذى يجعلك تعتقد ذلك ؟

– عندما اشتدت بى الضائقة فكرت فى أن ألجأ الى أصدقائى القدامى ،  
لعلهم يساعدوننى • فذهبت الى دانجلر ، لكنه أبى أن يستقبلنى • ثم  
ذهبت الى فرناند ، فأرسل الى مائة فرنك مع خادمه • • وفيما أنا خارج  
سقط عند قدمى كيس نقود يحوى خمسة وعشرين جنيهًا ، فرفعت رأسى  
نحو مصدره بسرعة ، واذ ذاك رأيت مرسيديس فى النافذة ، لكنها سارعت  
الى اغلاقها !

– ومسيو دى فيلفور ؟ هل تعلم ما صار اليه ، ونصيبه فى المأساة التى  
حلت بادمون ؟

– كلا ، كل ما أعلمه عنه انه بعد اعتقال ادمون بزمان وجيز تزوج من  
الآنسة دى سان ميران ثم غادرا مرسييليا على الاثر • ولا شك أنه كان  
محظوظا مثل الآخرين • • وهكذا لم يبق فقيرا تعسا منسيا سوى !

– أنت مخطيء يا صديقى • • قد يبدو أحيانا كأن الله ينسى أن ينصف  
المظلوم فترة من الوقت ، لكن عدالته تمهل ولا تمهل ، واليك الدليل !

وأخرج القس من جيبه العلبة التى تحوى الماسة الشينة وأعطاهها للرجل  
قائلا : « اليك يا صديقى • خذ هذه الماسة ، فهى لك ! »

فصاح كادروس : « ماذا ؟ • • على أنا وحدى ؟ • • بربك لا تسخر منى  
يا سيدى ! »

– كان المفروض أن يقسم ثمن هذه الماسة بين أصدقاء ادمون جميعا • •  
ولكن لم يكن له فى الحقيقة غير صديق واحد ، واذن فلا داعى لتجزئتها •  
خذ الماسة اذن وبمعا ، انها تساوى خمسين ألف فرنك ، وأرجو أن يكفى  
هذا المبلغ لانقاذك من ضائقتك !

فقال كادروس وهو يمد احدى يديه فى خجل لياخذ الماسة ، ويعجف  
العرق المتصبب على جبينه باليد الأخرى :

– سيدى • • لا تسخر من سعادة انسان أو شقائه !

– انى أعلم ما هى السعادة وكيف يكون الشقاء ، وحاشاى أن أسخر من  
عواطف الناس ومشاعرهم • • خذ الماسة اذن • • وأعطنى فى مقابلها كيس  
النقود الحريرى الاحمر الذى تركه مسيو موريل فوق رف مدفأة دانتيس  
الآب والذى تقول انه فى حيازتك !



## غادة الكرنفال

فى أواخر سنة ١٨٣٧ وصل الى روما لحضور « كرنفالها٠٠ » الكبير شابان ينتميان الى مجتمعات باريس الرئيسية ، هما : الفيسكونت « ألبرت دى مورسيرف » والبارون « فرانز ديبيناي »

وكان الجناح الذى أقاما به فى الفندق مؤلفا من حجرتين صغيرتين وردهة أما بقية الطابق الفسيح الذى به هذا الجناح فكان يشغله ثرى من نبلاء صقلية أو مالطة يدعى « الكونت دى مونت كريستو »

وأوصى الشابان السنيور « باسترينى » صاحب الفندق أن يبحث لهما عن عربة تكون تحت تصرفهما أثناء احتفالات الكرنفال ٠٠ لكنه عجز عن العثور على العربة المطلوبة ، من فرط ازدحام المدينة بالسائحين ٠٠ وفى اليوم التالى عاد اليهما الرجل يقول : « ان الكونت دى مونت كريستو يعرض عليكما مكانا فى عربته ومقعدين فى نافذته بقصر ( روسبولى ) كى تشاهدا منها الاحتفال »

ثم قادهما الى جناح الكونت ودق الجرس ، فظهر خادم دعاهما الى الدخول وأجلسهما فى حجرة استقبال فاخرة حافلة بالرياش والطنافس والسجاد التركي الثمين والأرائك المريحة والمقاعد الوثيرة والوسائد والستائر الثمينة وظهر خلفها الكونت صاحب كل هذا الثراء ٠٠ وكان برغم شحوبه ذا وجه وسيم وعينين نفاذتين براقتين ، وأنف مستقيم ، وأسنان بيضاء ناصعة كاللؤلؤ ، يعلوها شارب أسود فاحم يزيد بها جمالا ٠٠ أما قامته فكانت متوسطة الطول متناسبة التكوين ٠٠ وكانت يدها وقدماه صغيرتين شأن أهل الجنوب

وابتدر الكونت دى مونت كريستو ضيفيه قائلا : « أرجو أن تغفرا لى دعوتكما الى زيارتى أولا ، فقد خشيت أن أزعجكما فيما لو سبقت الى زيارتكما ! »

فقال الكونت وهو يشير الى الشابين كى يجلسا : « الواقع أن ذلك الغيبى ( باسترينى ) هو المسئول عن عدم مبادرتى الى ذلك قبل هذه الساعة ، فهو لم يشير بكلمة الى جيتكما قبل اليوم ، فى حين أنه يعلم مبلغ ترحيبى - فى وحدتى وعزلتى - بانتهاز كل فرصة للتعارف مع جيرانى ٠٠ والان أرجو أن تشرفانى بتناول الافطار معى »

فقال البرت : « اننا يا سيدي الكونت لننسرك لك كرمك وأريجنبد ورجو ألا نكون قد أثقلنا عليك »

فقال : « كلا ! » بل انكما سوف ندخلان السرور على قلبي .. ولعلني أتشرف يوما بزيارتكما في باريس ! »

ثم تطور الحديث بعد حين الى حكم باعدام اثنين من زعماء العصابات كان مزما تنفيذه في ذلك اليوم - فافاض الكونت في الحديث عن هذا الموضوع ، حتى قال له فرانز : « يلوح لي يا سيدي الكونت أنك درست مختلف العقوبات وأساليب التعذيب عند كل شعوب العالم ! »

فأجاب الكونت في برود : « هناك وسائل معدودة منها لم أشاهدها ! »

فسأله فرانز : « هل تجد متعة في مشاهدة هذه المناظر البشعة ؟ »

فأجاب الكونت بقوله : « كنت أول الأمر أرناع لمشاهدتها ، ثم صر أشعر ازاءها بعدم المبالاة . وأخيرا صار الفضول هو الذي يدفعني الى مشاهدتها »

وهنا غغم البرت قائلا : « الفضول ..؟ يا لها من كلمة رهيبة ! »

فالتفت اليه الكونت وقال له : « ان شغلنا الشاغل في الحياة هو الموت . فليس عجيبا أن يشتد بنا الفضول لدراسة مختلف الوسائل التي تؤدي الى فصل الروح عن الجسد ، أو التي يقابل بها مختلف الناس انتقالهم من الحياة الى الموت ، ومن الوجود الى العدم تبعا لاختلاف شخصياتهم وطباعهم وعادات بلادهم المختلفة .. واني لاؤكد لك أنك كلما رأيت عددا أكبر من الناس يموتون ، سهل عليك أن تواجه الموت .. وفي اعتقادي أن الموت قد يكون عذابا ، لكنه ليس تكفيرا ! »

فقال فرانزا مأخوذا : « لست أفهم ما تعنيه تماما يا سيدي الكونت ، فهل لك أن توضحه لي ..؟ انك تثير فضولي الى أقصى حد ! »

فأجابه الكونت وقد بدت في وجهه امارات الاسياء العميق : « سأوضح لك الأمر بمثل أضربه لك .. فأفرض ان انسانا قضى على حياة أبيك أو أمك أو خطيبتك أو أي عزيز لديك ، ليس فقدته يترك جرحا لا يندمل في صدرك ، ولا يزال حزنك عليه يؤرقك ويعذبك ما حييت ..؟ ان القصاص الذي يأخذ به المجتمع ذلك القاتل بفصل رأسه عن جسده بالمقصلة في ثوان معدودات ، لا يمكن أن ينسيك العذاب النفسي الذي تقاسيه بسبب الجريمة التي اقترفها . في حين انه هو لا يقاسي مثل ذلك العذاب الا بعض الوقت ، ريثما يؤخذ الى المقصلة حيث يتألم جسمه بضع ثوان ، ثم ينتهي كل شيء بالنسبة له ! »

فقال فرانز : « نعم .. ان العدالة البشرية لا تكفي لتعزيتنا ، وكل ما تفعله أنها تسفك دما مقابل دم .. لكن لا ينبغي لنا أن نطالبها بما ليس في طاقتها ! »



- دعنى أعرض عليك مثلاً آخر ، هناك الوف من حالات التعذيب يقاسى فيها المرء أشنع الولايات بلا علم المجتمع ، أو من غير أن يكفل له المجتمع الوسائل الكافية للانتقام !! وهناك جرائم لا يعاقب عليها المجتمع ، فى حين أن عقابها يجب أن يكون أشد من ( خوازيق ) الاتراك ، و ( بريعة ) الفرس ، ووشم الهنود بالنار !! الا تقع هذه الجرائم كل يوم ؟ »

- نعم ، انها تقع بلا ريب .. ولعل المبارزة ما شرعت الا لتكون وسيلة يلجأ اليها المعتدى عليه للانتقام من المعتدى !

- كلا يا سيدى !! ليس هو الانتقام المنشود .. فانا لجأ الى المبارزة فى الأمور التافهة ، وغالباً لا ينجو خصمى من الموت بفضل براعتى فى أنواع الرياضة البدنية ، وتمردى الاستهانة بالخطر .. أما الانتقام بمعنى التعذيب البطيء العميق المستمر ، فمن رأى أن يتبع المرء فيه القاعدة القديمة ( العين بالعين ، والسن بالسن ) ، كما يقول الشرقيون أساذتنا فى كل شيء ، أولئك المحظوظون الذين رسموا لأنفسهم حياة من الأحلام وجنة من الحقائق !

- لكنك تبعا لهذه النظرية التى تجعل نفسك بها قاضياً وإجلالاً فى قضيتك الشخصية ، يكون من العسير أن تنجو دائماً من الوقوع تحت طائلة القانون .. فالكراهية العمياء والحقد يحملانك على أن تركب الصعب من الأمور ، ومن يسكب الانتقام فى كؤوس الآخرين يعرض نفسه لخطر الشرب من كأس أمر !

- هذا صحيح اذا كان المرء فقيراً وغير محرب ، لا غنياً حاذقاً .. ثم ان أسوأ ما قد يصيبه لن يخرج عن حد العقاب السريع السهل الذى تحدثنا عنه ، والذى اتخذته الثورة الفرنسية الرحمة بدلا من التمزيق تحت سنابك الجياد أو العجلات . وما أتفه هذا العقاب ما دام الشخص قد انتقم لنفسه !؟



وفى هذه اللحظة سمعت دقات الأجراس فى كنيسة «مونتي سيتوريو» ولم تكن تدق الا عند وفاة البابا أو افتتاح الكرنفال ، فقال الكونت : «لقد بدا الاحتفال ، ويحسن أن نسارع الى ارتداء ثياب التنكر الخاصة به » . ثم أشار الى أزياء كثيرة أنيقة من حرير الساتان . كانت متراكمة على بعض المقاعد ، ليختاروا من بينها ما يشاءون

وحين فرغ ثلاثتهم من هذه المهمة ، هبطوا الى حيث كانت العربدة فى انتظارهم .. فدرجت بهم فى شوارع المدينة الحافلة بمواكب المهرجين وعربات الزهور وجموع المتنكرين فى أغرب الأزياء والاقنعة ، وكلهم بصخبون ويتصايحون ويتقاذفون كرات الورق الملون والبيض المحشو بالدقيق .

وحين بلغت العربية ثاني منعطف في الطريق ، أشار الكونت الى الحوذى بالوقوف ، واستأذن ضيفيه في الانصراف قائلا : « حين تملأن الاشتراك في التمثيل وتبغيان أن تصيرا متفرجين يمكنكما الحضور الى حيث حجزت لكما مكانا في نوافذى ٠٠ وفي انتظار ذلك أترك العربية والحوذى والخدم رهن اشارتكما ! »

فشكر فرانز الكونت على كرمه واهتمامه ، بينما انشغل البرت بالقاء الزهر والورق الملون على عربة ملائى بالمتنكرين في زى فلاحي الرومان ٠٠ ثم تابعت عربته والعربة الأخرى سيرهما في اتجاهين متضادين ، فتنهد الشاب متحسرا وقال لصديقه : « انك لم ترى يا فرانز ركاب تلك العربية ، لست أشك في أنهم جميعا من النساء الفاتنات المتنكرات في زى الفلاحين ! فعسى ألا ينتهى الكرنفال قبل أن تتاح لنا فرصة لقائهن مرة أخرى ! »

ولم يخبْ أمله ، فقد التقت العربتان بعد قليل في أحد الشوارع ، فألقت إحدى الفتيات المتنكرات باقة من زهر البنفسج على عربتهما ، فتلقفها ألبرت بيديه ٠٠ وعندئذ وعد فرانز صديقه الماخن بأن يقنع هو في اليوم التالى بمشاهدة الكرنفال من النافذة ويترك له العربية يتابع بها مغازلاته ! وفي المساء تلقى فرانز رسالة مكتوبة بخط البرت ، فقرأها مرتين بامعان قبل أن يفهم مدلولها ، وكان نصها :

« يا صديقى العزيز ٠٠

في اللحظة التي تصل فيها هذه الرسالة اليك ، أرجو أن تتكرم بأخذ دفتر الشيكات الذي يخصنى من درج المكتب الصغير الموجود في حجرة نومي ، ثم تضيف الى محتوياته كل ما تملك من مال ٠٠ وتهرع الى بنك ( تورلونيا ) لتسحب منه المبلغين فورا وتسلمهما لحامل هذا الخطاب ٠٠ واني أعتمد عليك في امدادى بلا ابطاء بالمال المطلوب لسبب غاية في الأهمية ! »

وكانت هناك تحت هذه الاسطر ، ملاحظة بخط البرت نفسه يقول فيها:

« لقد آمنت الآن بالعصابات الإيطالية ! »

كما كانت هناك عبارة أخرى كتبت تحت هذه الملاحظة بخط مغاير ، ونصها :

« اذا لم يصل الى مبلغ أربعة آلاف ليرة قبل الساعة السادسة صباحا ، فلن تحل الساعة السابعة حتى يكون الفيكونت البرت قد فارق الحياة ! »

« لويجي فامبا »

وقال فرانز محدثا نفسه : « اذن فقد وقع البرت في يد عصابة من اللصوص الخطرين ٠٠! وليس في الوقت متسع يمكن اضاعته » ٠ ثم نهض مسرعا ففتح درج المكتب الصغير حيث وجد دفتر شيكات البرت ، وكان الحساب المقيد فيه يدل على أن كل ما بقى له من رصيده في البنك ثلاثة آلاف ليرة

ولم يكن لفرانز حساب في البنك لأنه كان يعيش في فلورنسا وقد حضر الى روما ليقتضى سبعة أيام أو ثمانية ، ولم يبق من المبلغ الذي أحضره معه الا حوالى ثلاثمائة ليرة ، بينما كان عليه لكي يتم قيمة الفدية المطلوبة أن يحصل على ألف ليرة

وهنا تذكر فرانز صديقهما الكونت دي مونت كريستو ، فهرع اليه . ووجده في حجرة صغيرة تحف بها الأثاث الوثيرة ، فابتدرة الكونت سائلا : « أية ريح طيبة حملتك الى هنا في هذه الساعة ؟ هل أتيت لتتناول العشاء معي ؟ ان هذا يكون كرمًا منك ! »

فأجاب الشاب : « بل جئت لا تحدث اليك في مسألة خطيرة » ثم قدم له خطاب البرت ، فلما فرغ الكونت من قراءته قال يسأل فرانز : « أرى أن أذهب بنفسى للبحث عن « فامبا » هذا ، فهل ترافقنى ؟ » انهما ليلة رائحة الطقس تحلو فيها النزهة خارج المدينة . أين الرجل الذى أحضر الرسالة ؟

فقال فرانز : « انه ينتظر في الشارع ! »

فمضى الكونت الى النافذة وأرسل من فمه صفيرا خاصا غربيا ، وسرعان ما برز من جوار الحائط رجل يرتدى عباءة وخرج الى عرض الطريق ، فقال له الكونت بلهجة من يخاطب خادمه : « اصعد » فاطاعه الرسول فورا فى خضوع ، ولم تمض خمس ثوان حتى كان يطرق باب الحجرة . فقال له الكونت : « أهذا أنت يا ببينو ؟ »

لكن ببينو بدلا من أن يجيبه ارتمى على ركبتيه عند قدمي الكونت وتناول يديه يغمرهما بالقبلات . فقال له الكونت :

— آه ، اذن فانت لم تنس اننى أنقذت حياتك ؟ .. هذا غريب ، مع انه قد انقضى على الحادث أسبوع !

وتتمم الرجل فى خضوع : « لن أنسى ذلك ما حييت يا صاحب الفخامة ،

ثم سأله الكونت : « كيف وقع الفيكونت البرت في يد لويجي ؟ »

فأجاب : « أن عربة السيد الفرنسى مرت أكثر من مرة بمحاذاة العربة التى كانت فيها تيريزا عشيقته الزعيم ! وقد طلب منها الفرنسى موعدا لمقابلتها ، فضربت له الموعد فى المكان الذى حملته عربته اليه حيث كانت تنتظره ومعها لويجي فى سراديب مقابر سانت سباستيان ! »

فالتفت الكونت الى فرانز وقال له : « انها قصة شائقة ، ولو لم تجدنى هنا لكلفت المغامرة صديقك ثمنا غاليا . أما الآن فلتثق بأن الانزعاج هو الحسارة الوحيدة التى ستصيب البرت . هل تعرف مكان سراديب سانت سباستيان ؟ »

فقال فرانز : « لم أزرها قط ، لكننى كنت أعزم ذلك منذ زمن ! »

فقال الكونت : « حسنا . ها هي ذى الفرصة قد وانك ، ومن العسير ان نتاح لك فرصة أفضل »

ثم دق الكونت الجرس طالبا اعداد عربه . وبعد دقائق كانت تجناز به وضيئه طريق « ابيان » العديم . وقبل أن تصل الى حمامات « كاركالا » توفقت وهبط منها الرجال وسارا حتى بلغا منفذا صيفا يقع خلف أجمة صغيرة تحيط بها الصخور . ومرتق « سبنو » من ذلك المنفذ أولا ثم تبعه الآخرون . وبعد أن سار الثلاثة خطوات اتسع الممر وسرعان ما وجدوا أنفسهم أمام سرداب عدة . فهبطوا سردابا منها لا يكاد البصر يحد نهايته . وتتخلله أشعه من الضوء . ومنه تقدموا نحو حجرة كبيرة مربعة يضيئها مصباح ويجلس فيها رجل يقرأ وظهره الى المدخل الذى وقف فيه الزائرون يتأملون المنظر

كان الرجل هو « لوبجى فامبا » زعيم العصاة ، وحوله عشرون لصا وقاطع طريق أو أكثر جلسوا مسندين ظهورهم الى مقاعد حجرية ، وأمام كل منهم غدارنه ، فى متناول يده . فلما دخل الكونت تهض فامبا مسرعا ، وفى لحظة كانت عشرون غدارة مسهرة فى وجه الزائرين !

فقال الكونت بصوت هادى صاف ، دون أن تختلج عضلة فى وجهه : « يبدو أيها العزيز فامبا أنك تستقبل الاصدقاء بقدر كبير من الحفاوة ! » فصاح الزعيم برجاله وهو يشير بيده اشارة أمرة : « اخفضوا أسلحتكم » بينما خلع باليد الأخرى قبعته احتراما ، ثم استدار نحو ضميمه قائلا : « عفوك يا صاحب الفخامة ، كنت أبعد ما أكون عن توقع شرف زيارة منك ، بحيث لم أعرفك أول الأمر ! »

فاجابه الكونت : « يبدو أن ذاكرتك ضعيفة فى كل شيء يا فامبا ، بل انك لا تنسى وجوه الناس فقط ، ولكن تنسى الشروط التى تتفق معهم عليها أيضا . ألم نتفق على أن تحترم فضلا عن شخصى جميع أصدقائى . . . اذن لم اختطفت الليلة الفيكونت البرت دى مورسيرف ، وأحضرتة الى هنا مع أنه من أصدقائى ؟ ! »

فقال زعيم العصاة وهو يستدير نحو رجاله الذين تراجعوا جميعا أمام نظرتة : « لماذا لم تدركوا الى ذلك أيها الاوغاد ؟ لقد جعلتمونى أحنث بعهدى مع رجل مثل الكونت يملك أرواحنا جميعا فى قبضتة ! »

ثم استطرد « فامبا » مشيرا نحو ثغرة يجرسها واحد من رجاله : « السجين يوجد هناك ، وسأذهب بنفسى لأخبره بأنه مطلق السراح . تفضل بالدخول يا صاحب الفخامة ! »

وصعد الكونت وفراي في أثر الزعيم بضع درجات ، ثم فتح فامبا أحد الأبواب . فاذا البرت متدثرا بمعطف كان أحد اللصوص قد أغاره إياه ، وقد رقد فى ركن من الحجرة المظلمة . فلمس فامبا كتفه قائلا : « أنت مطلق السراح يا سيدى »

واذ ذاك نظر ألبرت حوله فرأى فرانز ، وهتف به : « أهذا أنت يا عزيزى فرانز ؟ لقد أظهرت المحنة صدق محبتك وصدقتك ! »

فأجابه فرانز : « كلا ! لست أنا صاحب الفضل ، بل هو جارنا الكونت دى مونت كريستو ! »

فقال ألبرت فى مرح : « أوه يا عزيزى الكونت ، هذا عطف كبير منك ، وأجو أن تعتبرنى مدينا لك مدى الحياة . » ان والدى الكونت دى مورسيروف - وان كان من أصل أسباني - له نفوذ كبير فى بلاط فرنسا ومديريه ٠٠ واني أبادر فاضح - بلا تردد - خدماتى وخدمات كل من تعد حياتى غالبية فى نظرهم ، تحت تصرفك ! »

فأجاب الكونت : « يا مسيو دى مورسيروف ، انى أقبل ما تعرضه علىى بمثل روح الاخلاص القلبى التى أملتة ٠٠ بل انى سأخطو خطوة ايجابية فاصارحك بانى كنت قد اعترزمت من قبل أن أسألك معروفا عظيما ! »

فقال ألبرت فى حماسة : « انى وهن اشارتك يا سيدى »

ومضى الكونت فقال : « انى غريب عن باريس تماما ، فهى مدينة لم أرها قط ، ولما كنت لا أعرف فيها أحدا يقدمنى لمجتمعاتها الرفيعة ويتيح لى أن أقف على مفاتيها وعجائبيها فانى أرى فيما تعرضه على ما يذل جميع الصعوبات ، فهل أستطيع أن أعتد عليك كى تفتح لى عند وصولى الى باريس أبواب عالم الطبقات الرفيعة فيها ٠٠ اننى لا أعرف عن شخصياتها أكثر مما أعرف عن أهل الصين ؟ »

- انه ليسرنى أن أؤدى لك هذه الخدمة مرحبا ، وسوف يعيننى على القيام بها خطاب التوصية الذى أحمله من أبى الى أصدقائه الكبار فى باريس !

- وأنا سأمنحك مهلة قدرها ثلاثة أشهر الحلق بك فى نهايتها ، فمن عادنى أن أحسب دائما حساب شتى العراقيل والمصاعب ٠٠ فهل نتفق على موعد محدد ، من حيث اليوم والساعة ؟ ٠٠ اننى لمضرب الامثال فى دقة مواعيدى ! »

ومد الكونت يده نحو تقويم على الحائط قائلا : « اليوم ٢١ فبراير . » ثم أخرج ساعته من جيبه وأردف قائلا : « والساعة الآن العاشرة والنصف ٠٠ فعندنى أن تذكر ذلك ، وأن تنتظرنى فى مثل هذه الساعة من صباح يوم ٢١ مايو القادم ٠٠ ! »

- حسنا يا سيدى ٠٠ وسوف تجد الافطار معدا لك ٠٠

- أين تقطن ؟

- فى المنزل رقم ٢٧ بشارع دى هيلدر !

فأوما الكونت موافقا وقال : « لا تنس ما اتفقنا عليه ٠٠ يوم ٢١ مايو ، الساعة العاشرة والنصف صباحا ، شارع دى هيلدر رقم ٢٧ ! »

## في باريس

أعد ألبرت كل شيء في منزله بشارع هلدار بباريس للحفاوة بضييفه الكبير الكونت دي مونت كريستو ، وفي اليوم المحدد للقائهما هناك جلس مع بعض خاصته يحدتهم عن الكونت المنتظر وصوله وكيف أنقذه من نتيجة مغامرته في إيطاليا ، فقال له أحدهم ويدعى « لوسيان دبراي » :

— يخيل الي أنك تمزح معنا باختراع هذه القصة ، بل أكاد أعتقد ألا وجود لزعيم العصاة الإيطالي الذي تحدثنا عنه ، ولا للكونت دي مونت كريستو الذي تنتظره !

وقال ضيف آخر يدعى بوشان : « خير لك يا عزيزي ألبرت أن تعترف بأنك رأيت هذا كله في الحلم ، أو تدعنا نتناول طعام الافطار في هدوء وسلام ! »

ولم يسمع ألبرت إلا أن يسكت إذا سخرية أصدقائه ، وبقي صابرا على مضض حتى حان موعد وصول الكونت ، وأخذت ساعة الحائط تدق ابداً بانتصاف الساعة الحادية عشرة ، وقلبه يدق معها في عنف ، بينما العرق البارد يتصبب من جبينه خشية أن يزداد خجله إذ لم يصل الكونت في مواعده !

وما انتهت الساعة من دقائقها ، حتى ظهر أحد الخدم بالباب وقال لألبرت : « سيدي ٠٠ ان الكونت دي مونت كريستو قد وصل ! »

ودل الاجفال غير الارادي الذي بدا من جميع الحاضرين على شدة تأثرهم بهذا النبأ ٠ ولم يستطع ألبرت نفسه قمع انفعاله ، ولا سيما أنه لم يكن قد سمع صوت عربة تقف أمام الباب ، أو خطوات تخفق في الردهة ٠ ولكنه فوجيء بفتح الباب دون جلبة ثم بظهور الكونت على عتبته مرتديا زيا يجمع بين الاناقة والبساطة ، وقد بدا في سن لا تزيد على الخامسة والثلاثين !

على أنه سرعان ما خف لاستقباله مرحبا ثم قال :

— يا عزيزي الكونت ٠٠٠ لقد أعلنت نبأ زيارتك لهؤلاء الاصدقاء بعد أن دعوتهم طبقا لما اتفقنا عليه ، وبها أنذا أقدمهم لفخامتك : هذا هو الكونت دي شاتو رينو النبيل ذو الأصل العريق ، الذي اشترك أسلافه في مؤتمر المائدة المستديرة ٠٠ وهذا ميسيو لوسيان دبراي السكرتير الخاص لوزير الداخلية ٠٠ وميسيو بوشان الصحفي الذي يصدر صحيفة تسبب الذعر

للحكومة الفرنسية ، وان كان الأرجح انك لم تسمع باسمه في ايطاليا -  
برغم شهرته الوطنية - نظرا الى كونه صحيفته ممنوعة من الدخول الى  
ايطاليا ٠٠ وهذا مسيو مكسميليان موريل قبطان السفينة (سباهي) ٠٠ «  
وكان الكونت يحيي كلا منهم بالحناءة يشوبها طابع الرسمية والود ،  
لكنه ما كاد يسمح الاسم الاخير حتى تقدم خطوة الى الامام وقال لا لبرت  
وقد اصطبغت وجنتاه الشاحبتان بحمرة خفيفة :

— يا عزيزي الفيكونت ، انك ذكرت لي في روما شيئا عن مشروع زواج  
٠٠ فهل لي أن أهنتك ؟

فقال البرت : « ان الامر ما زال في حيز التفكير ! »

وهنا تدخل دبراى قائلا : « هل أفهم من ذلك أن الامر قد تقرر ؟ »  
فأجاب البرت : « كلا ! ولكن والدى شديد الرغبة فى تنفيذ الفكرة ،  
وأرجو أن أقدمك فى القريب ، ان لم يكن لزوجتى فعلى الأقل لخطيبتى  
الآنسة أوجينى دانجلر »

فهتف الكونت دى مونت كريستو : « أوجينى دانجلر ؟ أهى ابنة البارون  
دانجلر ؟ »

فقال البرت : « نعم يا سيدي ، وهو بارون من الطراز الحديث ! »  
فقال الكونت : « حسبه أنه أدى للدولة خدمات استحق عليها هذا  
الانعام ! »

وقال بوشان : « الواقع أنه أدى للدولة خدمات جليلة ، فهو برغم كونه  
من حزب الأحرار ، فاض فى عقد قرض كبير للملك شارل العاشر فى سنة  
١٨٢٩ ، ولهذا منحه لقب البارون وسام فارس فى فرقة الشرف »

فقال الكونت دى مونت كريستو : « انى لا أعرفه ، وان كان يغلب على  
ظنى أنى سوف أتعرف اليه قريبا ، فان لى معه حسابا جاريا لدى ثلاثة من  
البيوت المالية : أحدها فى لندن والثانى فى فينا ، والثالث فى روما ! »

ثم واصل البرت كلامه فقال : « على أى حال وقيل كل شيء ينبغى أن  
نجد مسكنا فى عاصمتنا الكبرى يلائم ضيفها العزيز الجديد الكونت دى مونت  
كريستو »

فقال الكونت : « شكرا لك يا سيدي ٠٠ اننى منذ استقر رأيى على  
الحضور الى هنا ، أرسلت خادمي الخاص لكى يبتاع لى منزلا مناسباً فى  
باريس ويؤثته ، ولا بد انه قد فرغ من هذه المهمة الآن ! »

فقال بوشان : « اذن فالخادم الخاص لصاحب الفخامة يعرف باريس  
جيذا ؟ »

فأجاب الكونت : « نعم ، انه أمينى النوبى الصموت «على» ، وهو يعرف  
باريس كما يعرف ذوقى ومطالبى ٠٠ وكان يعلم أننى سأصل اليوم فى

الساعة العاشرة ، فانتظرني مد الساعة عند حاجز « فونتسلو » حيث أعطاني هذه الورقة التي تحوى عنوان مسكني الجديد .

فقال بوشان : « اذن فلنفتح بأن يؤدي للكونت الخدمات الى في مقدورها . ويسرني بوصفي صحفيا أن أفصح لفخامته أبواب جميع المسارح »

فشكره الكونت وقال : « ان لدى سكرنرى تعليمات بأن يحجز لي مقصورة في كل مسرح ! »

وهنا سأل دبراى : « هل سكرتير الكونت يوبى أيضا ؟ »

فأجاب : « كلا بل هو كورسيكى ، يدعى مسيو برتوشيو ، وقد كان جنديا ومهربا ، بل كان فى الواقع كل شيء . . . ولست واثقا من أنه لن يحتك بسلطات البوليس يوما بسبب طعنة خنجر أو ما يشبهها من الحوادث التافهة فى نظره ! »

وهنا قال شاتو رينو مخاطبا الكونت : « اذن . . ما دام عندك المسكن ، والخدام والسكرتير ، فلا ينقصك غير الخبيلة ! »

فابتسم الكونت وقال : « الواقع أنه عدى من هى خير من الخبيلة . . . عدى الحارية الخاضعة ! . . انكم تحصلون على خلياتكم من الاوبرا ودور اللهو المختلفة ، أما أنا فقد حصلت على صاحبتى من القسطنطينية . . . وهى تكلفنى نفقات أكثر ، لكنى لا أرى بأسا فى ذلك ! »

فقال له دبراى ضاحكا : « لا تنس يا سيدى أننا فى بلد الحرية ، وعلى هذا فان جاريته هذه لا بد أن تغدو حرة فى اللحظة التى تطأ فيها قدمها أرض فرنسا ! »

فقال له الكونت : « من أين لها أن تعرف ذلك وهى لا تتكلم بغير لفتها ؟ ! » فقال بوشان : « أظن أننا سنراها على كل حال ، ولكن هل فخامتكم تقتنى الجوارى ؟ »

وابتسم الكونت مرة أخرى وقال : « كلا ! . . لست على هذه الدرجة من التوحش ، بل ان كل واحد حوى له كل الحرية فى أن يتركنى اذا شاء ، وفى استطاعته أن يعيش بعد ذلك فى غنى عني وعن أى انسان آخر . . . ولكن جميع من حوى ليس فيهم من يفكر فى ذلك بفضل ما يلقون من حسن المعاملة ! »

وحين انصرف أصدقاء ألبرت وخلا الى الكونت ، قاده الى جناحه الخاص الأثير عنده ، فمرا من الصالون الى غرفة النوم ، التى كانت نموذجا للذوق الرفيع والاثانة البسيطة ، وكانت فيها لوحة من رسم فنان شهير تشرق على الحجرة من وسط اطارها المذهب . . . فلفتت نظر الكونت ، واقترب منها فى خطوات سريعة ثم وقف أمامها وراح يتأملها فى إعجاب !

كانت اللوحة تمثل فتاة حسناء سمراء ، ذات عينين مشرقيتين لامعتين تطلعهما أهداب طويلة ، وترتدى ثياب صيادات عشيرة « كاتالان » المؤلفة



من خليط من اللونين الاحمر والاسود ، وتضع في شعرها دبوسا ذهبيا .  
وتتجه بعينيها الى البحر ، وحولها المحيط الأزرق والسماء الصافية . وكان  
الضوء في الحجرة ضئيلا الى حد أن البرت لم يلحظ الشحوب الذى كسا  
وجه الكونت ، أو الرجفة العصبية التى هزت صدره وكثفيه !

وحين تما لك الكونت نفسه قال فى صوت هادى :

« أرى أن لك خلية جذابة جدا يا فيكونت . وهذا الثوب الذى لا شك  
أنه ثوب الرقص ، يناسبها بشكل رائع ! »

فأجابه البرت : « آه يا سيدى ، ما كنت لا غفر لك هذا الخطأ لو أنك  
رأيت صورة أخرى الى جانبها . . . أنك لا تعرف أبى ، ولكن ها أنت ذا  
تراها أمامك . . . لقد رسمت لها هذه الصورة منذ حوالى ثمانى سنوات ،  
وهذا الزى هو فيما يبدو زى تنكرى . على أن الصورة من الالتقان والمشابهة  
للاصل بحيث يخيل الى أبى أرى فيها أبى حقيقة كما كانت تبدو سنة  
١٨٣٠ . لقد رسمت لها هذه الصورة أثناء غياب أبى ، ولا شك أنها أرادت  
أن تدبر له مفاجأة سارة . . . لكن العجيب فى الأمر أن هذه الصورة لم  
تعجب أبى ، ولم تستطع قيمتها الفنية باعتبارها من أعظم لوحات الفنان  
الذى رسمها أن تتغلب على بغض أبى لها ! . . . اغفر لى تحدثنى فى أمر عائلى  
كهذا ، ولكن لما كنت أعتزم أن أقدمك الى أبى فانى أذكر لك هذه التفاصيل  
راجيا ألا تشير الى هذه الصورة فى حديثك معه . . . ويخيل الى أن لهذه  
اللوحة تأثيرا خبيثا ، فما من مرة تدخل فيها أبى هذه الحجرة الا وقفت تنظر  
اليها مليا ثم انخرطت فى البكاء ! »

وكان الكونت يصغى الى مضيفه الشاب فى انتباه ، بينما استطردهذا  
فقال : « الآن وقد رأيت كل تحفى ، أرجو أن ترافقنى الى جناح أبى . .  
لقد كتبت اليه من روما ورويت له قصة اليد التى أسديتها الى ، كما أنبأته  
بموعده زيارتك هذه . . . وفى وسعنى أن أقول : ان أبى وأمى يتلفهان شوقا  
الى . إن يقدم لك شكرهما وامتنانهما ! »

ثم أرسل البرت خادمه الى أبويه ليخبرهما بقدوم الكونت دى مونت  
كريستو ، ومشيا فى أثره حتى وصلا الى الحجرة المفضية الى حجرتهما  
الخاصة ، وسرعان ما فتح بابها ووجد الكونت دى مونت كريستو نفسه  
وجها لوجه أمام الكونت دى مورسيرف . وكان هذا فى الخامسة والأربعين  
من عمره وان بدا فى الخمسين على أقل تقدير . كما كان شاربه الأسود  
وحاجباه يتنافران كل التنافر مع شعر رأسه الأشيب القصير ، المقصوص  
على الطريقة العسكرية . . . وكان يرتدى ثيابا بسيطة ويضع فى عروة  
سترته أشرطة النياشين المختلفة التى حصل عليها

وتقدم الكونت مورسيرف للقاء ضيفه فى خطوات متزنة تنم عن الاعتداد  
بالنفس . . . بينما بقى الكونت دى مونت كريستو فى مكانه لا يتحرك ،

وبدا له كأن قدميه سمرتا في الارض ، وكان عينيه سمرتا على محيا مضيفه  
الوقوف !

وقال الكونت مورسيرف وهو يحييه مبتسما :

— على الرحب والسعة يا سيدى .. انك قد أدت لهذا البيت جميلا لن  
ينساه مدى الحياة ، اذ أنقذت حياة وريثه الوحيد ! »

ثم قدم لضييفه مقعدا ، فتناولوه هذا وجلس بحيث يسقط عليه ظل  
الستائر الكبيرة التي صنعت من القטיפه .. وقرأ على قسما وجه مضيفه  
قصة أشجان خفية حفرها الزمن مع ما حفر من الغضن والتجاعيد فى ذلك  
الوجه !

ثم صاح ألبرت فجأة : « هذه أمى قد حضرت »

فالتفت الكونت دى مونت كريستو الى حيث أشار ألبرت ، فرأى  
الكونتيس دى مورسيرف واقفة عند مدخل الصالون ، أمام الباب المواجه  
لذاك الذى دخل منه زوجها . وكانت شاحبة الوجه لا تتحرك .. وحين  
التفت اليها تركت ساعدها الذى كان يستند الى مقبض الباب يسقط الى  
جانبيها !

كانت الكونتيس قد دخلت الحجره قبل ذلك بدون أن يلحظها أحد .  
ولما نهض الكونت وانحنى لها ردت التحية بغير أن تتكلم .. واذا ذاك قال  
لها الكونت دى مونت كريستو :

— عفوا يا سيدتى ، أرجو ألا تكونى مريضة !

وعندئذ أجابته : « لست مريضة ، وانما هو الانفعال الذى تملكنى فجأة  
وأنا أرى لأول مرة الرجل الذى لولا شهامته لكنا الآن غارقين فى دموعنا  
وأشجاننا ! »

ثم استطردت قائلة وهى تتقدم نحوه بجلال الملكات : « سيدى .. انى  
مدينة لك بحياة ابنى ، ومن أجل هذا أباركك ، وأشكرك على كونك قد  
أتحت لى فرصة الاعراب لك شخصيا عن امتنانى القلبى ! »

وانحنى الكونت مرة أخرى ، وقد بدا وجهه أكثر شحوبا من وجهها ،  
ثم قال لها : « سيدتى ، انك وزوجك تبالغان فى تقدير أمر تافه .. فان  
انقاذ رجل ، من أجل نفسه ومن أجل شعور أبيه وعاطفه أمه ، ليس عملا  
كثيرا من أعمال الخير وانما هو واجب عادى بسيط من الواجبات الانسانية ! »

فأجابته الكونتيس دى مورسيرف : « انه لمن حسن حظ ابنى يا سيدى  
أن وجد صديقا مثلك .. وأنا أشكر الله على ذلك »

ثم رفعت عينيه الى السماء وقد تجلى فيهما الامتنان الحار ، بحيث خيل  
الى الكونت أنه لمح فيهما دموعا تلمع .. وهنا اقترب زوجها منها وقال :  
— يا سيدتى .. لقد استأذنت الكونت فى الانصراف ، وأرجو منك أن

تفعلي ذلك أيضا ، فإن اجتماع المجلس يبدأ في الساعة الثانية . والساعة الآن الثالثة ، وعلى أن أتمى خطابا فيه اليوم ! »

فأجابته الكونتيس باللهجة نفسها الدالة على التأثير :

— اذهب اذن ، وسوف نبذل جهدنا كي ننسى غيبابك »

ثم التفتت الى الكونت دي مونت كريستو وقالت له :

— ألا تشرفنا بقضاء بقية اليوم معنا ؟

فقال : « شكرا لك يا سيدتي على كرمك ، وأرجو قبول اعتذاري من عدم استطاعتي قبول هذه الدعوة ، فقد جئت الى هنا رأسا عقب وصولي الى باريس ، وما زلت أجهل كل شيء عن المنزل الذي ساقطنه ! »

فقالت : « اذن .. هل تعد بأن تمنحنا شرف حضورك في فرصة قريبة؟ »

فاوما الكونت دي مونت كريستو موافقا ، بينما استطردت الكونتيس

فقالت : « اذن .. لن أعوقك يا سيدي ! »



وعلى أثر ذلك انصرف الكونت الى المنزل الذي اختاره له تابعه « على » في حي « الشانزليزيه » ، فلم تكد العربية تقف أمام الباب حتى أقبل « على » و « برتوشيو » فاطلا من نافذتها ، ثم انحنى الأخير لسيده احتراما وقدم له ذراعه ليعينه على النزول ، فقال له الكونت وهو يهبط درجات سلم العربية الثلاث : « أشكرك يا مسيو برتوشيو .. أين مسجل العقود ؟ »

فقال برتوشيو : « انه في انتظار سيدي في الصالون الصغير ! »

وحين دخل الكونت الصالون ابتدر الرجل سائلا : « أنت يا سيدي المسجل المكلف ببيع المنزل الريفى الذى أريد شراءه ؟ » وهل أعددت عقد البيع ؟

فقال المسجل : « نعم يا سيدي الكونت ، وهذا هو العقد » وهد يده

بالعقد فتناوله الكونت قائلا : « وأين يقع هذا المنزل ؟ »

وقد ألقى الكونت هذا السؤال فى هدوء ينم عن عدم المبالاة ، وهو ينظر الى كل من برتوشيو والمسجل .. فقال الأخير متعجبا : « ماذا ؟ .. ألا يعلم سيدي موقع البيت الذى يشتريه ؟ .. انه فى ( اوتوى ) .. »

واذ ذاك شحب وجه برتوشيو ، بينما وقع الكونت على العقد بسرعة وهو يلقي نظرة على البيانات الخاصة بموقعه وملاكه السابقين ، ثم التفت الى برتوشيو وقال له وهو يشير الى المسجل :

— اعط هذا السيد خمسة وخمسين ألف فرنك »

ولم يكد الكونت يخلو الى نفسه حتى أخرج من جيبه كتابا مغلقا بقليل ففتحه بمفتاح كان يحتفظ به حول رقبته .. وبعد أن قلب محتوياته بضع

لحظات توقف أمام ورقة تحوى بعض البيانات ، فراح يقارن ما فيها بما ورد فى عقد الشراء الموضوع فوق المنضدة ، وهو يحدث نفسه : « أوتوى ، شارع النافورة رقم ٢٨ ٠٠ انه هو بعينه ٠ والآن هل أعتمد على الاعتراف المنتزع بالتعذيب الدينى أو الجسمانى ؟ على أية حال سوف أعرف كل شيء فى خلال ساعة ! »

وبعد عشرين دقيقة كان الكونت كريستو وبرتوشيو فى طريقهما الى صاحبة « أوتوى » ، وازداد انفعال الوكيل وهما يقتربان من القرية ٠ وكان المنزل رقم ٢٨ فى أقصى أطرافها ، وقد خلع الظلام على المناظر المحيطة به طابع المناظر المسرحية المصنوعة !

وطرق برتوشيو الباب وسرعان ما فتح وأطل الحارس منه فقدم له برتوشيو عقد الشراء قائلاً وهو يشير الى الكونت :

— هذا هو سيدك الجديد !

ثم سأل الكونت الحارس : « ماذا كان اسم سيدك القديم ؟ »  
فأجاب : « المركيز دى سانت فيران ، وهو شيخ منمن من أتباع أسرة البوربون الملكية ، وليس له الا ابنة واحدة متزوجة من المسيو فيلفور الذى كان وكيلاً للنائب العام فى ( نيم ) ثم فى ( فرساي ) ٠٠ »

فقال الكونت : « يخيلى الى أننى سمعت أن هذه الابنة قد ماتت ؟ »  
فقال الحارس : « نعم يا سيدى ، لقد ماتت منذ احدى وعشرين سنة ٠٠ ومنذ ذلك التاريخ لم نر أباهما المسكين سوى ثلاث مرات ! »

— شكراً ، شكراً ٠٠ أعطنى مصباحاً

وكف الكونت عن استجواب الرجل ، بعد أن لمح من نظرة وكيله أنه لن يستطيع المضى فى ذلك دون تعريض نفسه لخطر إثارة الريب والشكوك فى نفس الحارس ٠ ثم قال له الحارس : « هل أرافقك يا سيدى ؟ »

فقال : « كلا ! لا ضرورة لذلك ٠٠ سوف أرافقنى برتوشيو »

وأطاع الوكيل صامتا ، لكن ارتجاف يده التى تحمل المصباح دل على مدى الجهد الذى كلفته إياه طاعة سيده ٠٠ وقال الكونت وهما يدخلان : « أهذا سلم خاص ؟ » هذا بديع ٠٠ أضىء لى يا مسيو برتوشيو وتقدمنى ٠٠ سوف نرى الى أين يؤدى السلم »

ولم يسع برتوشيو الا أن ينفذ أمر الكونت ، فلما بلغا الحديقة تريت عند الباب الخارجى برهة ثم صاح وهو يضع المصباح عند زاوية الجدار الداخلى : « لا ، لا ، لا ، يا سيدى ٠٠ مستحيل ٠٠ لن أستطيع المضى أكثر من ذلك ! »

وهنا سأل الكونت فى هدوء : « ماذا تعنى ؟ »

فأجاب قائلاً : « ينبغى أن توافقنى يا صاحب الفخامة على أن هذا أمر غير طبيعى ٠٠ أن تشتترى المنزل فى أوتوى ، وفى شارع النافورة بالذات ، ورقم ٢٨ دون غيره ٠٠ أوه ، لم لم أصارحك بكل شيء ؟ أنا واثق بأنك

ما كنت لتجبرني على الحضور . لقد رجوت أن يكون البيت الذي اشتريته غير هذا الذي وقعت فيه جريمة القتل ! »

فصاح الكونت وهو يتوقف عن السير فجأة : « ماذا ؟ .. ما هذا الكلام الذي تقول ؟ يا لك من شيطان كورسيكي لعين ! .. ألا تفكر إلا في المآسي والحرافات .. هيا تناول المصباح ودعنا ندخل الحديقة .. لعلك لست خائفاً من الأشباح وأنت معي ؟ »

فحمل برتوشيو المصباح وأطاع الأمر .. وحين فتح الباب المفضي الى الحديقة طالعتهما سماء قاتمة يحاول فيها القمر جاهداً أن ينفذ من خلال السحاب .. فأراد الوكيل أن ينعطف الى اليسار ، لكن صوت الكونت لاحقه قائلاً له :

— كلا .. كلا ! .. ما جدوى السير في الممرات ..؟ هذا هو بستان جميل ، فلنمض الى الامام !

ثم تقدمه الكونت وواصل السير حتى بلغ أجرة من الأشجار فتوقف .. واذاً ذاك عجز الوكيل عن أن يجمع انفعاله فصاح :

— تحرك يا سيدي من مكانك بسرعة ، أتوسل اليك : انك تقف في البقعة التي سقط فيها بالضبط .. وها أنت ذا في وقتك هذه مرتدياً هذا المعطف الذي يخفي وجهك تذكرني بمسيو دي فيلفور ، يا للاثيم !

فقال الكونت بلهجة جعلت الرعدة تسرى في أوصال الوكيل المسكين : « اذن فقد خدعني الأب . بوزوني حين أرسلك الى عقب رحلته في أنحاء فرنسا سنة ١٨٢٩ ، مزوداً بخطاب توصية عدد فيه صفاتك الحميدة . حسناً ! .. سوف أكتب الآن الى الأب بوزوني وأحملة مسئولية سوء مسلك مبعوثه .. وسأعرف كل شيء عن جريمة القتل هذه . لكنني أنذرك منذ الآن بأنني حين أقيم ببلد ما أخضع لجميع قوانينه ، ولست أرغب الآن في أن أضع نفسي تحت رحمة القانون الفرنسي من أجلك ! »

فقال برتوشيو في برود : « ولكن يا صاحب الفخامة ..؟ ألم يذكر لك الأب . بوزوني ما تضمنه اعترافي الكامل له في سجن نيم ؟ ان عبثاً جسيماً يجثم فوق ضميري ؟ »

فقال الكونت : « لقد ذكر لي الأب بوزوني انك تصلح وكيلاً مثالياً ، وقد حسبت أن جريمتك كانت جريمة سرقة لا غير .. هذا كل ما في الأمر .. والآن لا بد من أن تكاشفني بكل شيء ! »



أخذ برتوشيو يرى قصته لكونت بالتفصيل قائلاً :  
— ان القصة تبدأ في سنة ١٨١٥ ، وكان لي أخ أكبر يعمل في خدمة الأمبراطور . وكان أخي وصديقي في الوقت نفسه ، تولى تنشئتي كـ

لو كنت ابنه • وفي سنة ١٨١٤ تزوج ، فلما عاد الامبراطور من جزيرة  
البا انخرط أخى هذا فى الجيش، ثم أصيب بجرح خفيف فى معركة (واترلو)  
وانسحب مع الجيش وراء ( اللوار ) • وذات يوم تلقينا خطابا منه جاء فيه  
أن الجيش تقرق شمله وأنه سوف يعود من طريق ( نيم ) ، ثم طلب الى أن  
أترك له ما أملك من نقود عند صاحب حانة من حانات ( نيم ) كانت لى معه  
معاملات تتصل بالتهريب •• ولما كنت أحب أخى جبا قويا فقد رأيت أن  
أحمل النقود اليه بنفسى ، وفى ذلك الوقت حدثت تلك المذابح الشهيرة فى  
جنوب فرنسا ، فإن ثلاثة من قطاع الطرق هم : ترستايون ، وتروفيىمى ،  
وجرافان ، أخذوا على عاتقهم أن يذبخوا علانية كل من يتوهمون أنه من  
أتباع بوناپرت • فلما دخلت ( نيم ) خضت فى بحار من الدم حتى بلغت  
منزل صديقى صاحب الحانة ، ومنه علمت أن أخى وصل فى الليلة السابقة،  
وأنه ذبح غيلة على باب الدار التى جاء يلتمس ضيافتها !

وبذلت كل ما فى وسعى كى أعرف القتلة ، لكن أحدا لم يجرؤ على  
مكاشفتى بأسمائهم ، لفرط الذعر الذى أشاعوه فى المدينة •• فلم أجد  
مفرا من أن ألبأ الى وكيل النائب العام ، مسيو دى فيلفور •• وقد تلقاني  
يومها قائلا : « لكل ثورة فواجها ، وقد كان أخوك واحدا من ضحاياها ••  
انه سوء حظ والحكومة ليست مدينة لاسرته بشئ •• ان ما حدث امر  
طبيعى ، يتفق مع قانون الأخذ بالثأر •• فاذهب الآن فوراً والا أمرت  
بطرده ! »

نظرت اليه لأرى هل هناك جدوى أو أمل يرجى من متابعة التوسل  
اليه ، لكنه كان رجلا ذا قلب حجرى ، فدنوت منه ، وقلت بصوت خافت :  
« حسنا •• اذن دعنى أخبرك بشئ واحد : انى سوف أقتلك ، وأنى منذ  
هذه اللحظة أعلن الثأر ضدك ، فحاول حماية نفسك بكل وسيلة •• فحين  
نلتقى فى المرة القادمة تكون ساعتك قد حانت ! » •• وقبل أن يفيق الرجل  
من ذهوله فتحت الباب وغادرت الحجرة !

ولبثت بعد ذلك ثلاثة أشهر وأنا أراقب مسيو دى فيلفور عن كثب ،  
حتى اكتشفت أنه يذهب جلسة الى ( أوتوى ) ، فتبعته حتى رأيته يدخل  
هذا البيت الذى نحن فيه الآن •• وفى ذات مساء ، بينما أنا متربص له  
وراء هذا السور رأيت امرأة حسناء فى نحو التاسعة عشرة من عمرها تمشى  
فى الحديقة وحدها ، وقد ارتدت ثوبا فضفاضاً من المسلمين يشى بأنها تنتظر  
مولودا فى القريب •• وأدركت أنها تنتظر قدوم دى فيلفور • وبعد لحظات  
فتح الباب الصغير ودخل منه رجل تلقته المرأة معانقة فى لهفة ، ثم ابتعدا  
نحو نهاية الحديقة •• ولم يكن الرجل سوى مسيو دى فيلفور

وعمدت بعد ذلك الى استئجار غرفة تطل على الشارع الذى يقع فيه  
باب الحديقة •• وبعد ثلاثة أيام ، حوالى الساعة السابعة مساءً ، رأيت  
دى فيلفور مقبلا وقد تدثر بعباءة ، ثم فتح الباب الصغير المغضى الى الحديقة

ودخل منه ثم أغلقه وراءه .. فهبطت من غرفتي أعدو الى حيث اختبأت في  
أجمة مشرفة على الممر الذي لابد أن يجتازه غريمي عند انصرافه .. ولم  
ألبث قليلا حتى سمعت تأوهات وصيحات مكتومة ، وحين دقت الساعة  
معلنة انتصاف الليل فتح باب الحديقة الصغير وخرج منه دى فيلفور ، ثم  
اقترب من الأجمة التي كمننت وراءها ، وحين اطمأن الى أن أحدا لا يراه  
انحنى على الأرض فوضع صندوقا صغيرا كان يخفيه في عباءته ، ثم بدأ  
يحفر حفرة تتسع له .. وحين أتمها وبدأ يسوى الأرض كما كانت انقضضت  
أنا عليه وأعمدت سكينى في صدره وأنا أهرس له : « أنا جيوفانى بروتشيو  
.. أقتلك أخذا بئار أخى ، وأخذ كنزك لأرملته » .. وهكذا ترى أن انتقامى  
جاء أبفى مما كنت أؤمل ..! ولست أدري اذا كان قد سمع ووعى هذه  
الكلمات أم لا ، فقد سقط دون أن يطلق صرخة واحدة . وبعد لحظة كنت  
قد أخرجت الصندوق من مخبئه ثم هرعت الى ضفة النهر حيث فتحت  
بسكينى عنوة . فاذا في داخله طفل حديث عهد بالولادة مذرثر بثوب من  
التيل الفاخر يطلق صيحات ضعيفة واهنة !

.. وكنت أعلم أن فى باريس ملجأ لأمثال هذا اللقيط ، فمزقت ثوب  
الطفل - وكان يحمل حرفين يرمزان لاسم ما - الى قسمين ، كل قسم يحمل  
حرفا منهما ، وتركت أحد القسمين حول جسم الطفل وأخذت القسم الثانى  
معى .. ثم ضغطت جرس باب الملجأ وأسرعت بالفرار .. وحين وصلت فى  
اليوم التالى الى ( رجليانو ) حيث تقطن أرملة أخى ( اسائتا ) قلت لها :  
( اطمئنى يا أختاه ، فلقد انتقمتم لأخى ) .. ثم سردت عليها تفاصيل  
القصة ، فلما انتهيت منها قالت لى : « كان ينبغي أن تحضر معك ذلك الطفل ،  
كى نكون له بدلا من والديه اللذين حرم منهما ، ونطلق عليه اسم ( بنديتو )  
ولعل الله كان يباركنا لهذا » . فأعطيتهما نصف ثوب الطفل كى تسترده  
اذا صرنا فى حال من اليسر تسمح لنا بترييته !

وهنا قاطعه الكونت دى مونت كريستو قائلا : « ما هما الحرفان اللذان  
كانا على الثوب ؟ »

فقال : « هما حرفا الهاء ، والنون تعلوهما شارة لقب البارون ..! وعلى  
أثر ذلك عدت الى تجارة التهريب ، مدفوعا بدافعين : الانفاق على الأرملة  
المسكينة ، واغراق ذكريات الماضى التى تطاردنى ..! وحين راجت أحوالنا  
عدت يوما من احدى مغامراتى لأجد الأرملة قد استردت الطفل ، وكان قد  
بلغ الشهر السابع أو الثامن من عمره !

« وكان ( بنديتو ) طفلا جميلا ، ذا عينين واسعتين زرقاوين وشعر ذهبي  
خفيف ، وابتسامة تنم عن شيء من الحب والدهاء .. وحين كبر صدقت  
فراستى فى خلقه ، وطبيعته الشريرة ، فلم يبلغ الحادية عشرة حتى صار  
يعاشر الفتيان الأغرار الذين فى الثامنة عشرة أو العشرين ، والذين اشتهروا

فى كورسيكا بشروهم وفساد خلقهم ، حتى لقد صاروا مطاردين من البوليس ! ٠٠

واستجابة لنصيحتى أبت الأرملة المسكينة أن تدعى لمطالب بندنسو الذى كان يرهبها بطلب النقود كل حين لاشباع ميوله الشريرة ٠٠ وذات ليلة أحضر معه الى البيت اثنين من رفاقه الأثقال وهددوا المرأة بالتعذيب اذا لم تسلمهم ما تملك من نقود ، فلما رفضت ساقوها الى قرب الموقد كي يجبروها على الاعتراف بمكان النقود ٠٠ وخلال الصراع امتدت النار الى ثوبها فاضطروا الى تركها خوفا على أنفسهم من الاحتراق ٠٠

وفى الصباح التالى استبطات جارتها ، زوجة فاسيليو ، ظهورها خارج غرفتها ، فاستنجدت بالسلطات التى حطمت الباب ٠٠ ووجدت ( اسانتا ) التعمسة ما زالت على قيد الحياة ، برغم الحروق الفظيعة التى أصابتها ٠٠ فروت لهم قبل موتها حقيقة ما حدث ، ووجدت أدراج البيت كلها محطمة ومحتوياتها مبعثرة والنقود كلها مسروقة !

ومنذ ذلك اليوم لم يظهر بندنسو مرة أخرى فى ( رجليسانو ) ٠٠ ولا سمعت أنا بدورى شيئا عن مصيره أو أحواله ! »

وهنا أخفى برتوشيو وجهه بين يديه ، بينما رمقه الكونت بنظرة غامضة !





## جوادان أصيلان

في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي لوصول الكونت دي مونت كريستو الى باريس ، وقفت بباب منزله عربة فاخرة يجرها جوادان انجليزيان مطهمان وأطل منها شخص يرتدى سترة زرقاء ، وصداراً أبيض تتدلى من أحد جيوبه سلسلة ذهبية تمنية ، وينطلقون بنى اللون .. وكان شعره الأسود يتدلى على جبهته حتى كاد يصل الى حاجبيه .. وكان الرجل في حوالي الخمسين من عمره وان حرص هو على أن يبدو في الأربعين ! .. وأنحنى الرجل على حاجز العربة الذي رسمت عليه شارة البارونية ، ثم طلب من تابعه ان يسأل : هل الكونت دي مونت كريستو في الداخل أم لا .. فقبل للتابع : « ان صاحب الفخامة لا يستقبل زوارا اليوم ! » .. وعندئذ قال هذا لمحدثه : « اذن اليك بطاقة سيدى البارون دانجلر فلتحملها الى الكونت وتخبره ان سيدى برغم عجلته لحضور اجتماع المجلس ابى الا ان يرجع في طريقه لزيارة الكونت ! »

وعندئذ اضطلع البارون دانجلر في عربته الى الخلف وقال لحواذيه بصوت يمكن سماعه من الشارع : « الى مجلس النواب »

اما الكونت الذى علم بالزيارة في حينها ، فقد راح من وراء خصاص نافذته يرقب البارون بدقة بواسطة منظار مكبر .. ثم دعا اليه وكيله برتوشيو وابندره قائلاً : « انك ولا شك قد رأيت الجياد التى وقفت امام الباب بضع دقائق ؟ فهل لك ان توضح لى كيف غاب عنك هذان الجوادان اللذان هما في روعة جيادى ، حين أوصيتك ان تبتاع لى احسن جياد باريس ؟

فقال برتوشيو : « اؤكد لفخامتك ان الجوادين اللذين تحدثت عنهما لم يكونا معروضين للبيع حين اشتريت لك جيادك ! »

فهز الكونت دي مونت كريستو كتفيه وقال : « حسناً ! .. اذن فلتعرض على البارون دانجلر ضعف ثمنهما ، فان الرجل المالى لا يضيع ابدا فرصة مضاعفة رأس ماله ! »

وما كادت عقارب الساعة تشير الى الساعة الخامسة حتى دق الكونت الجرس ثلاث مرات ، ثم هبط السلم الى باب قصره ، فرأى عربته وقد اسرج اليها الجوادان بعينهما اللذان أبدى اعجابه بهما منذ ساعات وهما يجران عربة البارون دانجلر !

وقال الكونت لخوذه : « الى دار البارون دانجلر ، شارع لاشوسيه دانتان » ..

وقال البارون وهو ينحن ترحيبا بزائره :

— اسمح لى ان اخبرك يا كونت بانى قد تلقيت خطاب نصح من بنك ( تومسون وفرنش ) فى روما .. لكنى اعترف بانى لم افهم مدلوله بالضبط ، فهو يعطى ( الكونت دى مونت كريستو ) حسابا جاريا غير محدد على مؤسستنا !

فسأله الكونت فى هدوء : « ماذا يتعلم عليك فهمه فى ذلك ؟ »

فاجاب دانجلر بابتسامة شبيهة ساخرة : « ان بنك تومسون وفرنش مقتدر ماليا ، بينما كلمة ( حساب غير محدد ) تدل فى الامور المالية على معنى غامض ! »

— اتعنى ان تومسون وفرنش لا يجملان حدودا لالتزاماتهما ، بينما التزامات مسيو دانجلر لها حدودها ؟ !

فقال المالى الكبير وهو ينفخ اوداجه زهوا : « سيدى ، ان حدود مواردى لم تكن يوما موضع شك أو تساؤل »

فقال الكونت فى برود : « يبدو لى انى اول من سيضعها هذا الموضع ! »

وعندئذ التى دانجلر بنفسه فى مقعده الى الوراء ، وقال بلهجة الغرور والاعتداد بالثراء : « أرجو منك الا تتردد فى الاعراب عن رغباتك .. فعندئذ ستقتنع ان موارد بنك دانجلر — مهما تكن محدودة — لا تزال قديرة على ان تواجه أجسم المطالب .. ولو أردت مليون فرنك ! »

فقال الكونت فى هدوء : « ما اظننى يا سيدى أستطيع ان اكتفى بليون فرنك ! ولو ان مبلغا تافها كهذا يكفينى لما كلفت نفسى عناء فتح حساب جار ! »

ثم أخرج الكونت حافظته وسحب منها شيكين على الخزنة قيمة كل منهما نصف مليون فرنك ، يدفعان لحاملهما .. ففغر دانجلر فاه ولم يحرج جوابا ، بينما استطرد الكونت : « كن صريحا اذن واعترف بانك لا تولى مؤسسة تومسون وفرنش ثقتك الكاملة ، فانى قد افهم هذا .. واحتياطا لمثل هذا الاحتمال رايت — برغم جهلى بالامور المالية — ان اتخذ بعض الضمانات .. فهذان مثلا خطابان مشابهان تماما لذلك الذى تلقيته ، أحدهما من بنك ( ارشتاين واسكيلس ) فى فينا ، الى البارون روتشيلد .. والآخر من بنك ( بارنج ) فى لندن الى مسيو لافاييت .. والان ما عليك يا سيدى الا ان تنطق بكلمة فاجنبك كل مشقة وخرج بتقديم خطاب ضمانى الى احدى هاتين المؤسستين .. ! »

ونهض دانجلر بعد ان استوثق من صحة الوثائق التى يحملها الكونت ، وانحنى امام الكونت كأنما يحيى قوة الذهب الممثلة فى شخصه

فقال الكونت بلهجة ودية لطيفة : « على كل حال اعقد ان مؤسستك لا يمكن ان يثقل عليها مثل هذه المبالغ التافهة .. واذن ففي وسعك ان تعطينى بعض المال ، اليس كذلك ؟ .. ويمكننا ان نحدد مبلغا يكفى النفقات التقريبية للعام الاول .. وليكن مثلا ستة ملايين من الفرنكات ! »  
فقال دانيجلر وهو يشهق فزعا : « ستة ملايين ؟ ! »

واستطرد الكونت فقال في لهجة تدل على عدم المبالاة : « اذا احوجنى الامر الى اكثر من هذا المبلغ ففي وسعي ان اسحب شيكات عليك .. لكن نيتى حاليا تنصرف الى عدم البقاء في فرنسا اكثر من عام .. واجو ان تتكرم فترسل الى غدا صباحا نصف مليون فرنك ، وسوف اكون في دارى حتى الظهر .. وفي حالة خروجى سأترك ابصالا بالمبلغ مع وكيلى ! »

فقال دانيجلر : « سيكون المبلغ الذى تطلبه عند وكيلك في الساعة العاشرة من صباح غد يا عزيزى الكونت .. والآن هل تسمح لى بأن اقدمك للبارونة دانيجلر زوجتى ؟ اغفر لى لهفتى يا عزيزى الكونت ، فان عميلا مثلك هو في مركز فرد من أفراد الأسرة ! »

فاوما الكونت موافقا ، ثم مشى خلف البارون عبر عدد من الحجرات والأجنحة المفروشة بأفخر الأثاث الذى يوحى بالتراء الفاحش .. حتى بلغا مخدع البارونة ، وكانت هذه ما تزال تحتفظ بجمالها الصارخ رغم تجاوزها ريعان الشباب ، وقد جلست الى البيانو ، بينما وقف (الوسيان دوبراى ) أمام منضدة صغيرة يقلب صفحات ( اليوم ) صور .. فقال لها البارون :

- اسمح لى بأن اقدم لك الكونت دى مونت كريستو ، لقد اوصانى به توصية حارة وكلاثنى في روما جميعا .. وسأكتفى بذكر حقيقة واحدة من شأنها ان تجعل نساء باريس بلا استثناء ينشدن الثغاته .. وهذه الحقيقة هى انه قد جاء ليقضى في باريس عاما ، وسينفق خلاله ستة ملايين من الفرنكات ، وهذا يعنى سلسلة من الحفلات والمراقص والمآدب لا نهاية لها ، وأرجو الا ينسانا الكونت فيها ، كما نعتزم نحن أن نذكره في حفلاتنا المتواضعة !  
فقال البارونة تخاطب الكونت : « لقد تمت لزيارتك لباريس أسوأ وقت ، فهى في الصيف لا تطاق .. والملاهى التى بقيت لنا فيها تنحصر في حفلات السباق .. في حلبتى ( شون دى مارس ) و ( شاتورى ) .. فهل نعتزم اشراك بعض جياذك في هذا السباق يا كونت ؟ »

- سأفعل ما يفعله غيرى في باريس يا سيدتى ، اذا اسعدنى الحظ فوجدت من يرشدنى الى ضروب اللهو المختلفة !

وفي هذه اللحظة دخلت المخدع وصيفة البارونة المفضلة ، واقتربت من سيدتها وهمست في أذنها ببضع عبارات ، شحبت على اثرها وجه البارونة ، فاستدارت نحو زوجها متسائلة في لهفة :

- اهلا صحيح ؟ .. ان وصيفتى ابلغتنى ان سائق عربتى فوجيء وهو

يهم باعدادها الآن بأن جوادها أبدا بدون علمه .. فكيف كان ذلك ؟  
فاجابها زوجها : « كوني لطيفة يا سيدتي واصفني الى »

لكنها انفجرت فيه صائحة : « أوه نعم ، سوف أصفني اليك يا سيدى ،  
فانى لقي فضول شديد الى سماع الايضاح الذى ستتكرم به على .. ان  
بين الجياد العشرة التى تحتويها حظائرك جوادين يخصسانى ، وهما من  
أحسن الجياد الموجودة في باريس كلها .. وقد وعدت مدام دى فيلفور بأن  
أعيرها عربتي كي تنتزه بها غدا في غابة بولونيا ، فلما ذهب الحوذى ليعد  
العربة اكتشف الامر .. ولا شك أنك ضحيت الجوادين بغية الحصول على  
بضعة آلاف أخرى من الفرنكات الخفية . أوه ، يا لها من فئة بغيضة ، فئة  
هؤلاء المضاربين المحترفين ! »

فقال لها دانهلز : « سيدتي . ان الجوادين لم يكونا بالهدوء الذى يناسبك .  
واقسم بشرى أمام الكونت اننى لو لم أتصرف فيهما منذ ساعات لسرنى  
ان أهديهما اليه .. فهما لا يصلحان الا لشاب في مقتبل العمر ، وقد كنت  
متلهفا الى الخلاص منهما ! »

فقال الكونت : « شكرا لك يا عزيزى البارون ، لكننى في الواقع قد ابتعت  
لعربتي اليوم جوادين رائعين بثمان لا أذكر أنه كبير .. فهل للمسيو دبراى  
ان يصارحنى بزايه فيهما ، انه خير في مثل هذه الامور كما سمعت ! »

وهنا اقترب دبراى من النافذة ، ليطل منها على الجوادين ، بينما اقترب  
دانهلز من زوجته وهمس لها : « لم أستطع ان اصارحك امام هؤلاء السادة  
بسبب تصرفى في الجوادين ، لقد أرسل شخص مجنون أو أحمق وكييله  
ليشتريهما باى ثمن .. فربحت فيهما ستة عشر ألف فرنك ! .. لا تفضبنى ،  
فسوف أعطيك ربع هذا الربح تفعلين به ما تشائين ، كما انى سأعطى أوجينى  
الفى فرنك .. أفلم اكن محقا بعد هذا في بيع الجوادين ؟ »

وجدجت البارونة زوجها بنظرة احتقار بالغة .. بينما صاح دبراى  
فجأة : « يا الهى ! .. لا يمكن أن أكون مخطئا . ان الجوادين اللذين نتحدث  
عنهما ، مسرجان الى عربة الكونت ! »

فنهفت البارونة وهى تهرع نحو النافذة : « اتعنى جوادى العزيزين ؟  
ثم أردفت بعد ان رأتها : « حقا انهما جواداى »

فصاح الكونت متكلفا الدهشة بدوره : « عجباً ! .. يا للمصادفة ! »  
وشرد البارون وهو يهيم نفسه للمشادة القبلية بينه وبين زوجته ،  
التى لم حاجباها عن اقتراب العاصفة .. واذ ذاك تذكر فجأة انه مرتبط  
بموعد سابق ! .. كما اتحنى الكونت دى مونت كريستو مستأذنا في الانصراف  
وخرج تاركا دانهلز يواجه تائب زوجته .. !

وبعد ساعتين تلقت البارونة رسالة رقيقة من الكونت يرجو فيها ان تقبل  
جوادها العزيزين هدية منه ، قائلا : « لست أستطيع ان اتحمل فكرة

اتدمجى فى المجتمع الباريسى الرفيع اذا اشتريت أبهة موكبى بدموع  
سيدة حسناء ! »



... وفى اليوم التالى ، حوالى الساعة الثالثة ، استدعى الكونت خادمه  
النوبى « على » بدقة واحدة للجرس ، فلما مثل فى حضرته ابتدره بقوله :

— لقد طالما حدثتنى عن براعتك الخارقة فى رمى الأنشودة . وبعد قليل  
سوف تمر أمام البيت بأقصى سرعة عربية يجرها الجوادان اللذان رأيتهما فى  
عربتى أمس . . . والآن أريدك أن توقف هذين الجوادين أمام بابى ولو كلفك  
ذلك تعريض حياتك ذاتها للخطر ! »

... فهبط « على » الى الطريق ، ورسم خطا مستقيما على الرصيف  
عند مدخل البيت تماما ، ثم أشار للكونت نحوه فعاد هذا الى الطابق الثانى  
من المنزل واثقا من نجاح خطته !

وحين اقتربت الساعة الخامسة سنع صوت عجلات عربية تقترب بسرعة ،  
ثم ظهرت العربية على الفور يجرها جوادان جامحان حاول الحوذى المدعور أن  
يحد من سرعتهم الخيفة ، ولكن دون جدوى ! . . . وكانت فى داخل العربية  
أمرأة حسناء وطفل فى السابعة أو الثامنة وقد تعانقا بقوة وأعجزهما الرب  
حتى عن إطلاق أية صرخة ! . .

وفجأة أخرج « على » . الأنشودة من جيبه ، وألقاها بحيث اقتنصت  
الساقين الأماميتين للجواد القريب ، ثم جذب به وراءه فى عنف بالغ عدة خطوات  
قبل أن يسقط الجواد على « العريش » فيقصمه ، وبذلك يعوق الجواد  
الأخر عن متابعة عدوه !

وانتهز الحوذى هذه الفرصة الفريدة فقفز من فوق مقعده لينجو بنفسه ،  
بينما أمسك على بخياشيم الجواد الثانى وضغطها بقبضته الحديدية حتى  
خر الجواد بجانب زميله وهو يتلوى من الألم . . . وقد حدث ذلك كله فى  
ثوان معدودات ، لكنها كانت كافية لأن يخرج أصحاب الدور القريبة  
وخدمهم ليروا ما هناك ، وسرعان ما فتح الحوذى باب العربية وأخرج راكبها  
التي كانت إحدى يديها متقلصة على الوسائد بينما يدها الأخرى تضم الى  
صدرها ولدها الذى فقد رشده !

وتقدم الكونت دى مونت كريستو فحمل المرأة وابنها الى صالونه حيث  
ارقدتهما فوق احدى الأرائك المريحة وهو يقول  
— استريحى يا سيدتى ، فقد زال كل خطر !

فرفعت المرأة عينيهما لدى سماعها هذه الكلمات ورمقته بنظرة أبلغ  
تعبرا من أى رجاء ، وهى تشير الى ابنها الذى ما زال غائبا عن الوعى . . .  
فقال الكونت وهو يفحص الصبي بعناية :

— انى اقدر سبب انزعاجك يا سيدتى ، لكنى اؤكد لك ان ليس ثمة داع للقلق ، فما اغماؤه الا نتيجة طبيعية للرعب ، وسوف يفيق بعد قليل ! »  
فسألته : « انت واثق من أنك لا تقول ذلك كى تسكن روعى وتهدى مخاوفى ؟ ! »

ثم انحنى على ولدها وهتفت به : « يا حبيبى ادوار ، تكلم .. تحدث الى امك ، افتح عينيك الغاليتين وانظر الى مرة أخرى ! »

وعادت فالتفتت الى الكونت وقالت : « سيدى .. أرجو أن ترسل فى طلب طبيب .. انى لأبدل كل ثروتى فى سبيل انقاذ حياة ولدى ! »

فاجابها الكونت بابتسامة هادئة وحركة لطيفة من يده ، ثم اشار عليها بأن تنحى مخاوفها جانبا .. وفتح صندوقا صغيرا كان على قيد خطوة منه واخرج منه قنينة صغيرة من الزجاج المغلف بالذهب تحوى سائلا احمر فى لون الدم ، وسكب قطرة واحدة منه على شفتى الصبى الذى كان جامدا كالتمثال ، فسرعان ما فتح عينيه ونظر محمقا فيما حوله .. فكادت الام تجن فرحا ، وقالت تلوم نفسها وقد هدأت مخاوفها :

— ان فضولى التمس هو المسؤول عن ذلك كله .. لقد سمعت باريس بأسرها تطنب فى امتداح جمال جوادى البارونة دانجلر فخطر لى أن أرى بنفسى هل يستحقان كل ذلك الاطراء .. هل سيدى يعرف البارونة دانجلر ؟

فقال الكونت : « نعم يا سيدتى ، وان مما يزيد فى سعادتى بنجاتك من الخطر الذى كان يهددك أنى كنت بلا قصد منى سبب هذا الخطر الذى تعرضت له . فقد ابتعت أمس هذين الجوادين من البارون ، ولكنى حين تبينت مبلغ أسف البارونة عليهما أعدتهما اليها راجيا أن تتكرم بقبولهما هدية منى ! »

فقالت له : « اذن فانت الكونت دى مونت كريستو ، الذى حدثتنى عنه ( هرمين ) كثيرا ؟ »

فقال : « لقد صدقت فراستك يا سيدتى ! »

فقالت : « وأنا مدام هيلويز دى فيلفور .. سيكون زوجى شاكرا لك حين يقف على نيا انقاذك لزوجته وابنه ! .. انه سيظل مدينا لك بحياتنا ، فلولا شهامة خادمك الباسل لكان كل منا الآن فى عداد الاموات ! »

وكان فيلفور قد شفى من اصابته بسكين برتوشيو الذى ظن أنه قتله وفى تلك الليلة سهرت باريس بأسرها تتحدث عن هذه المغامرة ، فقد رواها البرت لأمه ، وقص « شاتو رينو » نبأها فى نادى الجوكم ، وسرد « دبراى » تفاصيلها الكاملة فى صالون الوزير .. كما خصص « بوشان » عشرين سطرا من صحيفته للاشادة بشجاعة الكونت وشهامته ، واعتباره بطل الساعة فى انتظار نساء الطبقة الارستقراطية فى باريس !

## المنقذ المجهول

استقل الكونت دى مونت كريستو عربته فى اليوم التالى الى بيت جميل يقع فى شارع ميلاي - رقم ٧ - حيث دعى الى زيارة مكسميليان موريل ، ابن ولى نعمته القديم صاحب السفينة « فرعون »

ولم يكده يدخل البيت حتى مد الضابط الشاب يده يصافح بها الكونت فى حرارة ، قائلا : « هيا بنا .. ساكون لك بمثابة الدليل .. ان أختى فى الحديقة تقطع الورود الذابلة ، وزوجها يقرأ الصحف على بعد ست خطوات منها ، فحيثما تكون مدام « هربول » يوجد مسيو « ايمانويل » دائما داخل دائرة لا يزيد قطرها على أربعة أمتار !

ولما دخلا الحديقة رأى الكونت هناك شابة فى نحو العشرين أو الخامسة والعشرين من عمرها ، ترتدى ثوبا حريريا من ثياب الصباح ، وما سمعت وقع خطاهما حتى رفعت رأسها عن ورودها متطلعة الى القادمين ، وكانت هي « جولى » ، التى أضحت تدعى بعد زواجها « مدام ايمانويل هربول » .. وقالت للضيف الكبير :

— آه يا سيدى ! انها لخيانة من أختى أن يحضرك على هذا النحو ، بلا اخطار سابق .. لكنه لم يقد يومأ أى حساب لاخته المسكينة .. أرجو أن تسمح لى بأن أتركك لبضع دقائق !

وقبل أن تنتظر جوابا اختفت وراء أجمة من الاشجار ، ثم أسرعوا الى البيت من طريق ممر جانبي .. بينما قال مونت كريستو لأختها :

— اننى لشديد الأسف اذ أرى انى أسبب لأفراد المنزل انزعاجا كبيرا ! فقال مكسميليان ضاحكا : « أنظر هناك ، هذا زوجها يبدل سترته بأخرى .. أؤكد لك أنك معروف جيدا فى شارع ميلاي ! »

فقال الكونت كأنها يحدث نفسه : « يبدو أن أسرتك من الأسر السعيدة ؟ »

فقال الضابط : « بلا شك ، اذ لا ينقصها شيء من مقومات السعادة ، فأفرادها يستمتعون بالشباب والمرح ، وكل منهم شديد التعلق بالآخر ، وبفضل إيرادهم البالغ خمسة وعشرين ألف فرنك فى السنة يحسون أنهم فى غنى روتشيلد ! »

وقال الكونت دى مونت كريستو بلهجة عذبة رقيقة وقعت من سمع مكسميليان موقع صوت الأب البار :

— مع ذلك فان هذا المبلغ ليس كبيرا ، وهم لن يقنعوا به .. هل زوج  
أختك محام ، أم طبيب ؟ »

فقال : « كان تاجرا ، وقد خلف أبى المسكين فى تجارتة .. ذلك أن  
مسيو موريل عند وفاته ترك نصف مليون فرنك قسمت بالتساوى بين أختى  
وبينى ، فقد كنا ولديه الوحيدين . أما زوج أختى — الذى لم يكن يملك  
عند زواجه منها غير ميراثه النبيل من نزاهة اليد وكفاة الذهن والسمعة  
النظيفة — فقد أراد أن يكون له مال لا يقل عن ارث زوجته ، فراح يكد  
ويجتهد حتى جمع فى خلال ست سنوات ربع مليون فرنك بمعاونة زوجته  
التي شاركتة كفاحه وتعبه .. وقد ضجت مارسيليا بأسرها بالثناء على  
جهادهما المشترك .. وأخيرا جاء أمانويل ذات يوم يقول لزوجته وقد فرغت  
من مراجعة الحسابات :

— لقد سلمنى الوكيل منذ برهة المائة فرنك الاخيرة التى يكتمل لنا بها  
مبلغ الربع مليون فرنك الذى حددناه ثروة لنا .. »

فهل تتمتعين بهذه الثروة الصغيرة التى ستكون عمادنا للمستقبل ؟  
أصغى الى ، ان مؤسستنا تتداول أعمالا تبلغ المليون فرنك سنويا ، يصيبنا  
منها دخل قدره أربعون ألفا .. وفى استطاعتنا اذا أردنا أن نبيع تجارتنا  
فى أية ساعة .. فقد تلقيت خطابا من مسيو ( ديلوناي ) يعرض فيه أن  
يشتريها بثلاثمائة ألف فرنك ، فماذا ترين ؟

فاجابته أختى مؤكدة له أن مؤسسة موريل لا ينبغي أن يتولاها غير فرد  
من أسرة موريل .. وأن ثلاثمائة ألف فرنك لا تساوى احتفاظها باسم  
أبيها وحمايته من شرور الثروة المحرام أو الافلاس !

« فقال لها أمانويل « هذا ما رأيته ، لكنى أردت أن أعرف رأيك أنت  
.. على انى أقترح أن نصفى مؤسستنا ونكتفى بالإيراد الذى يجلبه لنا  
رأس المال »

« وقد اتفقا على هذا ، وكانت الساعة وقتئذ الثالثة . وبعد ربع ساعة  
دخل تاجر ليؤمن على سفينتين له لدى المؤسسة ، الأمر الذى كان يدر  
عليهما ربعا قدره خمسة عشر ألف فرنك ، فقال له أمانويل : ( لقد أغلقنا  
مكاتبنا وصفيها أعمالنا منذ ربع ساعة فقط ! )

« ومنذ ذلك التاريخ قنعت أختى وزوجها بإيرادهما البالغ خمسة وعشرين  
ألف فرنك فى السنة ! »

لم يكد مكسمليان يفرغ من قصته ، التى أوهفت مشاعر الكونت كريستو  
من فرط ما نمت عن نبيل وقناعة ، حتى أقبلت جولى وأمانويل ، فقال  
الكونت يخاطب الزوجة :

— اغفرى لى الانفعال الذى يبدو على يا سيدتى ، وقد يدهشك هذا أنت  
التي ألقت السعادة التى ترفرف على هذا البيت . لكن منظر البشر والقناعة



على محيا انسان لا شك انها منظر جديد بالنسبة الى ، بحيث لن امل النظر  
اليه على وجهك ووجه زوجك ! »

فأجابت جولى : « نحن سعداء حقا يا سيدى ، لكننا عرفنا أيضا التعاسة  
فترة من الزمن ، بل قل بين الناس من ذاقوا مثل الآلام المريعة التي  
ذقناها ! »

وهنا بدت على وجه الكونت علائم الفضول ، بينما أردف مكسمليان :  
« ان هذا يفضى بنا الى صورة متواضعة من تاريخ الأسرة قد لا تعنيك كثيرا  
أنت الذي ألفت ألا ترى غير مباحج الاثرياء والبارزين وحدهم .. لكن  
الواقع أننا قاسينا الكثير من الاحزان المرة »

فقال الكونت دى مؤنت كريستو فى لهجة تساؤل : « عسى أن يكون  
الله قد شفى أحزانكم بفضلته ورحمته كما يصنع لجميع المعذبين الصابرين؟ »  
فأجابت جولى : « نعم يا سيدى الكونت ، ليس يسعنا الا أن نعترف  
بذلك ، فلقد صنع الله من أجلنا ما لا يصنعه الا لحاصته المختارين فأرسل  
الينا أحد ملائكة الرحمة لانتقاذا مما كنا نعانيه ! »

وهنا توردد خذا الكونت فصارا فى لون القرمز ، ثم سعل كى يجد مبررا  
لوضع منديل على فمه .. بينما أردف أمانويل قائلا : « ان أولئك الذين  
يولدون فى الثراء ويملكون وسائل اشباع جميع رغباتهم لا يعرفون كيف  
تكون السعادة الحقيقية فى الحياة ، أما الذين عاشوا وسط أمواج الحياة  
وأعاصيرها فهؤلاء وحدهم يقدرون قيمة الجو الذى يسوده الصفاء والهدوء ! »  
ونفض الكونت دون أن يجيب بكلمة ، خشية أن يفضح صوته مدى  
انفعاله ، ثم راح يدرع الحجرة ذاهبا أيبا فى خطوات بطيئة ، فقال له  
مكسمليان وهو يتبعه بعينه : « ان أقوالنا تدهشك ، أليس كذلك ؟ »

فوضع الكونت احدى يديه على قلبه ليهدىء من تأثرته ، وأشار باليد  
الآخرى الى غطاء من البللور تحته كيس من الحرير موضوع فوق وسادة من  
القطيفة السوداء وقال : « كلا يا سيدى ! .. وانما كنت أتأمل هذا الكيس  
الذى يحوى ورقة فى أحد طرفيه ، وماسة كبيرة فى طرفه الآخر ! »  
فقال مكسمليان وقد ارتسمت على وجهه علائم الجذ : « سيدى الكونت ..  
هذه هي أثمن كنوزنا العائلية ! »

فقال الكونت : « حقا .. ان هذه الماسة تبدو ثمينة جدا .. ! »

وهنا تدخلت جولى فى الحديث قائلة : « ان أخى لا يعنى قيمة هذه الماسة  
— برغم أنها قدرت بمائة ألف ريال — ولكن .. ان الأثر الذى يحتملها  
هذا الكيس هو تذكار ( الماسة ) الذى حدثت عند الآن ! »

فقال الكونت : « هو ينحنى لها .. عفا يا سيدتى .. اننى لا أفهم شيئا  
من هذا . ولست أطلب الوقوف على خفايا أمره ، فليس من عادتي أن  
انطلق على أسرار عائلية لا تخصنى ! »

فقال جولى متحمسة : « ليس هذا تطفلا يا سيدى ٠٠ كلا ! بل انه ليسعدنا أن تعطينا الفرصة كى نفيض فى هذا الموضوع ٠ ولو كنا نبغى اخفاء الصنيع النبيل الذى يرمز اليه هذا الكيس لما عرضناه للعيان هكذا ! أوه ٠٠ ليتنا نستطيع أن نروى القصة لكل انسان وفى كل مكان ، لعل هذا يوصلنا الى معرفة ذلك المحسن المجهول ! »

فتساءل الكونت فى صوت أشبه بالمختنق : « حقا ؟ »

وسارع مكسميليان الى رفع الغطاء البللورى عن الكيس الحريرى ثم لشمه فى احترام وتوقير وقال للكونت : « سيدى ٠٠ ان هذا الكيس قد لمس يد الرجل الذى أنقذ أبى من الانتحار ، وأنقذنا نحن من الدمار ، بل أنقذنا من العار والفضيحة ٠٠ نعم ان ذلك الملاك الكريم الذى لا يبارى جعلنا ننجو من مصير كله فاقة وعوز ونصبح فى حال يحسدنا عليها الناس ويضطوننا على سعادتنا ٠٠ واليك الخطاب الذى كتبه ذلك الملاك الكريم فى اليوم الذى انتهى فيه أبى الى اتخاذ قرار الانتحار ٠٠ أما هذه فهى الماسة التى وهبها المحسن المجهول لاختى لمناسبة زواجها ! »

ونشر الكونت الخطاب وقرأه فى غبطة ظاهرة ٠ وكان الخطاب موجها الى جولى ، وموقعا عليه باسم « السندباد البحرى » ٠٠ فتساءل الكونت : « هل الرجل الذى أدى لكم هذه الخدمة مجهول لديكم تماما حتى الآن ؟ » فأجاب مكسميليان : « نعم يا سيدى ، اذ لم يسعدنا الحظ يوما بأن نصافحه برغم أننا طالما التمسنا من السماء أن تمنحنا هذه المنة ٠٠ لكن الأمر كله قد اتخذ اتجاهها غامضا عجزنا عن فهمه ، وقادته من بدايته الى نهايته يد خفية - وإن تكن قوية - أشبه بأن تكون يد ساحر ! »

فهمت جولى : « انى لم أفقد الأمل بعد فى أن أستطيع يوما تقبيل تلك اليد كما أقبل الآن هذا الكيس الذى لمستته ٠٠ ولقد كاد يتم لى ذلك ٠٠ فمئذ أربعة أعوام كان ( بنيلون ) البستانى الذى يعمل فى حديقة الدار - وقد كان فيما مضى بحارا - يجول على رصيف ميناء ( تريستا ) حين رأى ثريا انجليزى يتأهب للإبحار فى يخته الخاص ، فعرف فيه الشخص الذى زار أبى فى الخامسة من يونية سنة ١٨٢٩ والذى كتب لى هذا الخطاب فى الخامس من سبتمبر ٠ وقد استوفى ( بنيلون ) من شخصه لكنه لم يجزؤ على مخاطبته ٠٠ ! »

فقال الكونت كريستو وقد أقلقته النظرة الفاحصة التى رمقته بها جولى : « انجليزى ٠٠؟ أهو ثرى انجليزى ؟ »

فأجاب مكسميليان : « نعم ، انجليزى تقدم الى أبى باعتباره المندوب الخاص لبنك ( تومسون ) وقرنشى فى روما ٠ وهذا ما جعلنى أجفل حين سمعتك تذكر فى منزل مسيو دى مورسيرف ان البنك الذى تتعامل معه هو بنك تومسون وفرنش ٠٠ فقل لى بربك : هل تعرف ذلك الثرى الانجليزى ؟ »

فقال الكونت وهو يتكلف الهدوء : « لكنك ذكرت لى أن بنك تومسون وفرنش أنكى جازما أنه أدى لكم تلك الخدمة ؟ »

فأوما مكسميليان موافقا ، بينما واصل الكونت كلامه فقال :

— اذن ٠٠ ألا يحتمل أن يكون ذلك الانجليزى شخصا أدى له والدك صنيعا يوما ما ، نسيه بعد ذلك ، ففكر هو أن يرد له بهذه الطريقة الغامضة ؟

— كل شيء جائز فى هذا الشأن !

— وما اسم هذا الانجليزى ؟

— اننا لا نعرف له اسما غير اسم ( السندباد البحرى ) الذى وقع به على خطابه !

— ألم تكن له قامتي ، أو أطول قليلا ، وكان يرتدى رباط رقبة يصل الى ذقنه ، وسترة ملتصقة بجسمه ٠٠ ومن عادته أن يخرج قلمه من جيبه كل حين ؟

فهمت جولى وقد لمت عيناها غبطة : « نعم ٠٠ نعم ٠٠ انك اذن تعرفه يا سيدى ٠٠ وافرحتاه ! »

فقال الكونت : « كلا ٠٠! وانما أنا أستنتج فقط ، فقد عرفت شخص اسمه اللورد ويلمور اعتاد أن يقوم بتصرفات من هذا النوع »

فسأله : « هل كان لا يفصح عن شخصيته أيضا ؟ »

فأجاب : « انه كان مخلوقا شاذا ، لا يؤمن بأن لعرافان الجميل وجودا ! »

فهمت متفجبة : « رياه ٠٠! وبم كان يؤمن اذن ؟ ! »

فأجاب الكونت وقد لمست شغاف قلبه لهجة جولى الفياضة بالامتنان : « انه لم يكن يؤمن بذلك فى الفترة التى عرفت فيها ٠٠ ولعله تبين بعد ذلك أن الاعتراف بالجميل ما زال موجودا على الارض ! »

فقالت له متوسلة : « اذا كنت تعرف هذا الشخص ، فانى أرجو ملحة فى الرجاء أن ترشدنا الى مكانه ٠٠٠ آه لو عثرنا عليه ! ٠٠ اذن لا نقنعناه بوجود الاعتراف بالجميل ، والاعتراف الصادر من القلب ! »

وأحس الكونت ان الدموع تكاد تطفو من عينيه ، فنهض وراح يذرع الحجرة مرة أخرى بخطوات سريعة ٠٠ بينما ناشده مكسميليان قائلا : « بحق السماء ، أذكر لنا ما تعرفه عن ذلك الشخص »

فهمت الكونت دى مونت كريستو وهو يجاهد ليقيم انفعاله ، اذا كان لورد ويلمور هو ولى نعمتكم المجهول فأخشى أنكم لن تروه ثانية . لقد افرقت عنه منذ عامين فى ( باليرمو ) ٠٠ وكان يتأهب للابحار الى أقصى أطراف الأرض ، بحيث أعتقد أنه لن يعود مرة أخرى ! »

فقالت جولى وقد طافت الدموع بماقيها : « تعنى اننى لن أراه يا سيدى ٠٠ هذه قسوة منك ! »

فأجابها الكونت في لهجة جادة وهو ينظر بشغف الى اللؤلؤتين المنحدرتين على خديها : « لو كان لورد ويلمور قد رأى ما أراه الآن ، لأحب الحياة ، فان الدموع التي تدرفينها كانت كفييلة بأن تعيد اليه حسن ظنه بالبشر !

ثم مد الكونت يده الى جولي مصافحا ، فقالت وهي تضع يدها في « ولكن ٠٠ أليس للورد ويلمور أسرة أو أصدقاء نستطيع أن ؟ فقطع الكونت كلامها قائلا في تلمظ :

— لا تتعبي نفسك في الاستقصاء ، فلعله لا يكون الشخص الذي أدى لكم ذلك الصنيع ٠٠ لقد كان اللورد صديقي الحميم . ولم يكن يخفى علي أي سر خاص به ، فلو أنه كان صاحب ذلك الصنيع لأفضى الي بما فعل ! وعندئذ خف مكسمليان الى نجدة الكونت وقال لأخته :

— ان السيد علي حق يا أخناه ٠٠ تذكرى ما طالما قاله لنا أبونا البار : ( ليس الرجل الانجليزى هو الذي أنقذنا )

وهنا سأل الكونت في لهفة : « ماذا قال لك والدك يا مسيو موريل ؟ »

فأجاب : « كان من رأى والدي أن ذلك الصنيع من قبيل المعجزات ، وأن صانعه قد بعث من القبر لينقذنا ٠ أوه ، انها كانت خرافة مؤثرة يا سيدي ، وبرغم اني شخصيا لم أصدقها فاني لم أشأ أن أحطم ايمان أبي بها ٠٠ وكم من مرة حام حولها وذكر اسم الصديق العزيز الذي فقده للأبد ، والذي عزا اليه ذلك الصنيع ، بل انه حين حضرته الوفاة ، وأضاءت ساعة الاحتضار ذهنه بنور خارق للطبيعة ، تحولت عنده هذه الفكرة الى يقين قاطع ٠٠ فكانت كلماته الاخيرة لي ( مكسمليان ٠٠ انه ادمون دانتيس الذي أنقذنا ! ) ٠٠٠ »

وهنا بلغ شحوب وجه الكونت درجة مزعجة ، فلم يقو على الكلام ، ونظر الى ساعته كمن نسي موعدا هاما ، ثم نطق على عجل بوضع عبارات موجهة الى مدام هربول وصافح كلا من مكسمليان وايمانويل وهو يقول لها : « سيدتى ، اني لأطمع في أن تسمحى لي بزيارتكم بين حين وآخر ، فانا أقدر صداقتكم وأشكركم على حفاوتكم ، فهذه هي المرة الأولى التي أطلق فيها العنان لمشاعري منذ سنوات ! »

ثم غادر البيت مسرعا !

وقال ايمانويل على أثر خروج الكونت :

— ان الكونت دى مونت كريستو رجل غريب الأطوار !

فقال مكسمليان : « نعم ٠٠ لكنى أحس عن يقين أن له قلبا نبيلًا ، وأنه يحبنا ! »

وقالت جولي : « لقد تغفل صوتيه الى أعماق ، وخيل الى مرتين أو ثلاثا أننى سمعته من قبل ! »

## درس فى السموم!

لم يبطئ الكونت دى مونت كريستو. فى العودة الى زيارة مدام دى فيلفور .. ولم يكده الخادم يعلن اسمه حتى عم الهرج والمرج انحاء البيت ، وطلبت مدام دى فيلفور - التى كانت فى الصالون وحدها وقتئذ - أن تحضر المربية ولدها كى يجدد شكره وامتنانه للكونت .. وكان الصبي - واسمه ادوارد - قد سمع اهله يتحدثون عن هذه الشخصية العظيمة طيلة اليومين السابقين ، فبدل جهده كى يخف اليه سريعا. لا طاعة لاهه او تقديرًا لفضل الكونت عليه ، بل بدافع الفضول المحض .. ورغبة فى أن يجد فى شخصه ما يصلح لأن يتخذه فيما بعد مادة لتعليقاته السليطة التى تطلق لسان امه بلومه وتأنيبه من حين لآخر ، وان كانت معجبة بذكائه

وبعد تبادل التحيات المألوفة التفتت الى ابنها ادوارد قائلة : « ماذا تفعل اختك فالنتين ؟ .. دع احدا يبلغها انى أريدها لاشرف بتقديمها للكونت » فسأله الكونت : « اك انسة ايضا يا سيدتى ؟ . لا بد انها صغيرة السن ؟ »

فأجابته الزوجة الشابة : « انها ابنة مسيو دى فيلفور من زوجته الاولى .. وهى فنانة رائعة »

فقاطها الصبي ادوار وهو ينتزع بضع ريشات من ذيل بيضاء كانت تتصايح فوق قفصها الذهبى : « لكنها متهوسة ! »

فصاحت به امه : « صه يا ادوار ! » ثم أضافت تحدث ضيفها : « هذا الولد الشقى اللعين مصيب مع ذلك الى حد ما ، وهو يردد ما سمعنى أقوله متألما مائة مرة . ذلك أن الآتسة دى فيلفور - برغم كل ما نبذله من أجلها - ذات طبيعة سوداوية وميل الى الصمت والانزواء ، الامر الذى يغض من جمالها . ولكن ما الذى يعوقها ؟ . اذهب يا ادوار وادعها » فقال ادوار : « أنهم يبحثون عنها فى المكان الذى لن يجدوها فيه كما هو شأنهم دائما ! »

فسأله : « أين يبحثون عنها ؟ »

فأجاب : « عند جدى قوارتيه .. وأنا على يقين من أنها ليست هناك ! »

فسأله : « واين هى اذن ؟ .. اذا كنت تعرف مكانها فلم لا تقول ؟ »

فأجاب : « انها تحت شجرة الكستناء الكبيرة ! »

فمدت الام يدها الى الجرس كى ترشد الخدم الى مكان الفتاة . ولكن هدد

سرعان ما ظهرت مقبلة ، وقد بدت عليها اليكابة ، بحيث كان الفاحص المدقق يستطيع أن يلمح في عينيها آثار دموع قد جففت !

كانت « فالتين » فتاة طويلة القامة رشيقة القد ، في التاسعة عشرة من عمرها ، ذات شعر كستنائي ، وعينين زرقاوين عميقتين ، ومظهر وتور يوحى بالاستغرافية الهادئة التي كانت تميز أمها .. وكانت أصابعها البيضاء الدقيقة وعنقها العاجي وخداها المصطبغان باللون وظلال شتى ، تذكر الناظر إليها بالحنان الانجليزيات اللواتي قارنهن الشعراء بالبعجات ذوات الجلال !

وحينما دخلت الفتاة الحجرة ، ورات الى جوار زوجة أبيها الرجل الذي سمعت كثيرا من الاحاديث عنه عمدت الى تحيته دون أى ارتباك صياني ، بل دون أن تغض من بصرها ، وبرشاقة ضاعفت انتباه الكونت إليها ، فنهض ليرد لها التحية !

وحين قدمتها له زوجة أبيها باسمها ، أردف ادوار أخوها يكمل التعريف وهو يرمقها بنظرة مأكرة : « وهذا مسيو دى مونت كريستو ملك الصين وامبراطور الهند الصينية .. ؟ »

وهنا شحب وجه أمه واستبد بها الغضب على الغلام الشقي ، لكن الكونت ابتسم في غير غضاضة ونظر الى ادوار في تسامح جعل قلب الأم يسترد فرحته وتحمسه .. ثم واصل حديثه فقال وهو ينقل بصره بين مدام دى فيلفور وفالتين : « ألم أشرف من قبل بلقائكما ؟ لقد دار هذا بخاطري منذ البداية ، حين دخلت الأنسة أضاف مرآها شعاعا جديدا من الضوء على ذكرى مشوشة في ذهني ؟ ! »

فأجابت السيدة دى فيلفور : « لست اعتقد ذلك يا سيدى ، فان الأنسة دى فيلفور ليست شغوفة بالمجتمعات ونحن لا نخرج إلا نادرا ! » فقال : « اذن .. لم يكن المجتمع موضع لقائي بالأنسة أوبك يا سيدتى ، أو بهذا الغلام المرح الجذاب .. ثم ان مجتمعات باريس غريبة على تماما ، فاني لم أحضر الا منذ أيام .. ولكن ربما كان ذلك اللقاء في إيطاليا .. كانت الأنسة تسير في الحديقة ، وذهب ابنك يطارد طاووسا ! »

وهنا تدخل الغلام ادوار فقال بعد ان أوما موافقا : « نعم .. نعم يا امام ، وقد أمسكت بذلك الطاووس وانتزعت ثلاث ريشات من ذيله .. الا تذكرين ؟ »

واستطرد الكونت : « اما أنت يا سيدتى فبقيت في ظل الكرمة .. الا تذكرين انك وانت جالسة على مقعد حجري ، في غيبة الأنسة دى فيلفور وابنك ، تحدثت فترة من الوقت الى شخص ما ؟ »

فأجابت الزوجة الحسنة وقد صعد الدم الى وجهها : « نعم .. هذا صحيح .. اذكر انى تحدثت الى رجل يرتدى عباءة طويلة من الصوف . كان طيبيا على ما اذكر ! »

فقال الكونت : « تماما يا سيدتى ، وذلك الرجل أو الطبيب لم يكن سوى ! . كانت قد انقضت مدة على وجودى فى الفندق ، وقد استطعت خلالها أن أشفى خادمى من حمى أصابته ، وأشفى صاحب الفندق من داء البرقان ، فاكتمت بذلك صينا ذائعا هناك . وقد تحدثنا يومئذ يا سيدتى فترة طويلة من الوقت ، فى موضوعات شتى مثل ( بيروجنتو ) ، و ( رافاييل ) ، والعادات ، والأزياء .. كما تحدثنا عن علم مزج السوائل ، وذكرت لى أن أشخاصا معينين فى ( بيروجنا ) يحتفظون بسرّه »

فقال المرأة متعجبة ، فى شيء من القلق : « نعم ، هذا صحيح .. أذكر ذلك الآن ! »

واستطرد الكونت فقال فى هدوء تام : « .. لست أذكر جميع الموضوعات التى تكلمنا فيها يومئذ يا سيدتى ، لكنى أذكر بوضوح أنك وقعت فى الخطأ الذى وقع فيه غيرك بصدد براعتى فى الطب فاستشرتني بشأن صحة الأنسة دى فيلفور »

وفى تلك اللحظة دقت الساعة السادسة ، فالتفتت مدام دى فيلفور الى فالنتين وقالت لها فى انفعال : « الساعة السادسة الآن .. هل لك أن تدهبى لترى هل جدك يريد تناول عشاءه ؟ »

فنهضت فالنتين وغادرت الغرفة ، بعد أن حيت الكونت ، دون أن تجيب بكلمة .. فقال الكونت : « أواه يا سيدتى ، هل بسببى أبعدت الأنسة دى فيلفور عن الغرفة ؟ »

فقال : « كلا ! . إنها الساعة السادسة وهى الموعد المحدد لاعطاء المسيو نوارتييه الوجبة الاجبارية التى تعينه على الاحتفاظ بما بقى من قواه .. . انك على علم يا سيدى بحالة الانحلال التى أصيب بها والد زوجى ، اليس كذلك ؟ »

فقال : « نعم ، لقد حدثنى مسيو دى فيلفور عنها مرة .. إنها حالة شلل على ما أذكر ؟ »

فقال : « نعم ، ان الكهل المسكين لا يقوى على اية حركة ... ولم يبق محتفظا بنشاطه فى جسمه غير عقله ، ولو أنه بدأ يضعف ويختلج كنور الصباح الذى يوشك أن ينطفئ .. ولكن اغفر لى يا سيدى كلامى فى متاعبنا البيتية . لقد قاطعتك فى اللحظة التى كنت فيها تحدثنى عن براعتك فى الكيمياء ! »

فقال : « كلا يا سيدتى ! . لم أقل ذلك تماما . وما درست الكيمياء الا على اثر اعتزامى العيش فى الأجواء الشرقية ، كى أنهج نهج الملك ميتريداتس الذى .. »

وهنا قطع الصبى كلامه وقال وهو ينتزع بعض الصور الجميلة من

« ألبوم » ثمين : « أهو الملك ميتريداتس الذى كان يفطر كل صباح بكأس من السم المزوج بالكريمة ؟ »

فهمت به وهى تنتزع اليوم الصور من قبضته :  
— أسكت أيها الشقى ! . لقد صرت لا تحتمل . انك نزعجتنا وتقطع حديثنا ، فاتركنا والحق بأختك فالتين فى غرفة جدك  
ثم نهضت فقامت الغلام من يديه حتى الباب . وتبعها الكونت بعينه وهو يحدث نفسه : « ترى .. هل تغلق الباب خلفها ؟ »

وأغلقت مدام دى فيلغور الباب بأحكام بعد خروج الصبى ، فتظاهر الكونت بأنه لا يلحظ حركتها ، ولما عادت الى مقعدها أخذت تلقى على ما حولها نظرة فاحصة .. فاستطرد الكونت قائلاً : « لقد قاطعت الغلام وهو يذكر فذلكة تاريخية تثبت مدى اهتمام معلمه بتثقيفه .. ! »

فقالت الأم فى شيء من الزهو : « انه ذو قابلية للعلم ، وهو لا ينسى أى درس يلقى عليه .. لكن عيبه الوحيد انه شديد العناد . ولناسبة هذا الذى قاله ، هل تصدق حقاً ان ميتريداتس كان يستعمل تلك الوسائل ، وأنها كانت ذات اثر حقيقى ؟ »

فقال : « نعم اعتقد ذلك يا سيدتى ، لأنى أنا نفسى قد جربتها كى آمن شر الموت بالسم فى رحلاتى المتعددة فى نابولى ، وبالرمو ، وأزمير .. أعنى فى مناسبات ثلاث كنت فيها سأفقد حياتى لولا تلك الوسائل الاحتياطية ! »

فقال : « اننى أذكر الآن أنك أشرت الى شيء من هذا القليل خلال حديثنا فى بيروجيا .. اليس كذلك ؟ . كما أذكر أنى سألتك يوماً : هل السموم تحدث أثرها فى أهل الشمال وأهل الجنوب على حد سواء ، فاجبت بأن الشماليين بطبعهم أميل الى البرود والكسل ، وهذا يجعل قابليتهم للتسمم أخف من قابلية أهل الجنوب ذوى الطباع النشطة والحيوية »

فقال : « هذا صحيح ، ولقد رأيت بعينى أفراداً من الروس يتناولون أعشاباً خاصة ، لو تناولها انسان من العرب أو سكان الشرق الأوسط لقلنته فوراً ! »

فسألتة فى اهتمام : « أتعقد هذا حقاً ؟ .. أعنى هل خطر هذه الأعشاب أشد على من يعيشون فى جو لا تكثر فيه الأمطار والغيوم ، لان هذه تجعل الأجسام أقل قابلية لامتصاص السموم ؟ »  
فأوماً الكونت موافقاً وقال :

— نعم ، ولا ريب يا سيدتى .. لذلك ينبغى أن يحصن ضد السم من لم يألفه من قبل لكى يتعوده جسمه !

فقال : « استطيع ان أفهم ذلك .. ولكن كيف تعود نفسك السم ؟  
أعنى كيف عودت نفسك فى المرات السالفة ؟ »

فقال : « هذا سهل جداً .. فلو فرضنا أنك عرفت سلفاً نوع السم



الذى سوف يدس لك .. ولكن هو ( البروسين ) مثلا .. تم تناولت في اليوم الاول مقدارا منه ، في اليوم الثاني ضعف هذا المقدار .. وهكذا لمدة عشرة أيام فانك تصيرين قادرة على أن تتعاطى مقدارا كبيرا منه دون أن يصيبك ضرر يذكر .. بينما لو اعطيت هذا المقدار نفسه لإنسان لم يتناول المقادير الصغيرة السابقة فانه يقتله ! .. وهكذا يمكنك في نهاية الشهر أن تشربى الماء من أناء واحد مع شخص آخر ، فيموت هو .. في حين لا تتسعين أنت بغير مضايقة بسيطة ! .. »

فقال مدام دى فيلفور في لهجة من نعن في الفكر : « لقد طالما قرأت تاريخ ميثريداتس ، وأعدت قراءته ، لكى كنت اعتبره بمثابة أسطورة خرافية ! » فقال : « كلا يا سيدتى ! انه — بعكس أكثر ما يرويه التاريخ — صحيح تماما ! .. لكن ما تستفسرين عنه ليس فيما يبدو ثمرة فضول طارىء ، فمند عامين سالتنى هذه الأسئلة نفسها ، وقلت له يومئذ ان تاريخ ميثريداتس قد شغل فكرك زمنا ؟ »

قالت : « هذا صحيح ، فقد كان علم النبات والجيولوجيا أحب العلوم الى في زمن الدراسة .. وأنا اميل بطبعي الى العلوم التى تخاطب الخيال كالشعر ، والعلوم التى تخضع للأرقام مثل الجبر .. ولكن استمر ، فحديثك يلد لى جدا ! »

فقال الكونت : « الأغرب من ذلك يا سيدتى ان الشرقيين لا يستخدمون السم كدرع للوقاية — كما فعل ميثريداتس — بل كخنجر للعدوان ! .. فالعلم في أيديهم لا يكون سلاحا دفاعيا فقط ، بل للهجوم ايضا ، وهكذا يحميهم من خصومهم ويخلصهم منهم في الوقت نفسه .. فهم بواسطة الأفبون وست الحسن ( البلادونا ) وغيرها من العقاقير يتيمون الى الأبد كل من يختصون ان يبقوا ساهرين ! .. وما من امرأة من نساء المزيين والأتراك واليونان اللواتي نسميهم هنا ( النساء الفاضلات ) لا تعرف كيف كيف تسعين بالكيمياء على قضاء أغراضها ، بحيث تدهش الطبيب المتحرف ، وتذهل العالم النفساني الذى يتلقى اعترافات الناس ! »

فتساءلت مدام دى فيلفور وقد لمعت عينها بوهج غريب : « حقا ؟ ! » .  
بينما استطرد الكونت فقال :

— اما عندنا نحن فان اى ساذج تملكه شيطان الحقد او الطمع ورغب في التخلص من عدو او قريب ، يذهب عادة الى حانوت البقال أو الصيدلى منتحلا لنفسه اسما زائفا — يؤدى الى افتضاحه في الواقع أكثر مما لو ذكر اسمه الحقيقي ! — ثم يتتاع خمسة جرامات أو ستة من الزرنيخ ، بحجة ان الفيران تزعج نومه ! .. وإذا كان الشخص مأكرا فانه يحصل على هذه الكمية من حوانيت مختلفة ، يكرر في كل منها القصة ذاتها ، فيضع نفسه تحت رحمة شهود عديدين متفقى الشهادة .. ثم يسقى خصمه جرعة من السم تكفى لقتل أضخم فيل أو حوت ، وتجعله يصرخ مستغيتا فيجمع

حوله أخيران وسكان المنطقة .. ثم لا يلبث ان يصل رجال البوليس والمباح ، وفي اثرهم الطبيب الشرعى الذى يشرح الجثة فيجد فى امعائها من بقايا الزرنىخ ما يملأ معلقة ! .. وفى اليوم التالى تصدر الصحف جميعا وفى صدرها كل البيانات ، واسم القاتل والقاتل فيهرع القاتلون والصيادلة ليشهدوا ضد المتهم الذى يساق الى المحاكمة كما يساق الكباش الى الذبح ، ثم يصدر ضده الحكم وينفذ فيه الاعدام .. او - اذا كانت امرأة - تسجن مدى الحياة ! .. هذه هى الطريقة التى تفهمون بها انتم اهل الشمال علم الكيمياء ... لكن ( ديرو ) كان فى الواقع ابرع من ذلك !

فقال المرأة ضاحكة : « ماذا تنتظر منا يا سيدى ؟ .. نحن نفعل ما فى مقدورنا .. وليس جميع الناس على علم بأسرار وسائل أسرة بورجيا واسرة مديتشي ! »

فاجاب الكونت وهو يهز كتفيه : « هل تبغين ان اذكر لك سبب هذه الحماقات ؟ .. انها مسارحكم التى الف النظارة فيها ان يروا الممثل يجرع محتويات قارورة بأكملها ، فيسقط ميتا على الفور .. وبعد خمس دقائق يسدل الستار ويتفرق المتفرجون دون ان يفكروا فيما يحدث عادة فى مثل ذلك الحادث من حضور مفتشى المباحث واسجوابهم المتهم ، ثم الاقتصاص منه .. وهذه الروايات غير المتقنة تؤثر فى ذوى العقليات الضعيفة فيتوهمون ان الامور تجرى على هذا المنوال .. ولكن ابتعدى عن فرنسا وتوغلى جنوبا الى حلب او القاهرة ، او حتى الى نابولى وروما .. فلسوف تجدن هناك اناسا يعمرون بجانبك فى الطريق ، منتصبى القامة ، باسمى الثور ، متوردى الوجه .. ولكن لو رأهم ( اسمودىوس ) لقال على الفور : « هذا الرجل قد دس له السم منذ ثلاثة أسابيع ، وسوف يموت بعد شهر ! »

وهنا سألته مدام دى فيلفور : « اذن فقد اكتشفوا مرة أخرى أسرار علم السوائل والسموم ، الذى قيل انه فقد فى بيروجيا ؟ »

فقال : « نعم يا سيدتى .. وهل تفقد البشرية يوما شيئا ؟ .. ان السموم تحدث اثرها بصفة خاصة فى عضو من الجسم دون آخر .. فهناك سم يسبب سعالا مثلا ، والسعال يحدث التهابا فى الرئتين ، او شيئا من هذه الأمراض المميتة المنصوص عليها فى كتب الطب ، وهى وان لم تكن مميتة بطبيعتها فان الاطباء الأغبياء - الذين هم عادة جهلة بالكيمياء - كفيلون بان يزيدوا الداء استفحالا .. ثم يموت المريض الذى قتل ببراعة وفن ، دون ان يصل الى علم المدالة شيء عن الجريمة ! »

فقال الزوجة الشابة وقد اجلسها الانتباه جامدة فى مكانها بلا حراك : « هذا امر مخيف جدا ، لكنه شائق فى الوقت ذاته .. واعترف بانى كنت احسب هذه الاقاصيص من ابتداء القرون الوسطى ! »

فقال الكونت : « انها لكذلك حقا ، ولكن تحسينات كثيرة ادخلت عليها فى عصرنا الحاضر .. فما جددى الزمن بل ما جددى مكافآت التفوق

والأوسمة والنياشين والجرائد العلمية اذا هي لم تأخذ بيد المجتمع نحو كمال اوقى ؟ .. على أن الانسان لم يبلغ درجة الكمال المطلق حتى يتعلم كيف يخلق ويهلك ، وهو يعرف كيف يهلك .. وهذه نصف المعركة ! »  
وهنا بدا على مدام دى فيلغور الانهماك فى التفكير ، ثم قالت :  
— انه لمن حسن الحظ أن تلك المواد لا توجد وتركب الا عند الكيميائيين ، والا لقتل الناس جميعا بعضهم بعضا بالسّم !  
فقال الكونت فى غير مبالاة : « عند الكيميائيين والمولعين بالكيمياء ! »

واستطردت المرأة وهى تحاول جاهدة التخلص من افكارها الملحة : « تم ان الجريمة مهما يتم تدبيرها ببراعة فانها تبقى آخر الأمر جريمة يعاقب عليها القانون ، وحتى ان أفلت مرتكبها من حكم القانون فلن تغفل عنها عين الله الساهرة .. ان الشرقيين أقوى جنانا منا فى مسائل الضمير ، ولا جحيم عندهم .. هذا هو الفارق ! »

فقال : « الواقع يا سيدتى ان هذا شك خليك بأن يراود ذهننا طاهرا مثل ذهنك ، لكنه لا يلبث أن يتبدد امام المنطق السليم .. فهناك اشخاص قليلون يعمد الواحد منهم الى اعماد سكينه فى قلب مخلوق بشرى منله ، او يدس له مثل تلك الكمية التى تحدثنا عنها من الزرنيخ كى يزيله من الوجود ويمحوه محوا .. ومثل هذا القاتل المتوحش يكون شاذا أو غبيا وخارجا على المألوف ، ولكى يبلغ هذه الدرجة من التوحش يجب أن يغلى دمه فى عروقه ويرتفع نبضه ، وتستثار مشاعره الى اقصى حد .. ولكن لو فرضنا انه استعاض عن الكلمة الخشنة بمرادفها الأكثر نعومة ، وبدا من أن يرتكب جريمة القتل الفظيعة يكتفى بابعاد خصمه عن طريقه ببساطة ، دون عنف او خسونة ، ودون لجوء الى الآلام التى تجعل من الضحية شهيدا ومن المعتدى جزارا .. بل دون دم ، أو تأوهات ، أو هزات عنيفة .. ودون احساس بوطاة اللحظة المروعة الحاسمة ، لحظة ارتكاب الجريمة الفاصلة بين الحياة والموت .. عندئذ يصبح فى امكان الشخص أن ينجو من قبضة القانون البشرى الذى يقول : ( لا تزعم المجتمع ) .. وتلك هى الطريقة التى يدبر بها الشرقيون هذه الأمور وينجحون فيها ، حيث لا يقيم الناس اعتبارا للزمن ولا يستعجلون النتائج !

فقالت مدام دى فيلغور بصوت منفعل وتنهدة مخنقة : « ولكن .. يبقى هناك عقاب الضمير ! »

فاجاب مونت كريستو : « نعم ، من حسن الحظ أن عقاب الضمير يبقى ، واولا ذلك لكانت الحياة تعسة شقية لا تطاق .. فعلى اثر كل فعل يتطلب اجهاد النفس فى التبرير والتخريج يتولى الضمير وحده انقاذنا ، فهو يزودنا بالف عذر وعذر لا يكون قبوله فى يدنا وحدنا .. على ان هذه الأعداء التى تفعل فعل السحر فى جلب التعاس الى اجفاننا لا تكاد تجدينا نفعا حين نمثل امام المحكمة كى نحاكم عن جريمتنا ! .. ومن قبيل ذلك مثلا ان ضمير

ريتشارد الثالث خدمه أجل خدمة بعد أن قتل ولدى ادوارد الرابع - فقد راح يلقي في روعه أن هذين الولدين اللذين ورثا عن أبيهما القاسي السنبد مساوئيه وصفاته البغيضة يقفان حجر عثرة في سبيل ارتقائه العرش وانقاذه الشعب الانجليزى من مظالمهما! وكذلك كان ضمير ليدى ماكبت - في رواية شكسبير - خير شفيع لها حين ارادت أن تمنح ابنها - وليس زوجها - عرش البلاد!.. أن الحب الأموى فضيلة عظيمة وحار فوى - بل انه من القوة بحيث يبرر أشياء كثيرة!..»

وبقيت مدام دى فيلفور تصغى صامته الى هذه المبادئ والآراء الرهيبة ثم قالت له :

— هل تعلم يا عزيزى الكونت أن لك منطقاً مقنعاً شديداً للخطر ، وأنك كيميائى بارع ، فإن الدواء الذى اعطيته لابنى في ذلك اليوم قد أعاده فوراً الى وعيه!..»

فقال لها : « الواقع أن قطرة واحدة من ذلك الاكسير اعادت الطفل المغمى عليه الى وعيه ، ولكن ثلاث قطرات كانت كفيلة بأن تقذف الدم الى رثنيه بعنف يحدث سرعة هائلة في نبضه .. وكانت ست قطرات كافية لأن توقف تنفسه وتحدث له اقماء أخطر من الذى أصيب به يومئذ .. أما لو اعطيته عشر قطرات فإنها تقتله!.. اولاً تذكرين يا سيدتى كيف اختنقت القارورة من جواره حين لمسها بيده ؟ »

فقالت : « هل كان السائل الذى تحويه سما فظيحا الى هذا الحد ؟ »

قال : « كلا يا سيدتى!.. ولنبدأ أولاً بالفاهم على أن كلمة سم لا وجود لها ، لأن الطب يستخدم أعنف السموم فيجعل منها وفقاً لطريقة استعمالها احسن الادوية وأفضلها للعلاج ! »

فسألته : « اذن ماذا كان السائل الذى بها ؟ »

فأجاب : « لم يكن سوى مستحضر تاجع الأثر من تركيب صديفى البارع الراهب ( اديلمونت ) الذى علمنى طريقة استعماله »

فقالت : « اذن فهو مفيد في معالجة التشنجات العصبية ؟ »

فقال : « نعم يا سيدتى ، كما رأيت بنفسك .. وأنا أستعمله كثيراً في العلاج ، مع مراعاة منتهى الحذر طبعاً »

فقالت : « الواقع اننى في حاجة الى استشارة مثل الدكتور اديلمونت كي يبدع لى دواء لنوبات الاغماء العصبى التى تتنابى ، فيجعلنى اتففس بسهولة ويهدئ ثائرتى وانزعاجى الذى مبعثه الخوف من أن أموت يوماً محتقة خلال نوبة من تلك النوبات .. وحتى يتيسر لى ذلك العلاج ، ونظراً الى أن صديقك الراهب قد يكون مستعداً للحضور الى باريس خضيصاً من اجلى ، فانى مضطرة لأن أستمّر في استعمال دواء مسيو ( بلانشين ) المضاد للتشنجات ، فضلاً عن قطرات ( هوفمان ) واقراص النعناع .. واليك بعض الأقراص التى ركبت خضيصاً من اجلى .. »

وفتح الكونت الصندوق الصغير الذي قدمته اليه ، واخبر رالحة  
الاقراص بمقدرة الهاوى الخبير بما تحوى من مركبات .. ثم قال : « انها  
قوية الاثر ، ولكن لما كانت تؤخذ من طريق الفم فان تناولها يتعذر على  
الانسان اثناء اغمائه ، ولهذا افضل عليها دوائى ! »

فقالت : « بلا شك ، وانا ايضا افضله ، بعد ما رايت من قوة تأثيره ..  
لكنك تعتبره سرا بطبيعة الحال ، ولست من التطفل بحيث اطلبه منك ؟ »  
فقال : « لكنى من الشهامة بحيث اتطوع لتقديمه لك يا سيدتى ! »  
وبدا السرور والاعتباط فى وجه مدام دى فيلفور ، بينما واصل الكونت  
كلامه فقال :

— ان جرعة صغيرة منه علاج نافع ، اما الجرعة الكبيرة فسم قاتل ..  
القطرة الواحدة تكفى لرد الحياة الى الجسم كما رايت ، اما خمس قطرات  
فانها تقتل .. ويزيد فى خطورتها انها لو وضعت فى كأس من النبيذ مثلاً  
لا تبين لها رائحة مطلقاً !



وهنا دقت الساعة السادسة والنصف ، وأعلن الخادم وصول سيده من  
صديقات مدام دى فيلفور جاءت لتتناول العشاء معها .. فقالت ربة  
البيت لضيفها الكبير :

— لو كانت هذه هى زيارتك الثالثة او الرابعة يا سيدى الكونت .. ولو  
كان لى شرف الخطوة بصداقتك ، بدلاً من أن تكون لى سعادة العرفان  
بجميلك فقط .. لأصررت على دعوتك للبقاء وتناول العشاء معنا ، لكنى  
أخشى أن يشوب رفضك الدعوة الآن صداقتنا فى بدايتها ؟ »  
فقال : « اشكرك ألف شكر يا سيدتى .. لكنى فى الواقع مرتبط بموعد  
لا أستطيع أن أتخل منه ! »

فقالت : « اذن فالى اللقاء ، ولا تنس الدواء .. ! »

فقال : « لن أنساه يا سيدتى ، لأنى لكى أنساه يجب أن أنسى الحديث  
الطلى الذى كان بيننا طيلة ساعة كاملة ، وهذا أمر مستحيل فى نظرى ! »

ثم نهض محبياً وانصرف .. بينما بقيت مدام دى فيلفور شاردة الفكر  
لحظة ، تحدث نفسها : « انه رجل غريب الأطوار ، واعتقد انه هو نفسه  
الطبيب ( اديلمونت ) مبتكر طريقة تركيب الدواء ! »

اما الكونت كريستو فقد فاقت نتيجة المواجهة كل ما كان يرجوه ، فحدث  
نفسه وهو منصرف من البيت : « هذا بديع ! .. انها تربة خصبة وانا واثق  
ان البذرة التى بذرتها لن تموت ! »

وفى صباح اليوم التالى ارسل قنينة الدواء .. وفاء بوعده !

## اب.. وابن... زائفان !

نهض الكونت دي مونت كريستو لاستقبال ضيفه الغريب وابتسدره بقوله : « دعنى أتذكر : الست المركيز بارتليميو كافالكانتى البكباشى بالجيش النمسوى سابقا ؟ » لقد أرسلك الاثب بوزونى .. أليس كذلك ؟ » وأوما الضيف موافقا ، وقال وهو يناول الكونت خطابا مغلقا : « وقد حملنى الى فخامتك هذا الخطاب ! »

فتناول منه الكونت الخطاب وقرأ فيه : « البكباشى كافالكانتى ، من نبلاء ( لوتشا ) وسليل أسرة كافالكانتى الشهيرة بفلورنسا .. يملك إيرادا قدره نصف مليون فرنك ، وهو شخص لا ينقصه من أسباب السعادة غير أن يسترد ابنه الحبيب الضائع الذى سرق منه فى طفولته أما بواسطة عدو له من أسرته النبيلة وأما بواسطة الفجر .. وقد جددت أمله حين ذكرت له أن فى مقدورك أن ترد اليه ابنه الذى يبحث عنه دون جدوى منذ خمسة عشر عاما ! »

ثم أردف الكونت قائلا : « ان فى مقدورى حقا أن أصنع لك ذلك ... أرد اليك ابنك أندريا ! »

فقال الضابط فى برود تام : « لقد حسبت ذلك .. ولعله هنا ؟ » فقال الكونت : « نعم .. ولكن ينبغى أن تتمالك عواطفك ريثما أعد الشاب للقائك ! »

.. ثم مضى الكونت الى غرفة جانبية، حيث كان يوجد شاب أنيق المظهر جليل الهيئة ، وصل منذ نصف ساعة .. فخاطبه بقوله : « أعتقد أنى أتحدث الى الكونت اندريا كافالكانتى ؟ »

فكرر الشاب الاسم وراءه وهو ينحنى : « الكونت اندريا كافالكانتى ! » — وأنت تحمل خطاب تقديم موجه الى وموقع عليه بامضاء « السندباد البحرى » ، أليس كذلك ؟ .. انه صديق حميم لى .. وهو ثرى انجليزى ذو شذوذ يبلغ حد الجنون ، واسمه الحقيقى اللورد ويلمور .. فهلا تكرمت بأن تعطينى بعض المعلومات عن نفسك وأسرتك ؟

— بلا شك ، أنا الكونت اندريا كافالكانتى ابن البكباشى بارتليميو كافالكانتى سليل أسرة كافالكانتى التى ورد ذكرها فى الكتاب الذهبى لمدينة فلورنسا .. وأسرتنا برغم أنها ما تزال تتمتع بالثراء وايراد أبى يصل

الى نصف المليون - الا انها عانت كثيرا من المتاعب والاحداث السيئة ، فآنا مثلا قد اختلطت في سن الخامسة بمساعدة معلمى الحائن ، بحيث انقضت على منذ ذلك التاريخ خمسة عشر عاما لم أر فيها الشخص الذى كان السبب المباشر في وجودى ٠٠ ومنذ بلغت رشدى وصرت سيد نفسى لم أتوان عن البحث عن والدى بكل الوسائل ولكن دون جدوى ٠٠ حتى تلقيت أخيرا هذا الخطاب من صديقك المذكور وفيه أن أبى موجود فى باريس ، وأن على أن اتصل بك كى ترشدنى الى المعلومات الخاصة به !

- لقد أحسنت اذ نفذت تعليمات صديقى السندباد البحرى بدقة ، فان أباك موجود هنا حقا ، وهو يبحث عنك كما تبحث عنه !

- حقا ٠٠؟ هل أبى هنا حقا ؟!

- نعم ، أبوك البكباشى برتليو كافالكانتى بعينه !

وعندئذ تبدد تعبير الرعب الذى كسا وجه الشاب لدى سماع النبأ لأول وهلة ، ثم قال : « آه يا سيدى ، لقد مضت سنوات طويلة منذ افترقنا ، بحيث لم أعد أذكر شكل أبى على الاطلاق ! »

- سوف تراه الآن ٠٠ انه مليونير ، ابراده السنوى ٥٠٠ ألف فرنك ، سوف يمنحك منها خمسين ألفا كل سنة طيلة مدة بقائك فى باريس ، على أن تتسلم نصيبك الشهرى منها من بنك ( دانجلر ) الذى هو من أكبر البيوت المالية الباريسية

- وهل يعتزم أبى البقاء فى باريس طويلا ؟

- بضعة أيام فقط ، فان خدمته العسكرية لا تسمح له بالتغيب أكثر من أسبوعين أو ثلاثة على أكثر تقدير !

وهنا بدا على أندريا السرور بقرب رحيل أبيه ٠٠ بينما قال الكونت : اننى لن أعوق لقاءكما المرتقب وقتنا آخر ، فهل أنت متأهب لمعاينة أبيك؟ ادخل اذن الحجر المجاورة أيها الصديق ، فترى أباك مشوقا الى رؤيتك ، وانحنى اندريا للكونت محييا شاكرا ، ثم دخل الحجر ٠٠ أما الكونت فقد انتظر حتى أغلق الشاب الباب وراءه ، واذاك مضى هو الى صسورة كبيرة معلقة على الحائط فأزاحها فى رفق حتى انكشفت له وراءها ثغرة خفية تسمح للنظر خلالها برؤية ما يدور فى الغرفة المجاورة ٠٠ فرأى الشاب يتقدم نحو الكهل قائلا بصوت عال - تعمد أن يسمعه للكونت فى الحجر الاخرى

- آه ، أبى العزيز ! أهذا حقا أنت ؟

فقال الضابط فى لهجة الجد : « كيف أنت يا ابنى العزيز ؟ »

وعندئذ أردف الشاب وهو يأخذ ذراع الضابط فيه ذراعه كمن يعرف منذ زمن : « أيها العزيز مستر كافالكانتى ، كم دفعوا لك كى تمثل دور أبى ؟ انى سأصمـسـارك بـسرى كى تصارحنى بسرك ، انهم يدفعون لى

خمسین ألف فرنك في السنة كي أكون ابنك !

— وأنا بدوري يدعوني لي مثل هذا المبلغ لأمثل دور أبيك !

.. واختار الكونت هذه اللحظة كي يدخل الحجرة . فلما سمعا مقبض الباب بفتح ألفي كلاهما نفسه في أحضان الآخر وراحا بنبدالل القبلات .. وفي خلال عنافهما دخل الكونت فابدرهما بقوله : « والآن أيها السيدان طاب يومكما ، فاني مصرف ! »

فنسأله كالفالكاتي : « مني يكون لنا شرف رؤية فخامتك مره أخرى ؟ » فأجابه « يوم السبت ، اذا سبنتما .. وسوف أناول العشاء في منزلي في ( أبوي ) شارع النافورة رقم ٢٨ . وقد دعوت كثيرين ، بينهم مسيو دانجلر ، ويسرني أن أعرفكما إليه فهو الذي سيدفع لك يا أندريا مرنبك الشهري ! »

وعندئذ انحنى الاثنان للكونت مودعين ، ثم غادرا المنزل !

### وصية مشلول

مشي مكسملبان موريل الى حديقة دار مسيو دي فيلفور . وقد سادها السكون وحجبها اشجار الكستناء العالية المحيطة بها عن الانظار . ولبت بعض الوقت قلقلها يترقب ظهور فالتين دي فيلفور من بين الاشجار . ويرغب سماعه ليسمع وقع خطاها فوق المشي المقروش بالحصى .. ولم تمض دقائق حتى أقبلت فالتين للقاءه . ووقفت ازاءه بعصل بينهما سور الحديقة المرتفع ثم ابدرته قائلة : « طاب مساؤك يا مكسملبان ، أعلم أنني تركتك تنتظر ، لكن أوجيبي دانجلر كانت معي فعافني . كانت تحدثني عن نفوزها من الزواج من مسيو دي مورسيرف ، فصارحنها أنا أيضا بنفوري من فكرة الزواج من مسيو ديبيناي ! »

فبالتها : « هل الانسة دانجلر تنفر من الزواج بالمسيو مورسيرف لانها تحب شخصا آخر ؟ »

فاجابت : « كلا ! فقد ذكرت لي أنها لا تحب أحدا . وأنها تعارض الزواج ذاته ، وتفضل أن تعيش حرة بلا قيود .. حني انها لتتمنى أحيانا أن يفقد أبوها ثروته كي تحترف الفن مثل صديقها الانسة لويز دارميني .. لماذا تبتسم ؟ »

— دعينا من اضاعة وقتنا في الحديث عنها ، فاني أريد أن نتحدث عنك أنت !

— هذا صحيح ، ويجب أن نسرع ، فليس أمامنا غير عشر دقائق نقضيها معا .. نعم أنت على حق ، فليست سوى صديقة فقيرة لك . وآية حياة أفرضا عليك يا عزيزي المسكين مكسملبان ، أنت الذي خلقت للسعادة ؟! اني لألوم نفسي لوما مريرا !!



- ما هذا الذى تقولين يا فالتين ؟ وماذا يهمك من الأمر ما دمت أنا قائما بهذه الحال ، وما دمت شاعرا بأن لفاءك ولو لحمس دقائق ، وسماع بضغ كلمات من فمك العذب يعوصانى حتى عن هذا الانتظار الطويل الموجع ؟ . انى لا اعتقد اعتقادا حارما أن السماء ما كانت لتخلو فلبين منسحقين مثل قلوبنا ، وتسمح لنا - بمعجزة - بأن ننشأ معا ، لو أنها كانت تريد أن تفرق بيننا آخر الأمر .

- كلماتك رقيقة ومشجعة يا مكسميليان . أنها سوف تمنحنى على الأقل سعادة جزئية !

- ولكن ما الذى يلجئك الى أن نفارقينى هكذا سريعا ؟

- لست أدري التفاصيل بالضبط ، وكل ما أعرفه أن مدام دى فيلفور قد أرسلت فى طلبى لأمر يتعلق بجزء من ميراثى . . . . . لنهم يأخذون ترونى فليست بى حاجة إليها . ولعلمهم لو أخذوها . يكفون عن ارعاجى ويتركوننى فى سلام وسكينة . . . . . وانى لعلى يقين من أنك تحبى جينداك مثلما نحبنى اليوم ، أليس كذلك يا مكسميليان ؟

- انى أحبك دائما ! . . . . . وماذا يهمنى من الغيبى أو الفقر ما دامت حبيبى فالتين بجانبى ؟ . . . . . آه كنت أوسسك أن أذكر لك أننى قابلت مسيو مورسيف منذ أيام ، وكان قد تلقى خطابا من صديقه دابيناي يخبره فيه بأنه عائد توا .

وهنا شحب وجه فالتين واتكت بيدها على سور الحديقة قائلة .

- رباه . . . . . لو كان الأمر كذلك . . . . . ولكن لا . . . . . ان المفاوضات قد لا تأتى من طريق مدام دى فيلفور ، فقد خيل الى أنها عارضت ذلك الزواج ، وان لم تشأ أن نصرح بذلك علانية !

- أظن أنها تعارض رواجك من مسيو ديبيناي وحده . . . . . أى أنها سترحب بأى اقتراح آخر ؟

- كلا يا مكسميليان ، انها تعارض فكرة الزواج ذاتها . . . . . وحيث فكرت منذ نحو عام فى أن أعزل الدنيا وألجأ الى أحد الأديرة ، سعت خفية الى تنفيذ هذه الفكرة ، بل لقد أقنعت أبى بقبولها ، ولولا نوسلات جدى المسكين لنفذت عزمى يومذاك . . . . . انك لا تستطيع أن تتخيل التعبير الذى يبدو فى عيني الشيخ الفانى حين ينظر الى . أنا المخلوق الوحيد الذى يحبه ويبادله الحب !

- حبيبتي فالتين . . . . . انك لملاك كريم . . . . . ولست أدري أى عمل طيب عملته حتى أستحق منك حبك وثقتك ؟ . . . . . ولكن حديتى بربك . آية مصلحة لمدام دى فيلفور فى أن تبغى أنت بغير زواج ؟

- ألم أقل لك منذ لحظة اننى غنية ، وغنية جدا . . . . . لقد ورتت عن أمى

ما يدر على سنويا نحو خمسين ألف ريال ، فضلا عن ايراد ماثل سوف يتركه لى جدى وجدتي - لأمى - المركيز والمركيزة دى سمانت ميران ٠٠ وفضلا عما يعتزمه مسيو نوارتييه - جدى لأمى - من جعلى وريثته الوحيدة ٠٠ وهكذا يصبح أخى ادوار - الذى لن يرث شيئا عن أمه - فقيرا بالنسبة لى ٠٠ أما لو دخلت الدير فسوف تؤول كل ثروتى هذه الى أبى ، ثم الى أخى ادوار ، ابنها !

- ما أغرب أن تكون بهذا الطمع امرأة مثل مدام دى فيلفور !  
- انها لا تحب المال لنفسها بقدر ما تحبه لابنها ٠٠ وما تعتبره أنت رذيلة يغدو فضيلة من وجهة نظر الحب الأموى ٠٠ هل تسمع ٠٠٩ انهم ينادوننى !

ثم صعدت فالتنن فوق مقعد خشبى ومدت يدها الى حبيبها من خلال السور ، فتلقى مكسملان اليد الممدودة نحوه بغبطة ونشوة فائقتين ، ثم طبع عليها قبلة حارة تذكىها العاطفة ٠٠ واذا ذلك ارتدت اليد الى داخل السور ، ثم رأى الشاب محبوبته تهرع عائدة الى المنزل !



فى الوقت الذى جرى فيه ذلك الحديث بين فالتنن ومكسملان كان المسيو دى فيلفور وزوجته قد دخلا حجرة أبيه مسيو نوارتييه ٠٠ وبعد أن أوماً بالتحية الى الشيخ المسن المشلول ، وقفا بجانبه يتحدثان مع (باروا) الذى قضى فى خدمته خمسة وعشرين عاما

وكان المسيو نوارتييه قد انتهت حياته العامة والسياسية بوصفه من حزب نابليون منذ انفجر أحد الأوعية الدموية فى مخه ، فقضى عليه بأن يظل بقية حياته حبيس مقعده المريح ذى العجلات الذى كان يوضع طيلة النهار فى مواجهة امرأة كبيرة يستطيع المريض أن يرى أكثر أجزاء المسكن منعكسة على صفحتها ، كما يرى كل شخص يدخل الحجرة وكل شيء يدور حوله !

وبرغم ان مسيو نوارتييه كان فى جلسته أشبه بالجنة الهامدة ، فقد ألقى على الداخلين نظرة سريعة ذكية ، أدرك بها من طريقتهما الحائرة فى تحيته أنهما جاءا ليتحدثا اليه فى أمور مالية ذات طابع هام ٠٠! ولم يكن قد بقى للمسكن من حواسه غير حاستى النظر والسمع ، اللذين تركز فيهما كل نشاطه وحده ذهنه ، فصارت النظرة منه تغنى عن حركة الذراع وثبرة الصوت ومرونة الجسم ، فى التعبير عما يريد أن يفصح عنه ٠٠ ولو أن لغته هذه لم يكن يفهمها بوضوح غير أشخاص ثلاثة : ابنه دى فيلفور ، وحفيده فالتنن ، وخادمه باروا ٠٠!

وكان دى فيلفور قد أرسل ابنته الى الحديقة ثم أشار الى الخادم باروا



« ومدت فالتين يدها الى مكسميليان من خلال السور ، فطبع عليها قبلة حارة »

بمفادرة الحجره ، وجلس بعد ذلك عن يمين أبيه المشلول ، بينما جلست زوجته الى يساره ٠٠ واستهل حديثه بقوله : « اننا نفكر فى تزويج فالتنين يا أبى ٠٠ وسوف يتم الزواج فى مدى ثلاثة أشهر »

٠٠ وهنا أضافت مدام دى فيلفور : « لقد كنا واثقين من أن هذا النبأ سوف يفزحك ، ولأسيما أنك تخص فالتنين بحبك وحنانك ٠٠ ولم يبق الا أن نذكر لك اسم الشخص الذى وقع عليه اختيارنا : انه شاب يملك الثروة الطائلة ، والمكانة الرفيعة فى المجتمع ، وكل الصفات الكفيلة بأسعاد فالتنين ٠٠ وهو ليس بالشخص الذى تجهله أنت تماما ، انه فرانز دى كينيل ، بارون ديبيناي !

وبدا الغضب فى عيني نوارتييه، واحتبست فى حلقه صيحة حنق وحزن ، بينما استطردت المرأة : « وهذا الزواج يصادف هوى من نفس المسيو ديبيناي نفسه وأسرته ، وأقرب الاحياء من أقربائه اليه هما عمه وعمته - فقد ماتت أمه عند ولادته وقتل أبوه سنة ١٨١٥ ، أى بعد سنتين من موت أمه - وهكذا يمكن القول بأن الفتى نشأ سيد نفسه وليس لأحد سلطان على رأيه أو اختياره لشريكة حياته »

وأردف فيلفور قائلا : « ان مصرع أبيه كان مأساة غامضة ، وقد نجنا القتلة من العقاب ، وان حامت الشبهة حول أكثر من واحد ! »

ثم عادت الزوجة فقالت : « والآن يا سيدى أستأذنك فى الانصراف ٠٠ هل تريدنى أن أرسل اليك ادوارد ليونسك بعض الوقت ؟ »

فحرك الشيخ المشلول أهداب عينيه مرات ، علامة الرفض ٠٠ وعندئذ سألته المرأة : « اذن ٠٠ هل أرسل اليك فالتنين ؟ » فأغمض عينيه ، علامة القبول !

وهنا انحنى له الزوجان وغادرا الغرفة ، بعد أن أوصيا الخدم باستدعاء فالتنين تلبية لرغبة جدما ، وكانا يعلمان أنها ستجد عناء كبيرا فى تهدئة نائرتيه !..

دخلت فالتنين بعد خروج أبيها وزوجته من الحجره بقليل ، وأدركت من أول نظرة الى جدما أنه قلق ، وأن فى ذهنه كلاما كثيرا يريد أن يفضى به اليها ٠٠ فصاحت حزنة : « جدها ٠٠ ماذا حدث ؟ هل حدثاك عن تزويجي ؟ »

فأجابها الرجل بنظرة غاضبة : « نعم »

- انك لا تحب مسيو ديبيناي ؟

فأجابتها عيناه : « لا ، لا ، لا ٠٠ ! »

وعندئذ ارتمت الفتاة على ركبتيها وأحاطت رقبة جدما بذراعيها قائلة : « وأنا أيضا لا أحبه ! » فلمعت فى عيني الشيخ نظرة فرح !

ثم سألته : « هل ننفذ أنك تستطيع مساعدتى يا جدى العزيز ؟ »

فأغمض عينيهِ مرات يعنى أنه يستطيع هذه المساعدة ، ثم رفع بصره الى السماء اشارة الى أنه يريد شيئاً ، فسألته فالتنن : « ماذا تريد يا جدى العزيز ؟ » . ثم راحت تردد على مسمعه الاشياء التى رجحت أن تكون مبتغاه ، لكنه أجابها عن كل منها بإشارة الرفض من عينيهِ . فكفرت فى تجربة طريقة أخرى ، وبدأت تسرد عليه الحروف الابجدية بالترتيب ، حتى أبدى حركة الموافقة عند نطقها بحرف « الميم » . فقالت جذلة : « اذن فالشيء الذى تريده يبدأ اسمه بحرف الميم . ترى : هل ميمه مفتوحة ؟ أم مكسورة ؟ أم مضمومة . وإذا أدركت من نظرتة أنه يريد شيئاً يبدأ بحرف الميم المضمومة ، نهضت وأحضرت قاموساً وراحت تنقل أصابعها بين كلمات الميم المضمومة فيه ، الى أن أوماً جدها بعينيهِ موافقاً عند كلمة « مسجل عقود » . فدفقت الفتاة الجرس وطلبت استدعاء أحد مسجلي العقود !»

وبعد ثلاثة أرباع الساعة ، دخل « باروا » وبصحبتة مسجل العقود المطلوب . ثم دخل فى أعقابهما مسيو فيلفور ، وبعد تبادل التحيات التقليدية قال الابن يحدث المسجل :

— ها أنت ذا ترى الشخص الذى أرسل فى استدعائك . ان جميع أعضاء جسمه مصابة بالشلل ، حتى صوته . ونحن نجد صعوبة كبيرة فى فهم ما يريد أن يقول »

وهنا أوماً المريض الى حفيدته بنظرة آمرة ، فهمت قصده منها ، فقالت للمسجل على الفور : « سيدى ، انى أفهم كل ما يريد جدى أن يقوله »

فأجابها المسجل : « لكى تكون الوصية نافذة ، ينبغى أن أستوثق من رغبات موكلى . ان عجز الجسم لا يؤثر فى صحة التصرف ، اذا كان العقل سليماً ! »

فقالت له الفتاة : « سوف ترى يا سيدى أن جدى مالك لجميع قواه العقلية ونشاطه الذهني . وفى وسعك أن تتفاهم معه بالطريقة التى أتفاهم بها أنا معه . انه فى مقام الموافقة يغمض عينيهِ ، وفى مقام الرفض يحرك أهدابه عدة مرات . . . والآن تستطيع أن تتفاهم معه بسهولة ! »

وهنا نظر الجد الى حفيدته نظرة شكر وامتنان لم تغب عن فطنة المسجل نفسه ، فقال يسأله : « لقد سمعت وفهمت ما قالته حفيدتك ، فهل توافق على مغزى الاشارتين اللتين تحدثت عنهما ، كوسيلة للتعبير عن آرائك ؟ » ولما أغمض الشيخ عينيهِ علامة الموافقة ، التفت المسجل الى المسيو دى فيلفور قائلاً :

— انها طريقة شاذة فى التفاهم !»

فقال هذا منتهزاً الفرصة : « نعم ، وأعتقد أنها ستكون شاذة فى تسجيل الوصية ، فلست أفهم كيف يمكن ذلك بلا تدخل من فالتنن ، ولعل لها

مصلحة في الوصية تجعلها لا تصلح مفسرة لاثقة للتعبير عن رغبات جدها الغامضة غير الصريحة ! »

وهنا حرك المشلول أهديه محتجا ، فسأله دى فيلفور : « ماذا تعنى يا أبى ؟ » أليس لفالتين مصلحة في الوصية ؟ »

وأوما الشيخ نافيا أن لها مصلحة فيها ، فقال مسجل العقود لدى فيلفور : « سيدى ٠٠ أن ما بدا لي مستحيلا منذ ساعة واحدة قد صار الآن ميسورا معقولا ، وسوف تكون الوصية شرعية نافذة اذا قرئت في حضور سبعة من الشهود وقرأها الموصى وسجلها المسجل أمام الشهود ! »

ثم التفت الى الشيخ الموصى وسأله : « هل تعرف مقدار ثروتك بالضبط ؟ » فلما أجاب بأغماض عينية دلالة على الموافقة واصل المسجل كلامه فقال :

— سأذكر لك عدة أرقام ، فإذا بلغت الرقم الصحيح فعليك أن تنبهني بإشارة الموافقة ٠٠ هل ثروتك ٣٠٠ ألف فرنك ، كلا ؟ ٠٠ اذن أهى ٤٠٠ ألف ؟ اقول : كلا أيضا ٠٠ اذن هى ٦٠٠ ألف ؟ ٧٠٠ ألف ؟ ٨٠٠ ألف ؟ ٩٠٠ ألف ؟

وهنا أشار المسيو نوارتييه اشارة الموافقة ، فكرر المسجل سؤاله : — هل تملك ٩٠٠ ألف فرنك ؟ حسنا ٠٠ ! وهل هى عقارات ؟ كلا ؟ اذن أسهم وسندات ؟ حسنا يا سيدى ، وهل الاسهم فى حيازتك ؟ وهنا نظر نوارتييه الى خادمه ( باروا ) نظرة فهم الاخير معناها فخرج من الحجرة ثم عاد بعد حين يحمل صندوقا صغيرا ٠٠ فسأل المسجل الموصى : « هل تسمح لنا بفتح هذا الصندوق ؟ »

فأغمض المشلول عينيه علامة الموافقة ٠٠ فلما فتحوا الصندوق وجدوا فيه أسهما وأوراقا مالية قيمتها ٩٠٠ ألف فرنك بالضبط ، فقال المسجل : — واضح أن المسيو نوارتييه محتفظ بقواه العقلية ونشاطه الذهني كاملا !

ثم التفت الى الموصى يسأله : « الى من تريد أن تترك هذه الثروة ؟ » ٠٠ فقالت مدام دى فيلفور مقاطعة : « أوه ! ليس ثمة شك كبير فى هذا الصدد ، فان مسيو نوارتييه يحب حفيدته الاتنة دى فيلفور

وهنا التفت المسجل يسأل نوارتييه : « اذن فأنت تترك هذه الثروة لحفيدتك الاتنة دى فيلفور ؟ »

وتاهب المسجل لان يسجل موافقة الموصى على ذلك ٠٠ وكانت فالتين خلال ذلك قد انزوت فى أحد أركان الغرفة وأطرقت تبكى ٠٠ فنظر جدها اليها نظرة تفيض رقة وعظفا ٠٠ ثم حرك أهديه مرات ، علامة الاجابة عن سؤال المسجل بالنفى !

وكانت مفاجأة ٠٠ بعدها سؤال المسجل للموصى : « اذن ، هل تبغى

ترك ثروتك لحفيدك ادوار دى فيلفور ؟ »  
لكن الشيخ حرك أهديه أيضا بما ينم عن الرفض البات !  
فعاد المسجل يسأله : « أترفض ذلك أيضا ؟ » اذن ربما يكون قصدك  
الاىصاء بثروتك لابنك مسيو دى فيلفور ؟ ولا هذا أيضا ؟ »  
وهنا انتقلت نظرة المشلول بسرعة من فيلفور وزوجته ، الى حيث  
استقرت على يد فالتين ٠٠ فسألته فى دهشة :  
- يدي ٠٠؟ نعم ٠٠؟ ثم صاحت الفتاة : « آه ، فهمت ٠٠ أنت تقصد  
زواجي ، أليس كذلك يا جدى العزيز ؟ »  
فكرر الجدة اشارة الموافقة ثلاث مرات ، وهو ينظر الى حفيده نظرة  
عرفان بالجميل لكونها فهمت مراده ٠٠ بينما قال فيلفور : « حقا ان هذا  
أمر شاذ للغاية ! »  
فأجابه المسجل : « اسمح لى يا سيدى أن أقول ان الأمر على العكس ،  
فالمعنى الذى يقصده المسير نوارتييه واضح تماما فى نظرى ، وفى وسعنى  
أن أربط تسلسل الافكار التى تدور فى ذهنه بسهولة ! »  
وهنا سألت فالتين جدتها : « أنت تريدنى ألا أتزوج من مسيو دييناى؟ »  
فأجابتها ايماءة عين جدتها مؤمنة على كلامها  
وعندئذ استطرد المسجل يسأله : « وأنت تبغى تجريد حفيدتك من الارث  
لأنها خطبت الى رجل بلا موافقة منك ؟ حسنا ! هل اذا عدلت الفتاة  
عن الزواج من ذلك الرجل تصبح وريثتك الوحيدة ؟ »  
فأوصا الشيخ المشلول موافقا !  
ثم ساد صمت عميق ، قطعه المسجل مستطردا :  
- كيف تبغى أن توزع ثروتك فيما لو أصرت الانسة دى فيلفور على  
الزواج من مسيو فرانز ؟ هل تريد تخصيصها للأعمال الخيرية ؟ نعم ٠٠؟  
لكنهم قد يثيرون نزاعا حول تنفيذ الوصية بعد وفاتك ؟ كلا ؟  
وهنا تدخل فيلفور فى المناقشة قائلا : « ان أبى يعرفنى ويثق من أن  
رغباته سوف تعتبر مقدسة فى نظرى ٠٠ ثم انه يدرك تماما أنى بحكم  
مركزى لا أستطيع اتخاذ موقف عدائى نحو الطبقات الفقيرة ! »  
وهنا وضعت عيننا نوارتييه ببريق الانتصار ٠٠ فسأل المسجل دى  
فيلفور : « وماذا تعتزم اذن يا سيدى ؟ » فأجاب هذا : « لا شىء » لقد  
اتخذ أبى قرارا وأنا أعلم أنه لا يغير رأيه مطلقا ، فلم يبق أمامى غير الاذعان  
٠٠ ثم غادر دى فيلفور الغرفة على الأثر ، مصحوبا بزوجته ، تاركين  
للمشلول أن يفعل ما يشاء !  
وفى اليوم نفسه سجلت الوصية بحضور الشهود ، وأقرها الموصى ،  
وختمت أمام الجميع ثم سلمت الى مسيو « ديشان » المشرف على تنفيذ وصايا  
الاشرة

## مناورات في البورصة

غادر الكونت دي مونت كريستو باريس في اليوم التالي لتسجيل الوصية، متخذاً الطريق المؤدى الى « أورليان » ، فبلغ برج « مونتيري » الواقع في أعلى بقعة من السهل المعروف باسمه .. وعند سفح التل ترجل الكونت وبدأ يتسلق ممراً ملتوياً يؤدي الى حديقة صغيرة .. حتى وجدا نفسه وجهاً لوجه أمام رجل في نحو الخمسين من عمره يقطف ثمار « الفراولة » ويضعها على أوراق العنب .. فابتدره الكونت قائلاً وهو يتسهم ابتسامة تنم عن الشعور بالعطف : « هديء من روعك يا صديقي .. أنى لست مفتشاً، بل سائحاً حضر مدفوفاً بفضول يكاد يأسف الآن عليه اذ يراك توشك ان تضع جانبا من وقتك معه »

فقال الرجل : « هل حضرت يا سيدى لثرى البرقية ؟ »  
فقال الكونت : « نعم .. اذا لم يكن ذلك مخالفاً للقواعد .. لقد قيل لى انك انت نفسك لا تفهم دائماً الاشارات التى تكرر ها . »

فأجاب الرجل وهو يتسهم : « هذا صحيح يا سيدى ، وهذا ما افضله ، لانه يريحنى من المسؤولية ويجعلنى أشبه بالآلة لا أكثر ولا أقل .. وما دمت أعمل فلن يطلب منى احد شيئاً آخر ! »

وصعدا الى غرفة البرق ، فى الطابق الثالث ، فنظر الكونت الى المقبضين الحديدين اللذين تدار بهما الآلة ، ثم قال : « هذا أمر مسل للغاية ، وهل أنت حقاً لا تفهم شيئاً من هذه الاشارات ؟ »

فقال الرجل : « هناك اشارات توجه الى خاصة . وهى دائماً تتكرر ، دون تغيير ما ، ونصها : ( لا جديد .. أمامك ساعة .. او غدا ! ) .. وهكذا ترى انى لا يمكن ان افهم شيئاً مطلقاً من هذه الاشارات ؟ »

فقال الكونت : « هذا أمر بسيط ، ولكن انظر .. ألا يخاطبك مراسلك الآن ؟ .. ماذا يقول ؟ هل فهمت شيئاً ؟ »

فقال الرجل : « انه يسألنى أنا مستعد ؟ . ومتى أجبته بالاشارة التى تنبئ باستعدادى ، فان مراسلى - الذى الى اليمين - يفهم ذلك أيضاً، بينما مراسلى الذى الى اليسار يأخذ أهفته بدوره ! »

فقال الكونت : « انه ابتكار ينم عن الذكاء الخارق ! »

فقال الرجل مزهواً : « سوف ترى .. انه سيتكلم خلال خمس دقائق »  
وهنا حدث مونت كريستو نفسه قائلاً : « أمامى اذن خمس دقائق .. »



انها اكثر مما يلزم . . » ثم استطرد يسأل الرجل :  
— هل انت شغوف بفلاحة الحدائق يا سيدى ؟ . وهل يسرك ان يكون لك  
بدلا من هذه الحديقة التى طولها عشرون قدما بستان مساحته فدانان ؟  
فقال الرجل : « انى لكفيل بان اجعل منها جنة ارضية ! »  
فقال الكونت : « اذن . . انت توافق لقاء هذا على تغيير بسيط اُرده فيه ،  
رسالة مراسلك ؟ ! »

فتساءل الرجل : « ماذا تعنى يا سيدى ؟ . . ان هذا لا يمكن ان يحدث  
ما لم تقهرنى على القيام به ! »  
فقال الكونت : « اعتقد ان فى وسعى ان اقهرك ! »

ثم اخرج ما جيبه ظرفا ، مد يده به الى الرجل قائلا :  
— هالك خمسة وعشرين الف فرنك ، تستطيع ان تشتري بخمسة آلاف  
منها منزلا صغيرا جميلا تحيط به ارض مساحتها فدانان . . . وبقية المبلغ  
تدر عليك ايرادا سنويا قدره الف فرنك !  
— منزل له حديقة مساحتها فدانان ؟ . وماذا يطلب منى ان افعل مقابل  
ذلك ؟

— لا شيء سوى ان ترسل هذه الاشارات الى وزير الداخلية !  
واخرج مونت كريستو من جيبه ورقة كتب عليها ثلاث اشارات موضح  
امام كل منها رقم ترتيبها بالنسبة الى الاشارتين الاخرين !  
وبعد حوار قصير ، نفذ الرجل ما طلب منه وقد احتقن وجهه وتصبب  
العرق من جبهته ، وارسل الاشارات الثلاث الى وزير الداخلية كما طلب  
الكونت !

وبعد وصولها الى الوزير بخمس دقائق ، امر سكرتيره « دبراى » باعداد  
عربته وهرع الى منزل « دانجلر » . . وحين لم يجده فى البيت سأل زوجته  
البارونة : « هل يملك زوجك أسهما اسبانية ؟ »  
فقالت : « اعتقد ذلك . . واذكر ان عنده منها ما قيمته ستة ملايين من  
الفرنكات !

— اذن يجب ان يبيعها فوراً باى سعر ، فلقد فر « دون كارلوس » من  
« بورج » وعاد الى اسبانيا !

وهرعت البارونة الى زوجها ، الذى هرع بدوره الى وكيله . وامره ببيع  
تلك الاوراق المالية فوراً باى ثمن . . وحين رأت فى البورصة ان دانجلر يبيع  
ما عنده هبط سعر الاسهم الاسبانية فى الحال . . وقد خسر دانجلر فى البيع  
خمسائة الف فرنك ، ولكنه تخلص من جميع اسهمه الاسبانية . . وفى  
الليلة نفسها ، نشرت جريدة « لوميساجير » النبأ التالى :

« من مراسلنا بالبرق : غافل الملك دون كارلوس حراسه فى «بورج» وعاد  
الى اسبانيا مخترقا حدود قطالونيا ، فهبت برشلونة لمؤازرته ونصرتة ! »

وفى تلك الامسية لم يكن للناس من حديث غير بعد نظر دانجلر وحظه المواتى الذى جعله يبيع كل أسهمه الاسبانية قبل انهيار أسعارها بساعات ، فلم يخسر فيها غير خمسمائة ألف فرنك ، بينما خسر الدين لم يبيعوا أسهمهم والدين اشتروا أسهمه خسارة مروعة تجعلهم فى عداد المفلسين !

وفى صباح اليوم التالي نشرت صحيفة « لومنتيور » التذويب التالى :  
- لم يكن للنبا الذى نشرته « لوميساجير » أمس عن فرار الملك دون كارلوس من منفاه والثورة التى شبت فى برشلونة أى نصيب من الصحة . . فالملك ما زال فى « بورج » لم يبرحها ، وشبه الجزيرة ينعم بسلام وسكينة تامين . . وقد نتج الخطأ عن رسالة برقية أسوء تفسيرها بسبب الضباب الذى كان منتشرأ أمس !

وعلى أثر نشر هذا التذويب عادت أسعار الاسهم فارتفعت الى أكثر مما كانت قبل الهبوط ، فبلغت خسارة دانجلر من البيع مليون فرنك !  
وما وافت الساعة الخامسة مساء حتى وصل الكونت دى مونت كريستو الى منزله الريفى فى « أوتوى » ، يتبعه « على » خادمه العربى الامين . وفى تمام الساعة السادسة سمع وقع خوافر جواد عند مدخل البيت . . وكان « مكسيمليان موريل » هو الفارس القادم !

وفى اللحظة نفسها وصلت عربة تجرها جواد مطهمة يحف بها جوادان آخران يمتطى صهوتهما رجلان ، هبط أحدهما - وكان « دبراى » سكرتير وزير الداخلية - وتقدم نحو باب العربة ففتحه ومد يده لراكبتها البارونة ، فأخذت يد الشاب بطريقة لم تغب عن فطنة الكونت دى مونت كريستو . ثم لاحظ الكونت أيضا أن البارونة دست فى يد الشاب ورقة صغيرة ، وقد فعلت ذلك فى سر وسهولة ، شأن المرأة التى ألفت هذه المناورات !  
وفى أعقاب البارونة هبط دانجلر من العربة وقد شحِب وجهه كأنه خارج من قبره لا من عربته !

ثم ألفت البارونة على الغناء المحيط بها وعلى واجهة المنزل نظرة استطلاع سريعة لم يغب مغزاها على الكونت ، وراحت تصعد السلم وهى تقمع انفعالها جاعدة !

وعلى أثر ذلك أعلن رئيس الخدم وصول « البكباشى بارتلميو كافالكانتى » و « الكونت أندريا كافالكانتى » . . ودخل الاثنان يخطلان فى ثيابهما الجديدة الانيقة !

وفجأة شحِب وجه « بروتوشيو » وكبل الكونت دى مونت كريستو ، حين وقع بصره من خلال باب الدخول المفتوح على مصراعيه ، على المرأة التى تصعد السلم ، فهتف هامسا لسيدة : « رباة ! . . هذه المرأة ذات الثوب الابيض والجواهر الثمينة . . ! »

فساله سيده : « مالها ؟ . . انها مدام دانجلر ! »  
- لست أعرف اسمها ، لكنها هى بعينها العشيقة التى رأتها فى هذه

الحديقة بالذات ليلة الجريمة .. المرأة التي كانت تنتظر مولودا ، والتي رأيتها من خلال السور تتمشى بين الأشجار في انتظار ...  
- في انتظار من ؟

و ثقل لسان بورتشيو في حلقه ووقف شعر رأسه فزعا ، وهو يحلق في الداخلين ويشير نحو المسيو دى فيلفور كما يشير الى شبح قائم من بين القبور : « في انتظار هذا .. اذن فانا لم أقتله ؟ »

فقال له الكونت : « طبعاً ما دمت تراه حياً أمامك الآن فانت لم تقتله ! . انك قد طعنته بين الضلعين السادس والسابع ، حسب مألوف عادتكم ايها القرويون ، في حين كان ينبغي ان تطعنه في مكان يعلو أو يهبط قليلا عن ذلك الموضع .. فان هؤلاء الحامين يتشبثون بالحياة أكثر من سواهم ! .. والان انظر الى المسيو اندريا كافالكانتى ، الشاب ذى السترة السوداء : ! »

وكاد بروتشيو يصرخ دهشة ، لو لم تسكنه نظرة جازمة من سيده ، فاكتفى بأن غمغم « بنديتو ! » .. واذا ذلك قال له الكونت متجاهلا كل ما مضى : « الساعة الآن السادسة والنصف ، وقد امرت باعداد العشاء في هذه الساعة ، ولست أحب الانتظار ! » .. ثم تركه وعاد الى ضيوفه ، بينما استند بروتشيو الى الجدار حتى تمالك نفسه فمضى متجها الى غرفة الطعام ! وبعد خمس دقائق فتح بروتشيو باب القاعة المفضى الى الصالون على مصراعيه وصاح : « العشاء معد ! »

وهنا نهض الكونت دى مونت كريستو فقدم ذراعه الى السيدة دى فيلفور ، وقال يخاطب زوجها : « هل لك ان ترافق البارونة دانجلر الى المائدة ؟ »

وبعد الفراغ من العشاء الفاخر ، تناول الكونت دى مونت كريستو ذراع البارونة دانجلر وقادها ودى فيلفور الى الحديقة ، حيث وجدوا دانجلر يتناول قدحا من القهوة وقد جلس بين كافالكانتى الاب وكافالكانتى الابن .. فقال الكونت بعد أن مهد لحديثه :

- لكم ان تصدقوني أو لا تصدقوا . لكنى اعتقد أن جريمة ما قد ارتكبت في هذا المنزل ! »

فهمت السيدة دى فيلفور : « خذ حذرك ، فان قاضى التحقيق هنا ! » فأجاب الكونت على الفور : « اذا كان الامر كذلك فسأنتهز فرصة وجوده كى اعلن ما عندي أمام شهود .. تعالوا من هذا الطريق يا سادة ، تعال يا مسيو دى فيلفور ، فان ما سأعلنه ينبغي أن يعلن في مواجهة السلطات المختصة ! »

ثم أخذ ذراع دى فيلفور من ناحية ، وذراع البارونة دانجلر من الناحية الاخرى ، وقادهما الى ظل احدى الأشجار الكثيفة ، فتبعهما الباقون .. ثم قال الكونت فجأة وهو يلق الأرض بقدمه :

- هنا .. في هذه البقعة بالذات ، كان بستانى يحفر الأرض كى يزودها

بترية جديدة خصبة تعين هذه الاشجار القديمة على الازدهار ، فعشر على هيكل صندوق صغير من الحديد ، بداخله بقايا جثة طفل وليد ! »

واحس الكونت دى مونت كريستو بذراع البارونة دانجلر يتصلب ، وذراع دى فيلفور يرتجف ، بينما تساعل البكباشى كافالكانتى في براءة : « وبماذا يقضى القانون هنا على قتلة الاطفال الحديثى الولادة ؟ »

فاجابه دانجلر : « بالاعدام طبعاً ! »

واذ رأى الكونت ان الشخصيين اللذين اعد من اجلهما هذا المشهد يعجزان عن تحمل وطأته ، ورغبة منه في أن يتدارك الامر عند هذا الحد مؤقتاً ، قال في بساطة متقنة :

— هيا أيها السادة تناول القهوة ، لقد كدنا ننسبها !

ولم يتكلم اندريا الاقليلا خلال العشاء ، فقد كان فتى ذكياً ، خشى أن ينطق بحماسة ما أمام هذا الجمع الحاشد من علية القوم ، اللذين كان من بينهم رجل القانون والمالى الكبير . . . الخ — وكان دانجلر قد ثقل بصره بين الاب والابن اللذين تبدو عليهما مظاهر الثراء الفاحش ، فخیل اليه انه في حضرة امير من امراء بلد شرقي بعيد قد احضر ابنه ليتم تعليمه في باريس ! . . فلما انتهى العشاء راح دانجلر يستجوب عميلى بنكه الجديدین ، عن أسلوبهما في المعيشة ، بحجة التحدث في « الاعمال » . . فأبدى كلاهما من اللطف والدمانة في الاستجابة لفضوله ما ادهشه

وفى خلال الحديث خاطبه كافالكانتى الاب قائلاً في ادب مفرط :

— سوف يسرنى أن اتشرف غدا يا سيدتى بزيارتك بصدد بعض الاعمال فاجابه دانجلر : « وسوف يسعدنى ان استقبلك »

ثم عرض عليه البارون ان يأخذه في عربته الى حيث يقيم بفندق « دى برانس » . . مالم يحرمه ذلك من صحبة ابنه . . فأجاب الضابط على هذه العبارة الاخيرة بقوله :

— ان ابنى قد الف ان يعيش بعيداً عنى ، وان لكل منا عربته وجياده ، بحيث يستطيع ان يذهب ويحىء مستقلاً عن الآخر !

وهكذا استقل الاب عربة دانجلر وجلس الى جواره

اما الابن فقد نادى حوذيهِ وراح يعنفه لانه وقف بعربته أمام الباب الخارجى لا الداخلى ، الامر الذى سيكلفه ان يمشى على قدميه ثلاثين خطوة حتى يبلغ مكانها . . . واذا فرغ الشاب من هذا التائب وتاهب للركوب ، احس يداً توضع على كتفه ، فلما التفت طالعه وجه رجل قد لوحته الشمس ذى لحية كثة وعينين براقتين واسنان حادة مدببة كاسنان الذئب أو ابن آوى ، وقد ربط رأسه بمندبل احمر ، وارتردى ثياباً قذرة ممزقة لا تكاد تستر عظامه النحيلة الشبيهة بهيكل عظمى . . وكانت يده التى وضعها على كتف الشاب بالغة الضخامة ، فذعر لرؤيته وتراجع متسائلاً : « ماذا تريد منى ؟ »

فاجابه الرجل ذو المنديل الاحمر :

— أغفر لي يا صديقي أزعاجي (ياك) ، لكنى اريد أن اتحدث اليك ، وأن تجنبنى مشقة العودة الى باريس على قدمي ، انى جائع جدا . . ! ولم أتناول عشاء فاخرا مثلك ! وهانذا لا أكاد أقوى على الوقوف . . ومن ثم اريد أن تحملنى معك فى عربتك . . فهل فهمت يا سيد « بنديتو » ؟  
ولدى سماع هذا الاسم فكر الشاب فى الأمر لحظة ، ثم اتجه الى حوزيه قائلا :

— هذا رسول كلفته بمهمة وقد جاء ليبلغنى انباءها . . . فاذهب انت باية وسيلة اخرى واتركنا فى العربة وحدنا

وانسحب الحوذى متعجبا ، بينما انطلق الرجلان بالعربة ، حتى غادرا حدود « أوتوى » ، وإذ ذاك تلفت الشاب حوله ليستوثق من أن أحدا لا يمكن أن يراه أو يسمعه ، ثم عقد ذراعيه فوق صدره وابتدر الرجل الغريب قائلا :

— لماذا جئت ترعج حياتى ؟

فقال الرجل : « دمنى اسالك أولا لم خدعتنى ؟ . . لقد ذكرت لى عند ما افترقنا فى (بون دى فار) انك ذاهب الى اقليمى ( بيدمونت ) و (توسكانى) . . لكنك بدلا من ذلك جئت الى باريس ! »

فقال له الشاب : « اذن انت تتجسس على حركاتى ؟ . . دمنى احلرك يا سيد ( كادروس ) من مغبة ذلك . . والآن حدثنى ماذا تريد منى ؟ »  
فقال كادروس : « اعتقد انى أستطيع العيش بمبلغ مائة فرنك فى الشهر ، لكنى لو حصلت على مائة وخمسين أكون أسعد حالا »

وهنا مد اليه الشاب يده بمائتى فرنك وقال له : « فى وسعك ان تمر على وكيلى فى بداية كل شهر فيعطيك مثل هذا المبلغ . . والآن وقد حصلت على مبتغاك ، وصرنا متفاهمين . . اقفز من العربة واغرب عن وجهى ! »



فى اليوم التالى أمر دانجلر حوزيه بأن يحمله فى عربته الى المنزل رقم ٣٠ بشارع الشانزليزيه ، حيث يقيم الكونت دى مونت كريستو. وهناك استقبله مرحبا وقال له :

— أنك تبدو متعبا محطما يا عزيزى البارون ، بحيث يزعجنى أمرك . .

— لقد طاردنى سوء الحظ خلال الأيام الأخيرة ، فتوالت على الانباء السيئة . . وقد بلغنى اليوم نبأ جديد ، هو أن ماليا آخر فى « تريسته » قد أشهر افلاسه !

— حقا ؟ ترى هل يكون هذا المالى « جاكوبو مانفريدى » ؟

- هو بعينه ! .. هل تصدق ان يفلس مالى مثله كان طيلة السنوات الطويلة التى تعاملت معه خلالها مثالا للانتظام فى الدفع ، دون أى ملاحظة
- اذن فقد خسرت ما يقرب من المليونين هذا الشهر ؟
- نعم ، ولهذه المناسبة حدثنى عما يطلب منى أن افعله لمسيو كافالكاتنى ؟
- اذا كان أحد قد أوصاك به وكانت التوصية موثوقا بها ، فلا بأس بأن تعطيه ما يطلب من مال
- لقد قدم لى هذا الصباح صكا بمبلغ أربعين ألف فرنك مسحوبا عليك ومحولا منك الى ، وهو بتوقيع « بوزونى » .. وقد صرفت قيمته له فوراً بالطبع .. ولكن هذا ليس كل شيء ، فقد فتح عندى حسابا لابنه هذا الصباح أيضا !
- هل لى ان أسالك كم يعطى ابنه من المال ؟
- خمسة آلاف فرنك شهريا !
- اى ستين ألفا فى السنة ؟ .. لقد صدق ظنى فى مبلغ تقبىر الرجل وشحه .. كيف يعيش شاب مثله بخمسة آلاف فرنك فى الشهر ؟
- ولكن فى وسع الفتى اذا أراد أن يحصل على بضعة آلاف أخرى !
- اياك أن تدفعها له ، فلن يسددها الأب لك .. انك لا تعرف هؤلاء الأثرياء المحدثين ، انهم غاية فى البخل !
- الا تثق بكافالكاتنى ؟
- أنا ؟ .. انى ادفع ستة ملايين من الفرنكات بضمان توقيعه لا غير !
- فقال دانجلز فى عدم مبالاة : « آه ، ان النبلاء يتزاجون فيما بينهم ، فهم يحبون أن يوحدا ثرواتهم ! »
- هذا طبيعى ، بلا شك .. ولكن كافالكاتنى مبتكر ، لا يفعل ما يفعله الآخرون .. وقد أحضر ابنه الى فرنسا لينتقى له زوجة !
- آه ، اذن فسوف يجد له اميرة من بافاريا او بيرو ، فهو يطمع فى تاج او ثروة طائلة !
- كلا ، بل ان هؤلاء السادة العظام الذين يعيشون فى الجانب الآخر من الألب غالبا ما يتزوجون من اسرات بسيطة . ولذا لا احسبك تفكر فى الأنسة دانجلز ، الا اذا أردت أن يموت اندريا مذبحا بيد البرت المسكين !
- فقال دانجلز وهو يهز كتفيه : « البرت ؟ . آه .. انه لن يعبأ بالامر كثيرا فيما اعتقد ! »
- كيف ؟ . اليس مخطوبة له ؟
- لقد تحدثنا فى الامر ، أنا وابوه المسيو دى مورسيرف .. لكن مدام دى مورسيرف والبرت ..
- لا احسبك تعنى أنها لن تكون صفقة موفقة !

— انى افضل مسيو أندريا كافالكانتى على مسيو البرت دى مورسيرف ،  
فرغم انى لم اولد يارونا من النبلاء ، فان اسمى الخالى هو اسمى الأصلى  
الحقيقى على اية حال ، اما هو فليس اسمه مورسيرف .. ان مورسيرف  
كان صيادا حقيرا يدعى فرناند مونديجو !

— اذن لماذا فكرت فى اعطائه البنتك ؟

— لان كلا من فرناند ودانجلر قد صار نبلا وغنيا ، مساويا للآخر فى  
مركزه الأدبى ، فيما عدا أن هناك بضعة أشياء تقال عنه ولا تقال عنى أنا  
مثلا !

— هذا الذى تقوله يذكرنى بانى سمعت اسم فرناندو مونديجو يقرن  
فى بلاد اليونان باسم على باشا !

— هذا هو السر الذى أنا على استعداد لان ادفع اى ثمن فى سبيل  
الوقوف عليه !

— الامر غاية فى السهولة .. اكتب اذا شئت الى وكيلك فى « بانينا »  
واساله عن الدور الذى لعبه فرنسى يدعى فرناند مونديجو فى كارثة على  
باشا !

فقال دانجلر وهو يتنهض مسرعا : « انت على حق .. ساكتب اليه  
اليوم ! »



اقتيدت مدام دانجلر خلال ممر خاص نحو مكتب مسيو دى فيلفور ،  
فوجدته جالسا فى مقعده يكتب ، وظهره الى الباب .. ولم يتحرك حين  
سمع الباب يفتح والحاجب يقول للزائرة : « تفضلى بالدخول يا سيدتى » .  
ثم يعلق الباب من جديد .. لكن خطوات الحاجب لم تكذب تبعد حتى نهض  
قاضى التحقيق فأغلق خشب النوافذ والستائر وفحص كل ركن فى الغرفة ،  
ثم قال :

— مضى زمن طويل منذ كانت لى متعة التحدث اليك على حدة يا سيدتى  
.. وانه ليحزننى أننا لم نلتق اليوم الا لتبادل حديثا مؤلما ، فاستجمعى  
كل شجاعتك يا سيدتى ، فانك لم تعرفى بعد غير طرف من الموضوع ! »

وكانت البارونة تعرف مبلغ هبدوء دى فيلفور الطبيعى فى الأحوال  
العادية ، فأفرعها ما بدا من أنفعاله بحيث فتحت فاهما لتصبح ، لكن  
الصيحة اختنقت فى حلقها .. بينما استطرد هو فقال :

— ارايت كيف بعث ماضينا الرهيب من مرقده فى أعماق ضمائرنا حيث  
دفن .. كى يمثل أمامنا الآن مثل الشبح فيجلل وجوهنا بالمار ويكسوها  
شحوب الأموات ؟

فقال له هرمين : « انها المصادفة ولا شك ! »

— المصادفة ؟ . كلا يا سيدتى ! . لا يوجد شيء اسمه المصادفة !

- بل يوجد .. أليست المصادفة التي كشفت كل ذلك ؟. أليست هي التي جعلت الكونت دى مونت كريستو يتنازع هذا البيت بالذات ، ويحفر ارض الحديقة في ذلك الموضع بالذات ، فيعثر على الطفل المتعس مدفونا تحت الشجرة ؟. ذلك المخلوق البريء المسكين الذى ولد منى ولم أستطع حتى ان اقبله مرة واحدة ، والذي طالما بكيته بدموعى الحارة ؟ »

فاجابها دى فيلفور في صوت أجوف : « كلا يا سيدتى .. وهذا هو النبا الرهيب الذى اصارك به اليوم .. لم يوجد شيء مدفونا تحت الشجرة ، لم توجد جثة طفل .. انك لا ينبغي أن تبكى ، بل يجب أن ترتجفى هلعاً .. ! »

- اذن فانت لم تدفن طفلى المسكين هناك ؟. لماذا اذن خدعتنى ؟. أين وضعته ؟ قل لى .. أين ؟

- هناك ! ولكن اصغى الى .. ولسوف ترئين لحال شخص حمل العبء الثقيل وحده طيلة عشرين عاماً .. العبء المفجع الذى يوشك ان ييوج لك بسرهِ الآن ، دون ان يلقي أبسط جزء منه على عاتقك ! فمذ عدت الى وعيى بعد ان شفيت من طعنة ذلك الكورسيكى اللعين ، جعلت همى ان ابحث عن جثة الطفل ، فعمدت الى الاستفسار فوراً عن مصير البيت الذى كنا نلتقى فيه ، وحين علمت ان احداً لم يقطنه منذ تركناه هربت اليه من فورى ، فلم ادع موضعاً من الحديقة لم اضربه بفاسى ، آملاً ان تصطدم الفاس بسطح الصندوق الحديدى ، ولكن دون جدوى ! .. لم اعثر بشيء ! .. فجعلت اسائل نفسى : « ما الذى يجعل ذلك الرجل يأخذ جثة الطفل ؟ ان الاجسام الميتة لا تقتنى بل تعرض على قاضى التحقيق كى يستقى منها الأدلة التى يريدونها ثم تدفن .. لكن شيئاً من هذا لم يحدث ! »

فتساءلت هرمين وهى ترتعد فى عنف : « اذن ما الذى حدث ؟ »

- شيء أفظع وأقسى عاقبة .. قد يكون القاتل وجد الطفل حياً فانقذه !  
وهنا اطلقت البارونة دانجلر صيحة ثاقبة وامسكت يد دى فيلفور هاتفة :

- ابنى كان حياً .. هل دفنته حياً ؟ دفنته دون ان تستوثق من موته ؟. رباه !

- لست ادرى ، وانما انا افترض ذلك ، كما افترض اى فرض آخر .. !  
وزاغت عينا الرجل ، ودلت نظرته على أن عقله الثاقب قد بلغ حافة اليأس والجنون .. وراح يغمغم : « اذا كان الأمر كذلك » وصح هذا الفرض فاننا نكون قد هلكنا .. يكون الطفل ما يزال على قيد الحياة ، ويكون هناك شخص يعرف سرنا .. وما دام الكونت دى مونت كريستو قد تحدث أمامنا عن طفل وجد فى الحديقة ، فى حين ان ذلك الطفل لا يمكن ان يكون قد وجد .. اذن فهو الذى يقف على سرنا ! »



وبعد بضعة أيام كان دى فيلفور جالسا في بيتيه مكتئبا ، حين سمع صوت عجلات تدنو من الباب ، ثم تلاه وقع خطوات تصعد السلم .. وفتح الباب بعد ذلك ، فدخلت منه عجوز تحمل معطفها على ذراعها وبقعتها في يدها . وكان منظرها مؤلما بشعرها الأبيض ؟ وجبينها الأصفر ، وعينيها اللتين غضنتهما الشيخوخة وكادتتا تختفيان وراء آجفانها التي قرحها البكاء !

وهتفت المرأة في لوعة : « اواه يا سيدى !.. اية كارثة حلت بى !.. انسى ساموت حزنا بلا شك ! »

فنهض دى فيلفور وخف لاستقبال حماته - الاولى - متسائلا : « ماذا حدث ؟. ما الذى أزعجك ؟. هل مسيو دى سانت ميران معك ؟ »  
فاجابت المركيزة العجوز دون مقدمات ودون اى تعبير على وجهها ، من فرط ذهولها : « ان مسيو دى سانت ميران قد مات »  
فتراجع دى فيلفور وهو يضم يديه صائحا : « مات ؟.. هكذا فجأة ؟ »

فقالت المركيزة : « منذ اسبوع خرجنا معا في العربة بعد الغداء . وكان زوجى متوعك الصحة منذ ايام ، لكن فكرة رؤية عزيزتنا فالتين مرة أخرى أمدته بالشجاعة ، فأغفل أمر مرضه .. وعلى بعد ستة فراسخ من مرسلينا ، بعد تناول الاقراص التى ألف تناولها ، نام نوما عميقا الى درجة شعرت معها أنه نوم غير طبيعى... لكننى ترددت مع ذلك في ايقاظه ، ولو انى لاحظت احتقاننا في وجهه وعنفا غير عادى في نبضات عروق صدغه !.. ولم البث أن اغفيت انا بدورى ، ثم صحوت بعد حين على حشجة كالتي تصدر من شخص يتألم من كابوس.. وفجأة القى رأسه الى الخلف بشدة ، فاستعملت الاملاح التى تزيل الاغماء .. لكن كل شئ كان قد انتهى ! ولم نصل الى « ايكس » حتى كان جثة هامدة ! »

وكان دى فيلفور يصفى الى القصة وقد فغر فاه من فرط ذهوله .. ولم ينطق بحرف !



وفي مساء اليوم التالى غادر دى فيلفور المنزل ومعه الطبيب .. وقال القاضى لمراقبه : « اواه يا عزيزى !. لقد اعلنت السماء الحرب على بيتى !.. يا لها من مينة فظيعة ، اية كارثة ! لا تحاول مواساتى ، فما من شئ يستطيع ان يخفف من فداحة حزنى ، ان الجرح عميق وحديث ! »

فاجابه الطبيب : « يا عزيزى دى فيلفور ، ما صحبتك الى هنا كى اواسيك ، بل على العكس ، فان وراء الخطب الذى اصابك خطبا آخر امر وادهى . لقد ماتت المركيزة دى سانت ميران من جرعة قوية من «بروسين الستركنين » لعلها قد اعطيت لها خطأ »

فتناول دى فيلفور يد الطبيب وقال : « هذا مستحيل .. لا بد انى  
احلم ! »

— هل للمركيزة دى سانت ميران اعداء ؟

— لست اعلم ان لها اى اعداء

— الا يحتمل ان يكون الخادم باروا قد اخطأ فاعطاها جرعة نانت معدة  
لسيده ؟

— لا ادرى .. ولكن كيف يكون دواء منسيو نوارتييه ساما للمركيزة ؟

— هذا امر غاية فى البساطة ، فهناك سموم تغدو ادوية للعلاج فى بعض  
الحالات ، ومنها حالة الشلل .. وقد وصفت لمسيو نوارتييه فى آخر زيارة  
ست حبات من البروسين ، وهى جرعة يحتملها هو لانه اخذ من المادة  
جرعات سابقة صغيرة ، لكنها لو اعطيت لأول مرة لاي انسان لقتلته فوراً !

— ولكن ليس هناك يا عزيزى اى اتصال بين جناح منسيو نوارتييه وجناح  
المركيزة دى سانت ميران ، ولم يدخل باروا مخدع حمايتى قط !

— يا عزيزى دى فيلفور ، لو كان فى طاقة الطب ان ينقذ المركيزة دى  
سانت ميران لانقاذها ، لكنها قد ماتت .. وواجبى الآن ينحصر فى حماية  
الأحياء ، فلندفن هذا السر الرهيب فى أعماق قلوبنا ، وأنا على  
استعداد — فيما لو ارتاب احد فى الأمر — ان أعزو سكوتى عن التبليغ الى  
جهلى .. وفى أثناء ذلك عليك ان تشدد رقابتك ، فلعل الشر لا يقف عند  
هذا الحد . وحين تكتشف المجرم — اذا عثرت عليه — سأقول لك : « أنت  
قاضى تحقيق واعرف بواجبك ! »



## سر مصرع الجنرال

على اثر الجنارة المزدوجة للمركز والمركيزة دي سانت ميران ، عاد دي فيلفور بصحبة فرانز ديناي الى حي سانت أونوريه ، فمضى القاضي الى مكتبه مباشرة ، دون أن يعرج على حجرة زوجته أو ابنته .. وهناك قدم للشاب مقعداً وهو يقول له :

— مسيو ديناي ، اسمح لى أن أذكرك فى هذه اللحظة بأن الفقيدة قد أعريت ، وهى على فراش الموت ، عن رغبتها فى الا يتأخر زفاف فالتين عن موعدة . وليس فى هذا الأمر ما يجافى الذوق كما قد يبدو لأول وهلة ، فان تنفيذ رغبات الموتى اول ما يجب لهم على الأحياء ! فقال الشاب : « كما تشاء يا سيدى ! » . وواصل دي فيلفور كلامه فقال :

— اذن أرجو أن تتكرم بالانتظار نصف ساعة ريثما تهبط فالتين من غرفتها .. وسأرسل فى اسندعاء مسيو « ديشان » كى تقرأ عقد الزواج ونوقع عليه قبل أن نفترق .. ولسوف تصحب السيدة دي فيلفور فالتين الليلة الى ضيعتها على أن تلحق بهما بعد أسبوع !

وحين حضر مسجل العقود ابتدر فرانز بقوله : « ينبغى أن أخبرك يا سيدى ، بناء على طلب مسيو دي فيلفور ، بأن زواجك المرتقب من الأنسة دي فيلفور قد غير عواطف مسيو نوارتييه نحو حفيدته ، فجردها من ثروته التى كانت سترتها ! . وأضيف الى ذلك أن الموصى — الذى لا يملك غير حق التصرف فى جزء من ثروته فقط — قد تصرف فى ثروته كلها ، الأمر الذى يجعل الوصية قابلة للطعن والالغاء ! »

وهنا أردف مسيو دي فيلفور : « نعم ، لكنى أبادر فأنبه مسيو ديناي الى أن وصية أبى لن ينازع فيها خلال حياتى ، فان مركزى يحول دون تجريحها ! »

ولم يكد الشاب يفرغ من هذا القول حتى فتح الباب وبرز على عتبة « باروا » وقال : « سادى . ان مسيو نوارتييه يرغب فى أن يتحدث الآن الى مسيو فرانز ديناي ! »

فالتفت دي فيلفور الى ابنته وقال لها : « فالتين .. يجب أن تذهبي لتبحثى هذه النزوة الجديدة من جانب جدك ! »

فنهضت الفتاة على لمجمل وأسرعت نحو الباب مغتبطة ، ولكن صوت

أيها ما لبث أن لاحقها إذ غير رأيه فقال : « انتظري .. سأذهب معك ! »  
وكان نوارتييه متأهباً للقائهم ، فلما دخل الأشخاص الثلاثة الدين كان  
ينتظرهم ، نظر الى الباب .. فأغلقه خادمه وإذ ذاك همس دى فيلغور  
في أذن أبنته ، التي عجزت عن إخفاء فرحتها : « اصغى الى .. إذا أراد  
مسيو نوارتييه أن يتخذ أى إجراء يؤخر موعد زواجك فاني أمتنع من أن  
تفهمي اشارته ! »

وأوما نوارتييه الى فالتين كي تقترب ، وادركت هي من أول اشارة أن  
جدها يريد مفتاحا .. ثم استقرت عيناه على درج في خزانة صغيرة تقع  
بين النوافذ ، فتفتحت الدرج ، ووجدت مفتاحا ، وهنا ادار الشيخ المشلول  
عينيه نحو منضدة مكتب صغيرة مهملة منذ سنوات ، بحيث ما كان أحد  
ليعتقد انها تضم أوراقا ذات قيمة ... ففتحتها الفتاة وأخرجت منها  
حزمة من الأوراق مربوطة برباط أسود ، تناولها فرانز وقرا على غلافها  
هذه العبارة : « تسلم عقب وفاتي الى الجنرال « دوران » ، الذي سوف  
يوصي بالحزمة الى ابنه بعد أن ينبهه الى ضرورة المحافظة عليها باعتبارها  
تضم مستندات هامة ! »

ثم فض فرانز الحزمة وقرا بصوت مسموع وسط سكون الحجرة :  
« صورة من محضر جلسة نادي أنصار بونابرت الكائن بشارع سان جاك ،  
يوم ٥ فبراير سنة ١٨١٥ »

وعندئذ توقف فرانز عن القراءة وقال : « ٥ فبراير سنة ١٨١٥ .. انه  
اليوم الذي قتل فيه أبى ! »

فلم ينبس دى فيلغور أو فالتين بكلمة ، بينما أوما الشيخ المشلول الى  
الشباب كي يواصل القراءة .. لكن هذا قال وكأنه يحدث نفسه : « لقد  
اختفى أبى عند مغادرته هذا النادي ! » .. فلما استحثته عين المريض ،  
قرا :

« يعلن الموقعون على هذا المحضر أنهم قد تلقوا يوم ٤ فبراير خطابا من  
جزيرة ( البا ) يوصي بأن يضم النادي الى عضويته ( الجنرال فلافيان دى  
كينيل ) الذي خدم الإمبراطور من سنة ١٨٠٤ الى ١٨١٤ وما زال يخص  
بعواطفه أسرة نابليون ، بغض النظر عن لقب البارون وضيعة دابيناى اللتين  
منحه إياهما لتوه الملك لويس الثامن عشر ! .. ومن ثم طلب المجتمعون الى  
المرشح الجديد أن يحضر الجلسة التي تعقد في اليوم التالي - ٥ فبراير -  
فلما حضر بدأ الحاضرون يستجوبونه عن عواطفه السياسية ، لكنه اكتفى  
بالقول انها واضحة المرسل من جزيرة البا .. فحاول الرئيس  
أغراءه بأن يتكلم بمزيد من الوضوح والتحديد .. وحين شدد المجتمعون  
عليه الخناق قال : ( لم تمض أيام على اعلاني ولائى للملك لويس الثامن  
عشر ، بحيث يصعب على أن أحنث بعهدى فانضمم الى الإمبراطور  
السابق ! ) .. وكان الرد من الوضوح بحيث لا يدع مجالا للشك في حقيقة

عواطف الرجل .. فنهض الرئيس وقال يخاطب الجنرال : « سيدى ان كلامك يدل بوضوح على ان سلطات جزيرة الباس خدمت فيك وخدمنا ، ونحن لن ننجرك على ان تساعدنا ضد ضميرك ، لكننا سترغمك على ان تتصرف تصرفا كريما ! » . فأجاب الجنرال : ( تقصدون ان أقف على مؤامرتكم ولا أبلغ عنها ؟ انى اسمى هذا اشتراكا معكم فيها .. وهكذا ترون انى اكثر صراحة منكم ! ) .. فأجابه الرئيس : ( ان أحدا لم يرغمك على حضور هذا الاجتماع ، وانت من الفطنة بحيث تدرك موقفنا الحالى . وصراحتك تملى علينا الشروط التى ينبغى ان نفرضا عليك ! ) .. فنظر الرجل فيما حوله فى قلق ثم تدرع بكل صلابة وقال : ( اننى لن أقسم بيمين الولاء ) .. وعندئذ قال له الرئيس فى هدوء : ( اذن يجب ان تموت ! ) .. ونهض الرئيس فآشار الى ثلاثة من الأعضاء كى يتبعوه ، ثم ركب الجميع العربى مع الجنرال بعد ان عصبوا عينيه .. حتى بلغوا ذلك الجزء من رصيف ( اورم ) الذى يقود سلمه الى النهر ، وهناك وضع المصباح على الارض ووقف المحصمان متواجهان .. ثم بدأت المباراة .. وبرغم ان الجنرال دييناى كان من أبرع رجال الجيش فى المباراة ، فانه سقط ميتا بعد خمس دقائق .. وعندئذ ألقيت جثته فى النهر وعاد الشهود من حيث أتوا . وهكذا يتبين ان الجنرال مات فى مباراة شريفة وليس فى كمين غادر كما أشيع ، وقد حررنا هذا المحضر وذيلناه بتوقيعاتنا اثباتا لهذه الحقيقة خشية ان يجيء اليوم الذى يتهم فيه أحد ظلما بقتل الرجل عمدا أو بخرق قواعد الشرف وأصول المبارزة التوقيعات : بورير .. ديشامبى .. ليشاربال »

وهنا قال دييناى يحدث نوارتييه : « سيدى ، ما دمت على علم بكل هذه التفاصيل التى يقرها شهود شرفاء ، وما دمت تهتم بأمرى — برغم أنك أظهرت هذا الاهتمام فى صورة عكسية سببت لى مزيدا من الاسى — فلا تضن على إجابة مطلب واحد آخر . أذكر لى اسم رئيس ذلك النادى ، حتى أعرف على الأقل اسم قاتل أبى »

تم التفت الى فالتين وقال لها : « آنتسى ، ضمى جهدك الى جهدى كى نكتشف اسم الرجل الذى جعلنى يتيما فى سن الثانية من عمرى ! »

لكن فالتين بقيت جامدة صامتة ، بينما نظر نوارتييه الى القاموس ، فتناولها فرانز وهو يرتجف فى عصبية وراح يكرر على مسمع المريض جميع الحروف الأبجدية على التتابع حتى أوقفه هذا عند حرف « ا » ثم عند حرف « ن » ثم حرف « ا » .. وهى الحروف التى تكون كلمة « انا » .. فهتف فرانز مذمورا : أنت ؟ أنت يا مسيو نوارتييه الذى قتل أبى ؟ «

فأجاب نوارتييه وهو ينظر الى الشاب نظرة ذات جلال :

— « نعم ! » واذا ذاك تهالك فرانز على مقعد هناك خائر القوى ، بينما فتح دى فيلفور الباب ولا بالفرار ، فقد راودته فكرة اخماد البقية الباقية من الحياة فى قلب الشيخ المسن الرهيب !

## فى سوق الرقيق

جلس الكونت دى مونت كريسنو وألبرت دى مورسيرف - بعد عودتهما من حفلة استقبال فى بيت دانجلر - يتناولان الشاي فى صالون منزل الكونت ، ثم تطلع مورسيرف نحو الباب الذى كانت تنبعث من ورائه أصوات تشبه أنغام القيثارة ٠٠ فقال له الكونت كريستو :

- لقد قسم لك يا عزيزى الفيكونت أن تسمع الكثير من الموسيقى هذا المساء ٠٠ فانك لم تكذبجو من بيانو الانسة دانجلر حتى لاحقتك قيثارة « هايدى » !

فقال ألبرت : « هايدى ؟ » يا له من اسم ساحر ! هل هناك حقا نساء يحملن اسم هايدى ، فى غير شعر بيرون ؟ »

- بلا شك ٠٠ ان اسم هايدى اسم نادر فى فرنسا ، لكنه شائع منتشر فى « ألبانيا » وجزيرة « ابيروس » ٠٠٠ وقد ولدت واردة لكنوز لا تعد كنوز « ألف ليلة وليلة » بالقياس اليها شيئا مذكورا !

- لابد اذن انها أميرة ؟

- أنت على حق ، بل انها من أعظم أميرات بلدها !

- اذن كيف صارت جارية لك وهى أميرة عظيمة ؟

- انها نتائج الحرب يا عزيزى الفيكونت ، وتقلباتها ونزواتها

- وهل اسمها الكامل وشخصيتها سر من الاسرار ؟

- هل تعرف تاريخ على باشا والى يائينا ؟

- على باشا ؟ ٠٠٠ أوه ، نعم ٠٠ انه الوالى الذى كون أبى ثروته وهو فى خدمته

- هذا صحيح ، لقد نسيت ذلك ٠٠ اذن فلتعلم أن هايدى هى ابنة على باشا من الحسناء « فاسيليكي »

- وكيف صارت جارية لك ؟

- لقد اشتريتها ذات يوم وأنا مار فى سوق القسطنطينية

- هذه مصادفة رائعة ٠٠ ولهذه المناسبة هل لى أن أطمع فى أن تقدمنى لها ؟

- أقبل ذلك بشرطين : أولهما ألا تبوح يوما لأحد بأنى منحتك هذه

الفرصة .. والثاني ألا تخبرها قط بأن أباك كان يوما في خدمة أبيها !  
- حسنا ! .. اني أقبل هذين الشرطين !



جلست هايدى في انتظار زائريها في الحجرة الاولى من جناحها ، وهي حجرة الاستقبال .. وكانت عيناها الواسعتان تفيضان دهشة وترقيا ، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمح فيها الكونت دى مونت كريستو لانسان بزيارتها ! وكانت جالسة على أريكة في زاوية من الحجرة ، وقد عقدت ساقها تحتها على الطريقة الشرقية

وقال ألبرت بالايطالية : « يا مضيقي العزيز ، وسيدتي السنيورة ، اغفرا لى غيائي الظاهر ، فاني جد حائر .. ومن الطبيعي أن أكون كذلك ، فأنا الآن فى قلب باريس ، ومع ذلك أحس كأنى نقلت فجأة الى الشرق .. لا كما رأيته عيناى ، بل كما رسمه خيالى .. أه يا سنيورة لو أننى كنت أستطيع أن أتكلم باليونانية ، لكان حديثك الطلى ، بالإضافة الى المناظر الساحرة الخيالية التى تحيط بى ، يمنحنى سهرة ممتعة يستحيل على أن أنساها !

فأجابت هايدى فى هدوء : « انى أعرف قليلا من الايطالية يتبع لى أن أجاذبك الحديث بها .. واذا كنت مولعا بكل ما هو شرقى فسوف أبذل جهدى كى أتيح لك ما يرضى ذوقك أثناء وجودك هنا ! »

فقال ألبرت للكونت بصوت خافت : « اسمح للسنيورة يا كونت أن تسرد على طرفا من تاريخها ، لقد منعتنى من الإشارة الى اسم والدى على مسمع منها .. ولكن لعلها تشير اليه من تلقاء نفسها أثناء الحديث ، وأنت لا تستطيع أن تتصور كم يلد لى أن أسمع اسم أسرتنا تنطق به هاتان الشفتان الجميلتان ! »

وهنا التفت الكونت الى هايدى ، ثم قال لها باليونانية ، وعلى وجهه تعبير أمر : « حديثنا بقصة مأساة أبيك ، ولكن دون أن تذكرى اسم الخائن ولا تفصيل الحيانة ! »

فتنهدت هايدى من قلب مكلوم ، وكست وجهها سحابة من الحزن .. ثم قالت : « تريدنى اذن أن أسرد تاريخ أشجائى الماضية ؟ حسنا ! .. كنت فى الرابعة من عمري حين أيقظتنى أمى فجأة ذات ليلة ، وكنا فى قصر بانينا ، فلم أكد أفتح عيني حتى رأيت عينيها مغرورتين بالدموع .. ثم انتزعتنى من الفراش الوثير الذى كنت نائمة عليه ، دون أن تنبس بكلمة ، كى نلوذ بالفرار .. وقد قيل لى بعدئذ : ان حامية قصر يانينا التى أضناها العمل المتواصل ، قد استسلمت لخورشيد باشا الذى أرسله السلطان للقبض على أبى .. وبعد قليل كنا جميعا فى ( الملجأ ) الذى أعده أبى من

قبل وأطلق عليه اسم «المخبأ» ، بعد أن أرسل الى السلطان كتابا مع ضابط فرنسي كان يوليه ثقته الكاملة !

فسألها ألبرت : « ألا تذكرين اسم هذا الضابط يا سنبورة ؟ »  
وهنا تبادل الكونت مع هايدى نظرة سريعة لم يلحظها الشاب ، فأجابت قائلة :

— لست أذكره الآن ، ولكن اذا تذكرته أثناء حديثنا فسوف أذكره لك !  
وهنا كاد ألبرت ينطق باسم أبيه ، لولا أن ذكره الكونت بوعده السابق بإشارة تحذير بسبابته ، فلاذ بالصمت . . . بينما استأنفت الفتاة كلامها فقالت :

— كان المخبأ الذى لجأنا اليه جزيرة صغيرة تتوسط احدى البحيرات .  
وكان هناك كهف تحت الارض فأخذت اليه مع أمى وحاشيتنا من النساء . . .  
وكان فى الكهف ستون ألف حافظة تحوى ٢٥ مليون جنيه من الذهب ،  
ومائتا برميل من البارود بها ثلاثون ألف رطل من البارود . . . الى جوار  
البراميل وقف وكيل أبى الوفى المفضل « سليم » يحرس الكهف ليل نهار  
وفى يده حربة مزودة بثقاب دائم الاشتعال . . . وكان لديه أمر بأن ينسف  
الكهف بكل من فيه وما فيه حتى ان كان أبى بداخله فى اللحظة التى يتلقى  
فيها الإشارة المتفق عليها من قبل !

« وذات يوم أرسل أبى يدعونا اليه ، وكانت أمى قد قضت ليلتها  
مؤرقة تبكى ، وهى فريسة لأشد حالات التعاسة . . . فوجدنا الباشا هادئا ،  
ولكن أكثر شحوبا من المألوف . . . وابتدر أمى قائلا : ( تشجعى يا فاسيلكى ،  
فاليوم يصل المرسوم السلطانى الذى يقرر مصيرى . . . فاذا كان قد منحنى  
عفوا كاملا فسنعود منتصرين الى يانينا . . . أما لو كانت الانباء مريبة ،  
فينبغى أن نفر الليلة ! )

« فقالت له أمى : ( وماذا نصنع اذا حال عدونا دون هذا الفرار ؟ ) . . .  
فأجابها وهو يبتسم : ( لا تقلقى بشأن ذلك ، ففى هذه الحالة يتكفل سليم  
وحربته بحسم الموقف . انهم سوف يسرون برويتى ميتا ، لكنهم لن يسروا  
بأن يموتوا معى ! )

« كان ذلك فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وبرغم أن النهار كان  
مشرقا فى الخارج ، كنا داخل الكهف فى ظلمة تامة ، فيما عدا بصيص من  
الضوء فى ركن منها ، ينبعث من حربة سليم . . . كان أشبه بنجمة وحيدة  
فى سماء معتمة ! . . . وفجأة سمعنا صيحات عالية ، تبين فيها رنين الفرح ،  
وتجاوب الحراس فى الخارج باسم الضابط الفرنسى الذى أوفده أبى الى  
السلطان ، فأدركنا جميعا ان الرجل عاد يحمل ردا مرضيا

« وازداد الضجيج ، واقتربت خطوات تهبط السلم الى داخل الكهف ،  
وأعد سليم العدة لاشعال البارود فى حالة حدوث ما يستلزم ذلك .  
وعندئذ ظهر فى مدخل الكهف شخص لم يتبين سليم وجهه بسبب الظلام ،



فصاح به : ( من أنت ؟ حذار أن تتقدم خطوة أخرى ! ) .. فأجابه الآخر هائفا : ( عاش السلطان ! لقد منح جلالتك على باشا وزيره عفوا كاملا .. ولم يرد إليه حياتها وحدها ، بل رد إليه أيضا ثروته وممتلكاته ! )

« وهنا سأله سليم : ( باسم من تتكلم ؟ )  
« فأجاب : ( باسم سيدنا علي باشا )

« فقال له سليم : ( إذا كنت قادما من عند علي باشا نفسه ، فأنت تعرف العلامة التي يجب أن تظهرها لي ؟ )

« وقال الضابط : ( نعم .. ها أنذا أحمل إليه خاتمه ! ) .. ثم رفع يده فوق رأسه ليظهر العلامة ، لكن المسافة كانت بعيدة والضوء أضعف من أن يسمح لسليم بتمييزها .. فقال له : ( لست أرى ما في يدك .. ولن أسمع لك بأن تقترب ، بل لن أقرب أنا منك قبل أن تضع الشيء الذي تحمله في الضوء الذي يشع هناك ، ثم تنسحب ريثما أفحصه )

« ووضع الرسول العلامة في المكان الذي عينه له سليم ، ثم انسحب .. فاقترب سليم من المكان ، وتناول العلامة وتأملها مليا ثم قبلها وهتف قائلا : ( انها هي .. انها خاتم سيدي ! ) .. ثم ألقي الشعلة من يده وداسها بقدمه فاطفاها .. وعندئذ أطلق الرسول صيحة ظفر وصفق بيديه .. وسرعان ما ظهر فجأة أربعة من جنود ( خورشيد ) وسقط سليم على الفور مصابا بخمس طعنات ثم تقدم الضابط والجنود الأربعة والخوف يكسو وجوههم شحوبا ، وراحوا يفتشون أنحاء الكهف ليستوثقوا من زوال خطر الحريق والانفجار .. وعندئذ انقضوا على حقائب الذهب ينهبونها !

« وفي تلك اللحظة حملتني أمي بين ذراعيها ، ثم هرعت في سكون عبر ممرات وسرايب خفية لم يكن يعرفها غيرنا ، حتى وصلت إلى سلم آخر يفضي إلى مدخل مستقل من مداخل الكهف ، وهناك كانت تسود المكان ضجة واضطراب شديدان .. كان جنود خورشيد يملأون الحجرات السفلى .. وفيما كانت أمي توشك أن تفتح بابا صغيرا سمعنا صوت أبي يصيح مهددا فنظرنا من خلال فرجات بين الأخشاب ، وإذا أبي يقول لبضعة أشخاص يحمل أحدهم في يده ورقة مكتوبة بأحرف من ذهب : ( ماذا تريدون ؟ ) .. فأجابوه : ( نريد أن نبغك إرادة صاحب الجلالة .. هل ترى هذا الفرمان ؟ .. ان جلالة السلطان يطلب رأسك فيه ! ) .. وأطلق أبي ضحكة مدوية مخيفة ، ثم أطلق مسدسة فصصر اثنين من الجنود .. وفي هذه اللحظة بدأ إطلاق النار من الجهة المقابلة ، واخترقت الرصاصات الحوايط من كل جانب ، ورغم ذلك بدا أبي جليل المظهر وهو يكر على خصومه فيفزعهم ويلجئهم إلى الفرار ، وكان في الوقت نفسه يصيح بحارسه : ( سليم ! .. سليم ! أد واجبك ! ) .. فأجابه صوت كأنه صادر من جوف الأرض : ( لقد مات سليم ، وأنت قد ضعت يا علي ! ) .. وفي هذه اللحظة نفسها دوى المكان بانفجار قوى ، وتناثرت أرض الحجرة التي كان فيها أبي .. وكان الجنود يطلقون النار من

أسفل) ٠٠ وعندئذ مد أبى أصابعه وهو يزار بشسدة الى الثغرات التى أحدثتها الطلقات فى أرض المكان وانتزع واحدا من الألواح الخشبية ٠ وعلى الفور انطلقت من جوف الأرض عشرون طلقة قوية وتدافعت ألسنة اللهب كأنما يقذف بها بركان فالتهمت محتويات الغرفة ٠٠ وخلال هذا الضجيج المروع والصرخات المفزعة انطلقت طلقتان واضحتان تبعتهما صرختان حادتان جعلتا الدم يتجمد فى عروقى ٠٠ فقد أصابتنا أبى ، ورغم ذلك ظل واقفا ، متشبها بالنافذة ٠٠ بينما حاولت أمى اقتحام الباب ، كى تموت بجانبه ، لكنه كان مغلقا من الداخل ٠٠!

« وهنا تداعت فجأة أرض المكان بأكملها ، فسقط أبى على إحدى ركبتيه ، وفى اللحظة عينها امتدت نحوه عشرون يدا مسلحة بالخنجر والمسدسات ٠٠ عشرون هجمة ركزت كلها ضد شخص واحد ، فاخفى والدى وسط اعصار من النار والدخان ، حتى لكان المحيم قد فغر فاه تحت قدميه ٠٠ وشعرت بنفسى أسقط الى الأرض ، بينما أغمى على أمى! ٠٠ وحين أفأقت من اغماؤها كنا نمثل أمام خورشيد ، فهتفت به أمى : ( اقتل ، ولكن أبى لأرملة على باشا شرفها ! ) ٠٠

« فأجابها : ( لست أنا الذى ينبغي أن تلجئى اليه ٠٠ بل ينبغي أن تلجئى الى سيدك الجديد ! ) ٠٠ قال هذا وهو يشير الى شخص بجانبه كان قد ساهم أكثر من سواه فى قتل أبى ا »

ولاحظ ألبرت أن هايدى ازدادت لهجتها حدة وهى تنطق بهذه العبارة . ثم اضطردت فقالت :

— على أن هذا الشخص لم يجزؤ على الاحتفاظ بنا ، وهكذا باعونا الى بعض تجار الرقيق المسافرين الى القسطنطينية ، فعبرنا بلاد اليونان حتى وصلنا الى أبواب عاصمة السلطان ونحن بين الموت والحياة ٠ وكانت تحيط بالبوابة جمهرة من الناس أفسحت لنا طريقا لنمر ٠ وفجأة حانت من أمى نظرة الى شئ كانوا جميعا يتأملونه ، فأطلقت صرخة مروعة وسقطت على الأرض وهى تشير الى رأس كان معلقا فوق البوابة ، وتحت لوحة كتب فيها ( رأس على باشا والى ياتينا )

« ولم أكد أقرأ ما فى اللوحة حتى صرخت فى مرارة ، وحاولت أن أرفع أمى عن الأرض ، لكنها كانت جثة هامدة ٠٠! ومن ثم أخذت الى سوق الرقيق حيث اشتراى ثرى أرمنى تولى تعليمى وتثقيفى فأحضر لى المعلمين والاساتذة ، فلما بلغت الثالثة عشرة باعنى الى السلطان « محمود »

وسكنت هايدى ، فقال الكونت متمما قصتها : « ومنه اشتريتها أنا ! »

أما ألبرت فبقى بعض الوقت مأخوذا مشدوها من كل ما سمع ، الى أن قال له الكونت : « هيا ، أفرغ قدح القهوة الذى أمامك ٠٠ فقد انتهت القصة ! »

## شراب قاتل !

لو أتيح لفالنتين أن ترى اضطراب خطوات فرانز والانفعال الذى بدا على وجهه حين غادر حجرة مسيو نوارتييه ، لأشفقت عليه ، برغم كل شيء !

وكان دى فيلفور قد غمغم ببضع عبارات متقطعة ثم انسحب الى حجرة مكتبه ، حيث تلقى بعد ساعتين الخطاب التالى : « بعد الامور التى انكشفت هذا الصباح ، لابد أن يقدر مسيو نوارتييه دى فيلفور استحالة عقد أى صلة بين أسرته وأسرة فرانز ديبيناي . وانه ليدعش مسيو ديبيناي ويصدمه أن مسيو دى فيلفور - الذى ظهر أنه كان على علم بكل الظروف التى انكشف أمرها هذا الصباح - لم يبادر الى اخطاؤه بها قبل الآن ! » وفى اليوم التالى دعا نوارتييه مسجل العقود وجعله يلغى الوصية الاولى ويسجل بدلا منها وصية أخرى يترك فيها كل ثروته لحفيدته فالنتين، بشرط ألا تنفصل عنه مدى حياته . وعندئذ شاع فى كل مكان أن الأنسة دى فيلفور وريثة المركز والمركيزة دى سان ميران ، قد استردت رضا جدها ، وأنها سوف تصبح ذات ايراد يبلغ ثلاثمائة ألف ريال

وفى الساعة التاسعة من ذلك الصباح ارتدى ألبرت دى مورسيرف سترة سوداء ومضى فى خطوات سريعة مضطربة فى اتجاه دار الكونت دى مونت كريستو فى الشانزلزيه . وفيما هو يعبر شارع « ممر الأرامل » رأى عربة الكونت واقفة أمام حانوت لاسلحة الرماية هناك ، ثم خرج الكونت فى هذه اللحظة من الحانوت فابتدره الشاب من دون أن يؤدي له التحية المفروضة : « انى سوف أبارز اليوم ، وقد جئت أرجو منك أن تكون شاهدى ! »

فأجابه الكونت : « هذه مسألة أخطر من أن تناقش فى الطريق . فلندع الحديث فيها حتى نصل الى البيت ! »

ثم استقل كلاهما عربة الكونت الى منزله فبلغاه بعد دقائق . وهناك أخذ الكونت ضيفه الى حجرة مكتبه . وبعد أن جلسا قال له : « فلنتحدث الآن فى الأمر بهدوء . من الذى تعزم مبارزته ؟ »

— بوشان . فقد نشر فى صحيفته فى الليلة الماضية . ولكن انتظر واقرا بنفسك .

وأعطى ألبرت الصحيفة للكونت ، فقرأ فيها الفقرة التالية : « تلقينا من مراسلنا فى يانينا ما يكشف الستار عن حقيقة كنا نجهلها حتى الآن ،

وهي أن القلعة التي كانت تحمي المدينة قد سلمت الى الاتراك بواسطة ضابط فرنسي يدعى ( فرناند ) كان الوالى على باشا قد وضع فيه ثقتة الكاملة ! »

وقال له الكونت بعد أن أتم القراءة : « ماذا يهكم من أن قلعة يانينا سلمت بواسطة ضابط فرنسي ؟ »  
فقال ألبرت : « ان أبى الكونت دى مورسيرف هو الضابط المقصود ، فان اسمه الاول فرناند ! »

فقال الكونت مهدئا ثائرة الشاب : « ما أظن أن فى فرنسا من يعرف ان الضابط فرناند والكونت دى مورسيرف اسمان لشخص واحد ؟ ثم من ذا الذى يعنى الآن بقلعة يانينا وقد سقطت سنة ١٨٢٢ أو سنة ١٨٢٣ ؟ ولم يعد أحد يذكر عن ذلك شيئا بعد مضى هذا الوقت الطويل ؟ »

ولكن الشاب بقى ثائرا وقال : « هذا يدل على حقارة القرية . لقد سكتوا كل هذا الوقت ثم جاءوا الآن فجأة فبعثوا الحوادث التي كانت قد تسببت ليتخذوها مادة للفضيحة يلطخون بها مركزنا الرفيع . انى ذاهب الى ( بوشمان ) الذي نشرت صحيفته هذا النبأ وسوف أصر على مطالبتة بتكذيبه ! »

وتناول مورسيرف قبعته وغادر الغرفة الى حيث استقل عربته واتجه بها فورا الى مكتب الصحفي بوشمان . فاستقبله هذا مرحبا وهو يطلق صيحة دهشة لرؤية صديقه يقذف بالصحف التي على المكتب الى الارض ويدوسها بقدمه فى انفعال . بينما استمر هو يصيح به وهو يمد يده لمصافحته « هيه ، هيه ، يا عزيزى ألبرت ، هل فقدت وعيك ؟ أم هل جئت لتتناول الافطار معى ؟ »

فاجابه الشاب : « بوشمان ، لقد جئت أحدثك فى شأن نبأ نشرته صحيفتك أمس وينبئ أن تكذبه فورا . ولكن يبدو أنك تجهل تماما علاقتي بهذا الخبر »

— هذه هي الحقيقة وأقسم بشرفي

ثم أخذ بوشمان يبحث عن نسخة من الصحيفة ، فقال له ألبرت : « اليك نسختي فقد أحضرتها معى ! »

فتناول بوشمان الصحيفة وقرأ النبأ الذى أشار اليه صديقه ، فلما فرغ من ذلك سأل : « هل الضابط المشار اليه قريبك ؟ »

— انه أبى ، مسيو فرناند مونديجو — الكونت دى مورسيرف — الذى حارب فى عشرين معركة وحصل على أوسمة الشرف ، من الجروح والاصابات التي يحاولون الآن اعتبارها وصمات عار !

فهز بوشمان رأسه أسفا وقال :

— أهو والدك ؟ هذا أمر آخر ! فى هذه الحالة أستطيع أن أفهم سبب

غضبك يا عزيزى ألبرت • لكن الخبر المنشور ليس فيه ما يدل على أن الضابط فرناند هو والدك !

فقال ألبرت وقد استبد به الغضب والحنق : « سوف أرسل اليك شهودى ، ولك أن تتفق وإياهم على مكان اللقاء وموعده ونوع السلاح ! »  
فقال : « حسنا ! • اننى أقبل أن أبارزك ، لكنى أطلب مهلة قدرها ثلاثة أسابيع ، وسوف أجيئك فى نهايتها لأقول لك : ( لقد كان النبأ كاذبا وسأكذبه ) • أو لأقول : ان الخبر المنشور لا شك فى صحته • ثم أستل سيفى من غمده أو مسدسى من جرابه - حسبما تشاء - لأبارزك ! »  
فصاح ألبرت وهو ينهض لينصرف : « ثلاثة أسابيع ! • انها سوف تمر كأنها ثلاثة قرون ! »

وقبل أن يغادر مكتب بوشان ، صب غضبه على كومة من الصحف راح يطوح بها فى أرجاء الغرفة بعصاه !

وفىما هو فى عربته لمح مكسمليان موريل يسير فى الطريق بخطى سريعة ونظرة مشرقة ، فحدث نفسه قائلا : « انه لسعيد ولا شك ! »  
ولم يخطئ فى رأيه ، فقد كان مكسمليان سعيدا جدا فى تلك اللحظة ، اذ كان فى طريقه الى مسيو نوارتييه الذى أرسل يدعوه لسبب لا يعلمه ! • •  
وحين وصل الى الدار أدخله الخادم باروا من مدخل خاص ، ثم أغلق عليه باب حجرة سيده ، وسرعان ما سمع الشاب حفيف ثوب يعلن قدوم فالتين • •  
وابتدرته الفتاة قائلة :

— مسيو موريل • • لقد اعتزم جدى أن ينتقل من هذا البيت ، وقد شرع باروا يبحث له عن مسكن ملائم !

فسألها : « وماذا تفعلين أنت يا آنسة دى فيلفور ، وهو لا غنى له عنك ؟ »  
فأجابت بقولها : « انى لن أترك جدى ! • هذا شيء مفهوم فيما بيننا ، ولسوف يكون مسكنى قريبا من مسكنه • • واذا وافق أبى على ذلك فسوف أترك البيت على الفور • أما اذا لم يوافق فسوف أضطر الى الانتظار حتى أبلغ سن الرشد بعد نحو عشرة شهور ، وعندئذ أغدو حرة وتكون لى ثروة مستقلة أستطيع بفضلها ، وبموافقة جدى ، أن أنجز وعدى لك ! »  
ثم التفتت الى جدها وقالت له : « هل أحسنت التعبير عن رغبتك يا جداه ؟ »

فاوما المشلول موافقا ، بينما هتف الشاب وقد استبدت به رغبة فى أن يجثو على ركبتيه خاشعاً أمام نوارتييه وفالتين : « رباه ماذا فعلت فى دنياى كى أستحق كل هذه السعادة ! ؟ »

وأشار نوارتييه الى ابريق يحوى شراب الليمون وبجانبه كأس فارغة ، وكان الابريق مملوءا حتى آخره تقريبا ، باستثناء القدر الذى شربه منذ حين • • فقالت فالتين للخادم الوفى : « هيا يا باروا ، خذ بعض هذه

« الليموناة » فانى أراك تشتهيها !

فأجاب باروا : « اعترف يا آنستى بأنى أكاد أموت ظمأ ، وما دمت قد تعظمت فأذنت لى فى ذلك فلست أزعم انى سأماع فى أن أشرب قليلا منها ، نخب صحتك ! »

وفيما كانت فالتين ومكسميليان يشادلان تحية الوداع فى حضور جدبها ، سمعا جرس الباب الخارجى يدق ، فنظرت الفتاة الى ساعتها ٠٠ وفى هذه اللحظة دخل باروا ، فسألته فالتين : « من القادم ؟ »

فأجاب الخادم وهو يكاد يترنح كمن يوشك أن يسقط : « انه الدكتور دافرينى ! »

واذ ذاك سأله سيده : « ماذا بك يا باروا ؟ » ٠٠ لكنه لم يجب ، بل حملق فى سيده بعينين جاحظتين ، وهو يستند بيده الى قطعة من الاثاث كى يتجنب السقوط ! ٠٠

وازدادت حدة الاعراض التى بدت على الخادم بالتدريج ، فاستدار وخطا بضع خطوات ثم سقط عند قدمى نوارتييه

وفى هذه اللحظة أقبل مسيو دى فيلفور على صوت الضجيج ٠٠ بينما صاحبت فالتين بزوجة أبيها وهى تصعد السلم للملاقاة : « تعالى بسرعة ، وأحضرى معك زجاجة الاملاح المنبهة ! »

فأجابتها السيدة دى فيلفور فى صوت خشن غاضب وهى تهبط السلم وقد أمسكت بأحدى يديها مندبها ثمسح به وجهها ، وأمسكت باليد الأخرى زجاجة الاملاح المنعشة : « ماذا حدث ؟ » ٠٠ واتجهت بنظرها الاولى لى دخولها الغرفة نحو نوارتييه ، الذى كان وجهه - باستثناء الانفعال الذى لابد يحدثه فيه مثل هذا الحادث - يلمع عن اكتمال العافية ٠٠ وعندئذ نقلت المرأة بصرها الى الخادم المحتضر ، فشحب وجهها على الفور وعادت تنظر الى سيده ٠٠

وفى أثناء ذلك هتفت فالتين بمكسميليان : « اذهب أنت بأسرع ما تستطيع ، وابق حيث أنت حتى أرسل فى طلبك ٠٠ اذهب ! »

ونظر الشاب الى نوارتييه مستأذنا فى الانسحاب ، فممنحه العجز اذنه وهو محتفظ بهدوئه المألوف ، فقبل الشاب يد فالتين مودعا ، ثم غادر المنزل عن طريق السلم الخلفى ٠٠ وفى اللحظة التى ترك فيها الحجرة دخلها فيلفور والطبيب قادمين من باب آخر ، وكان الخادم المصاب يبدو كأنما استرد بعض وعيه ، فاشترك الرجلان فى حمله الى أريكة مريحة ٠٠ وهتف دى فيلفور :

— انظر ، انظر يا دكتور ، ها هو ذا يعود الى رشده ثانية ، انى لا أعتقد فى الواقع أنه أمر ذو بال ! »

فأجابه الطبيب بابتسامة ساخرة وهو يستجوب المريض الذى أفاق :

« بماذا تشعر يا باروا ؟ ماذا أكلت اليوم ؟ »  
فأجاب باروا . « لم أكل بـعد ، وإنما شربت . قدحا من شراب الليمون  
الذى يخص سيدى ! »

— وأين هذا الشراب ؟

— لقد أعدته منذ لحظات الى المطبخ !

فهرع الطبيب نحو السلم الخلفى المؤدى الى المطبخ ، وكاد أثناء اندفاعه  
يصطدم بالسيدة دى فيلفور التى كانت بدورها متجهة الى المطبخ ، فصاحت  
تستوقفه . لكنه لم يعبأ بها وهبط الدرجات الأربع الباقية فى قفزة واحدة  
ثم اقتحم المطبخ فوجد الابريق وقد بقى فيه نحو ربع الشراب ، فأخذه فى  
يده وعاد الى الغرفة التى كان فيها ، وأثناء عودته صادف السيدة فيلفور  
صاعدة الى غرفتها فى خطوات بطيئة !

وسأل الطبيب الخادم المصاب : « هل هذا هو الابريق الذى شربت منه ؟ »  
فأجابه : « نعم »

وصب الطبيب قطرات من الشراب فى راحة يده ثم تذوقها وبصقها فى  
المدفاة . بينما صاح به باروا : « أغثنى يا دكتور ، النوبة ستعود ثانية »

فأجابه الطبيب : « كلا أيها الصديق ! انك لن تلبث أن تستريح »

فقال الخادم التعس : « آه ، انى أفهم ما تعنيه ، يا الهى ، ارحمنى ! »

ثم أطلق صرخة مروعة وسقط على ظهره كأنما أصابته صاعقة . فجذبه  
الطبيب من ابطيه الى غرفة مجاورة ثم عاد ليأخذ ابريق شراب الليمون  
وقال مخاطبا دى فيلفور : « تعال هنا »

وحين جلسا فى الغرفة التى رقد فيها المصاب سأله دى فيلفور :

— هل النوبة مستمرة يا دكتور ؟

فأجاب : « بل انه قد مات . لكن هذا ينبغي ألا يدهشك ، فقد سبقه  
كل من المركيز والمركيزة سانت ميران الى مثل هذا المصير العاجل الغريب ! »  
فصاح هذا فى رعب وفزع : « ماذا ؟ .. أما زلت تحوم حول تلك الفكرة  
الرهيبه ؟ »

فأجابه الطبيب : « نعم يا عزيزى ، وسوف أظل كذلك دائما ، فان  
الفكرة لم تبرح ذهنى لحظة واحدة . . . ولكى تكون على ثقة من انى لم أخطئ  
هذه المرة ، أرجو أن تصفى جيدا لما سأقول : هناك نوع من السموم يقتل  
دون أن يخلف أثرا ، وأنا أعرفه جيدا وقد درسته فى جميع أشكاله ووسائل  
تركيبه وآثاره . . . وقد تبين وجود هذا السم فى حالة باروا التعس ، كما  
تبينته فى حالة المركيزة دى سانت ميران ، وسوف أجزم بذلك أمام الله  
والناس ! »

فلم يجب فيلفور بكلمة ، واكتفى بأن ضم يديه وفتح عينيه الجاحظتين  
ثم غاص فى أقرب مقعد . . . !

## الانتقام الالهى

انطلق الكونت دى مونت كريستو في طريقه الى داره الريفية فى «أوتوى»  
بصحبه تابعه « على » وبعض خدمه الآخرين ، كما أخذ معه بعض جواده  
الجديدة ليسنوثق من قدرتها

وبعد حين دخل عليه خادمه « بابتستين » يحمل خطابا على طبق من  
الفضة ، وقدمه له قائلا : « رسالة هامة عاجله ! »

ففض الكونت الخطاب ، وقرأ فيه : « يهمنى أن ابنه الكونت دى مونت  
كريستو الى أن رجلا سيتسلل الليلة الى بيته فى الشانزلزيه بغية سرقة  
بعض الاوراق الهامة المفروص أنها فى منضدة مكتبه الصغير »

وكان أول خاطر جال بذهن الكونت لدى فراه الرسالة انها خدعة  
مكشوفة يراد بها تحويل انتباهه الى خطر تافه فى سبيل تعريضه لخطر  
أعظم . فكاد يبلغ الأمر الى البوليس ، برغم نصيحة كاتب الخطاب . ثم  
خطر له أن السارق المجهول قد يكون خصما شحصيا له ، فحدث نفسه :  
« انه لا يريد أوراقى ، بل يريد قتلى » انه ليس سارقا ، وانما هو قاتل !

واذ ذاك نادى خادمه «بابتستان» وقال له : « عد الى باريس حالا واجمع  
خدمى جميعا وأحضرهم الى هنا ! »

ثم أعرب الكونت عن رغبته فى أن يناول طعامه وحده والا يخدمه خلاله  
غير تابعه « على » . واذا فرغ من تناوله ، بهدوئه واعتداله المأثورين .  
أشار الى « على » كى يتبعه ، ثم خرج من باب حانبى فاستقل عربته الى غابة  
بولونيا ، وهناك استدار - دون خطة مرسومة - نحو طريق باريس . فلما  
حان الغروب وجد نفسه تجاه داره فى الشانزلزيه !

ودلف الى مخدعه ، ثم أشار الى على كى يفف هناك ، ومضى هو وحده الى  
غرفة الزينة ففحصها بدقة، ووجد كل شئ فيها كما تركه ، ومنضدة المكتب  
الشمينة فى مكانها ، والمفتاح على درجها . فأغلقه بعناية وأخذ المفتاح عائدا  
الى باب المخدع ففتح مزلاجه المزدوج ودخل . وفى أثناء ذلك كان « على »  
قد جهز الاسلحة التى طلبها الكونت ، فتسلمها منه ثم وقف خلف نافذة  
من نوافذ المخدع موازية لنافذة غرفة الزينة ومطلّة على الشارع

وانقضت ساعتان على هذا المنوال ، ودقت ساعة الانفاليد مؤذنة  
بانتصاف الليل . ولم يكد صدى الدقة الاخيرة من دقائقها يتلاشى حتى خيل  
الى الكونت أنه سمع صوتا خفيضا صادرا من حجرة الزينة ثم تكرر



الصوت مرة ثانية ، فثالثة ، فرابعة .. وعندئذ أدرك الكونت أن يدا بارعة ذات خبرة تحاول كسر زجاج النافذة بماسة !! وكانت تلك النافذة مواجهة للفتحة التي يستطيع الكونت أن يرى خلالها ، من مكانه ما يجري فى غرفة الزينة .. ومن ثم ركز بصره على النافذة ، فرأى فى الظلام شبحا يمد يده من خلال الثغرة التي فتحتها فى الزجاج فيفتح النافذة ، من الداخل ثم يثب منها الى الغرفة .. فهمس الكونت : « يا له من جرى ! »

وفى تلك اللحظة لمس « على » كتف سيده ، مشيرا له من خلال النافذة المظلة على الطريق ، الى شخص يقف فى الشارع فهمس الكونت : « اذن .. هما شخصان .. أحدهما يتسلل الى البيت والآخر يراقب مدخل الدار ! »

ثم أوصى على بالآ يدع الشريك الذى فى الشارع يغيب عن بصره ، واستدار هو ليرقب الشخص الذى دخل حجرة الزينة .. فرآه يتجه الى منضدة المكتب ويحاول فتحها بطائفة من المفاتيح المصطنعة مستعينا على اختيار المفتاح المناسب بضوء ( بطارية ) ما لبث ضوؤها الشاحب أن وقع على وجهه ويديه ، فحدث الكونت نفسه قائلا وهو يتراجع : « يا الهى ! »

وفى تلك اللحظة لمح الكونت تابعه « على » يرفع فى يده آلة حادة أشبه بالفأس فهمس له : « لا تتحرك ، ودع فأسك ، فلن يهوجنا الأمر الى سلاح ! »

ثم همس له بضع كلمات أخرى ، مضى هذا على أثرها دون أن يحدث صوتا ثم عاد بعد حين يحمل رداء أسود وقبعة مثلثة الأركان ! وفى أثناء ذلك كان الكونت قد خلع سترته وصدره وقيصه ثم ارتدى درعا من الفولاذ وفوقه رداء رجال الدين الكهنوتى الاسود ، وأخفى شعره تحت جمة من الشعر المستعار كالتي يرتديها القساوسة ، وحين وضع فوقها القبعة المثلثة الأركان تحول الكونت فى لحظة الى قسيس .. ثم أخرج من أحد الادراج شمعة أضاءها .. وفيما كان اللص مستغرقا فى محاولة فتح القفل فتتح الكونت الباب دون صوت وهو يحمل الشمعة بحيث يقع ضياؤها مباشرة على وجهه .. فذعر اللص بينما قال له الكونت :

— طاب مسأوك يا عزيزى كادروس .. ماذا تفعل هنا فى هذه الساعة ؟

فنهتف كادروس فى دهشة وذعر : « الألب بوزونى ١٩ » .. وأفلتت يده المفاتيح فسقطت على الارض ، وراح يتطلع حواليه باحثا عن وسيلة للهرب ، فلاحقه الكونت قائلا : « أرى أنك ما زلت كما عهدتك دائما : قاتلا .. ألم تقتل الجوهري الذى إبتاع منك الماسة التى أعطيتك اياها ؟ »

فأجاب فى صوت مرتجف : « نعم ، هذا صحيح يا سيدى القس ! »

فعاد يسأله : « من الذى أخرجك من السجن ؟ »

فأجاب : « اللورد ويلمور ! »

فسأله : « أكان ذلك الثرى الانجليزى يتولى حمايتك ؟ »

فأجاب : « لا .. لم يكن يحمينى أنا ، بل كان يحمى شابا كورسيكييا

كان زميلي في السجن يدعى « بنديتو » .. وقد صار هذا الشاب الآن ابناً لشرى عظيم هو الكونت دى مونت كريستو الذى نحن فى بيته الآن ! »  
فقال له الكونت وقد أخذه العجب هو الآخر :

— بنديتو صار ابناً للكونت دى مونت كريستو ؟ .. كيف كان ذلك ؟  
فقال كادروس : « أعتقد ذلك ، فان الكونت قد أوجد له أباً زائفاً ، وصار يعطيه راتباً شهرياً قدره أربعة آلاف فرنك ، فضلاً عن نصف مليون فرنك تركها له فى وصيته ! »

فقال الكونت وقد بدأ يفهم : « ما هو الاسم الذى يحمله ذلك الشاب الآن ؟ »  
أتعنى أندريا كافالكاتنى ذلك الشاب الذى استقبله صديقى الكونت دى مونت كريستو فى منزله ، والذى سيتزوج من الانيسة دانجلر ؟  
فأوما كادروس موافقاً ، بينما واصل الكونت كلامه قائلاً :

— كيف تصدق ذلك أيها الشمس ، وأنت تعرف حياته وجرائه ؟  
فقال : « لم أشأ أن أقف عقبة فى سبيل صديق من زملائى ! »  
فرد عليه الكونت قائلاً : « أنت على حق ، واذن .. سأتولى أنا لا أنت ابلاغ هذه الحقيقة الى البارون دانجلر .. سأكشف له كل شيء ! »  
وغمغم كادروس قائلاً : « انك لن تفعل مثل هذا يا سيدى القس ! »

وفى مثل لمح البرق ، استل كادروس خنجره وطعن به الكونت فى صدره ! .. وشد ما كان عجبه وفزعه حين ارتد الخنجر مكسوراً بدلاً من أن يشق صدر القس المزعوم . وفى اللحظة نفسها قبض الكونت بيسراه على معصم كادروس ووضف بقوة جعلت الخنجر يسقط من بين أصابعه المتقلصة . فأطلق صرخة ألم حادة ، لكن الكونت استمر يضغط معصم الشقى حتى اضطره الى أن يرتدى على الأرض وهو يتأوه .. وعندئذ وطأ الكونت رأسه بقدمه قائلاً : « لست أدري ما الذى يمنعنى من أن أسحق جمجمتك ! »  
فصرخ كادروس : « الرحمة .. الرحمة ! »

واذ ذاك سحب الكونت قدمه وقال له : « انهض ، خذ هذا القلم والورق واكتب ما أمليه عليك »

فجلس كادروس وقد أذهلته قوة القس الحارقة ، وكتب :  
« سيدي .. ان الرجل الذى تستقبله فى بيتك ، والذى تعتزم أن تزوجه لابنتك ، هو قاتل فرمى من السجن المؤبد فى طولون ، وقد كان يعرف باسم بنديتو ، وكان رقمه ( ٥٩ ) بينما كان رقمى أنا ( ٥٨ ) . وهو يجهل اسمه الحقيقى لانه لم يعرف لنفسه أباً ! »

واستنطرد الكونت فقال لكادروس : « هيا .. وقع على الخطاب .. واكتب العنوان : ( الى البارون دانجلر ، المالى الكبير ، شارع دى لاشوسيه دانتان )  
فكتب كادروس ما أملى عليه ، وحين فرغ من ذلك صاح به الكونت وهو

يشير الى النافذة : « والاتى اغرب عن وجهى -

وحين خرج كادروس من النافذة وبدأ يهبط أدنى الكونت الشمعة منه ، كى يرى من فى الشارع أن شخصا كان يمسك الشمعة للص اثناء نزوله! - ثم تركه ومضى مسرعا الى مخدعه حيث أطل من نافذته ، فرأى كادروس يسير على الجدار متجها نحو الواجهة الجانبية للبيت - كمن يحاول الهروب من رفيقه الذى ينتظره فى أسفل - ثم ينزلق على الانابيب بعد أن استوثق من أن صاحبه لم يره . لكنه لم يكد يبلغ الارض حتى تلقاه هذا بطعنة حادة فى ظهره ، فصاح مدعورا : « النجدة ! »

وعلى اثر ذلك فتح باب الدار الخلفى ، وظهر منه الكونت فى ثياب القس ، ومعه على خادمه يحملان مصباحين ، وما لبثا أن نقلتا الجريح الى احدى الحجرات حيث فحص الكونت جراحه الفظيعة وقال محدثا نفسه : « يا الهى ! ان انتقامك قد يتأخر أحيانا ، ولكن كى يتم آخر الامر على أكمل وجه ! »

بينما نظر على الى سيده فى انتظار تعليماته ، فقال له هذا : « استدع فوراً قاضى التحقيق مسيو دى فيلفور ، وهو يقطن فى شارع سانت أونوريه . وعند مرورك بالمسكن أيقظ البواب وأرسله كى يحضر جراحا »

وحين فتح كادروس عينيه مرة أخرى قال للكونت : « لقد خذلنى وقتلنى بعد أن أعد خطة اقتحام هذا البيت ، آملا بلا شك أن أقتل الكونت فيصعب هو وارثه ، أو أن يقتلنى الكونت فيستريح هو منى الى الأبد ! »

فقال له : « تستطيع أن تملى على اعترافك ثم توقع عليه بنفسك ! »

فلمعت عينا الجريح ارتياحا لفكرة هذا الانتقام السريع ، بينما كتب مونت كريستو هذه العبارة : « انى أموت مقتولا بيد الكورسيكى المدعو (بنديتو) رفيقى فى سجن تولوز ، رقم ٥٩ » ثم أعطى الريشة لكادروس ، فاستجمع هذا كل قواه ووقع عليها . ثم خر على فراشه وقد بدأ يحتضر

وهنا قال الكونت دى مونت كريستو وهو يقرب الضوء من وجهه : « انظر الى جيذا ! » ثم خلع الشعر المستعار وترك شعره الطبيعى يسقط على رقبته . واذا ذاك هتف كادروس كالمصعوق : « أوه ، لولا شعرك الاسود لقلت انك ذلك الانجليزى ، اللورد ويلمور ! »

فقال له : « كلا . لست اللورد ويلمور ، كما انى لست الا ب بوزونى » ثم اقترب الكونت من الجريح وانحنى فوقه هامسا : « أنا . أنا . أنا . » ولفظت شفتاه شبه المغلقتين اسما بصوت خافت . فأجفل كادروس مدعورا وحاول أن يتراجع ، ثم ضم يديه ورفعهما الى أعلى ، وهو يهتف : « أواه يا الهى ! اغفر لى أننى أنكرتك . انك موجود ولا شك . » ثم تنهد تنهدا عميقة وسقط على ظهره . وما لبث أن لفظ نفسه الاخير !

## محكمة في مجلس الشيوخ

استيقظ « البرت دي مورسيرف » ذات صباح فإذا خادمه يعلن اليه قدوم الصحفي بوشان ، ففرك عينيه وأمر خادمه بأن يقود الزائر الى حجرة الاستقبال التي في الطابق الأرضي .. ثم ارتدى هو ثيابه على عجل وهبط اليه فوجده يدرع الحجرة ذهابا وجيئة ، ثم توقف حين شعر بدخوله ، فابتدره قائلا :

— ان قدومك الى هنا بلا انتظار لزيارتي لك اليوم يبدو فالأ طيبا .. فهل ترى استطيع ان اصافحك قائلا : ( اعترف يا بوشان بأنك قد أسأت الى ، واسترد صداقتي ) .. ام انك ستلجئني الى ان اقترح عليك اختيار السلاح الذي يروقك ؟ !

فقال بوشان : « يا عزيزي البرت .. اني عائد لتوى من ( يانينا ) وقد كان يسرنى يا صديقى ان أعتذر اليك ، لكن ذلك النبا كان صحيحا مع الأسف ، وذلك الضابط الفرنسي فرناند ، الخائن الذي سلم قلعة الوالى وهو يعمل في خدمته ، كان بعينه والدك ! .. واليك الدليل في هذه الورقة ! »

ونشر البرت الورقة التي قدمها له صديقه ، وكانت اقرارا موقعا عليه من اربعة من كبار اهل يانينا البارزين ، يشهدون فيه بأن الكولونيل فرناند مونديجو الذي كان يعمل في خدمة على باشا والى المدينة قد سلم القلعة مقابل مبلغ مليونى ريال ! وكانت التوقيعات الاربعة صحيحة وشرعية !

ولم يكد البرت يفرغ من قراءة الورقة حتى ارتعى متهاكما على مقعد في الحجرة ولم يعد لديه أى شك في أن اسم أسرته قد لطمخ بالعار الى الأبد ! وبعد فترة صمت كئيبة طويلة فاض به الحزن فاطلق لدموعه العنان !

ونفض بوشان بعد قليل للانصراف تاركا لالبرت تلك الورقة فتناولها هذا بيد مرتعشة وأحرقها ثم ألقي بها في النار !

وبعد ثلاثة أيام نشرت صحيفة أخرى الفقرة التالية : « ان الضابط الفرنسي الذي كان في خدمة على باشا والى يانينا ، وأشارت اليه صحيفة ( امبارسيال ) منذ ثلاثة أسابيع ، لم تقتصر فعلته على تسليم قلعة المدينة ، بل أنه باع ولى نعمته للأتراك .. وقد كان اسمه وقتئذ فرناند ، لكنه أضاف اليه فيما بعدلقبا من ألقاب النبلاء فصار يدعى الآن الكونت دي مورسيرف ، وبات يعتبر في مصاف الأمراء ! »

وهكذا بعث السر الرهيب من قمره فحاة كالشبح المخيف .. وفي اليوم

نفسه ثارت ضجة كبرى في مجلس الشيوخ بين الأعضاء الـ ١٠٠ فحرص كل منهم على أن يصل إلى المجلس قبيل الموعد المعتاد ، وتبادل الجميع الحديث في الحدث المروع الذي سوف يسترعى انتباه الجماهير نحو واحد من زملائهم الـ ١٠٠ وكان بعضهم يعيد قراءة النبا في الصحيفة ، والآخرون يعلقون عليه ويذكرون وقائع وملابس تزيد التهمة توكيدا

وبقى الكونت دي مورسيرف وحده يجهل تلك الأنباء ، فانه لم يكن قد طالع الصحيفة التي نشرتها ، بل أنفق الصباح في كتابة الخطابات وفي تجربة جوار جديد !.. وهكذا وصل إلى دار المجلس في الموعد المألوف وعلى وجهه سيماء المعتادة من العجرفة والوقاحة ، فهبط من عربته ، ومر خلال ممرات الدار ، ودخل قاعة الجلسة ، دون أن يلاحظ همهمة الحراس أو فتور زملائه نحوه . وكانت الجلسة قد بدأت منذ نصف ساعة ، وأمسك كل عضو في يده بصحيفة الاتهام . . ولكن كما هي العادة دائما - لم يشأ واحد من الأعضاء أن يأخذ على عاتقه مسئولية البدء بالمهاجمة . . وأخيرا نهض عضو له مكانته - وكان الد خصوص مورسيرف - فارتقى المنصة في ضرامة توحى بافتراق اللحظة الحاسمة ، ثم بدأ يتلو ما ورد في الصحيفة . . ولم يتنبه الكونت في البداية للمقدمة . . ولكن لم يكذب المتكلم ينطق باسم ( يانينا ) واسم الكولونيل فرناندو مونديجو حتى شغب وجهه شحوبا مخيفا جعل كل عضو يتوجس شرا وهو يسلط عليه عينيه !

وأعقبت تلاوة الاتهام موجة من الضجيج والاضطراب ، والهرج والمرج . . وعلق الجميع اسماعهم بغم المتكلم وهو يعلق على النبا ويختم كلمته مطالبا بتأليف لجنة تتولى اثبات الاتهام أو دحضه

وبلغ من مفاجأة مورسيرف بهذه الكارثة غير المتوقعة انه لم يجر جوابا ، فلم ينطق بغير بضع كلمات مبهمة وهو ينظر حواليه إلى أعضاء المجلس في ذهول . . فعرض الرئيس أخذ الأصوات ، وأسفر الاقتراع عن الموافقة على وجوب التحقيق . . فسئل المتهم عن المهلة التي يطلبها لتحضير دفاعه ، فأجاب من فوره : « أنا اليوم تحت تصرفكم ! »

رأفت لجنة من اثني عشر عضوا لفحص أدلة الاتهام والنفي ، وتقرر أن تبدأ اللجنة عملها في الساعة الثامنة من ذلك المساء . . فطلب مورسيرف الإذن له في الانسحاب كي يجمع المستندات التي أعدها منذ زمن لمواجهة هذه العاصفة

وفي الموعد المحدد اجتمع أعضاء لجنة التحقيق ، ودخل الكونت دي مورسيرف يحمل في يده أوراقا . وكان هادئ الوجه ، حازم الخطى ، مفرط العناية بزيه العسكري . وفي تلك اللحظة دخل حارس يحمل خطبا إلى رئيس اللجنة ، فقال الرئيس وهو يفض الخطاب ، موجها كلامه إلى الكونت دي مورسيرف : « لك أن تبدأ دفاعك يا مسيو مورسيرف »

فقدم الكونت مستندات تثبت أن والي يانينا كان يخصه بثقته الكاملة حتى آخر لحظة ، بحيث أنه عهد إليه في مفاوضة السلطان بشأن حياته أو

موته !.. ثم قدم الكونت الخاتم الذى كان على باشا يختم به أوراقه الرسمية وخطاباته ، وقد أعطاه إياه كي يمكنه من الدخول عليه في أية ساعة بالليل أو النهار ، حتى وهو في جناح الحريم !.. ثم أوضح الكونت كيف أن مفارضاته مع السلطان بشأن العفو عن الوالى قد فشلت ، فلما عاد ليدافع عن ولى نعمته ويدفع عنه الأذى وجده قد مات .. ثم قال الكونت :

— لقد بلغ من ثقة على باشا بى أنه وهو يودعنى قبيل سفرى عهد الى في رعاية محظيته المفضلة وابنتها في حالة وفاته ! »

وكان رئيس اللجنة قد فض الخطاب الذى سلم اليه ، وقراه باهتمام ، مرة بعد مرة وهو يرمق المتهم بنظرات حادة ، ثم خاطبه قائلاً : « أنك ذكرت أن والى يانينا عهد اليك في رعاية ابنته وزوجته ، فماذا تم في امرهما ؟ »

فأجاب مورسيرف : « مما يؤسف له يا سيدى أن سوء الحظ لاحقنى في هذا الشأن كما حدث في مناسبات أخرى ، فحين عدت كانت «فاسيليكى» وابنتها «هايدى» قد اخفننا ، وقد سمعت فيما بعد أنهما سقطتا فريسة لأحزانهما ، وربما لفقرهما .. ولما لم أكن غنياً ، وكانت حياتى معرضة لخطر دائم ، لم أستطع مواصلة البحث عنهما ! »

وهنا توجهم وجه الرئيس والتفت الى اعضاء اللجنة قائلاً :

— أيها السادة .. لقد سمعتم دفاع الكونت دى مورسيرف . وبقي أن نسأله هل يستطيع أن يقدم لنا شهوداً يثبتون صحة كلامه »

فأجاب الكونت : « الواقع يا سيدى ، أن جميع الذين كانوا يحيطون بالوالى أو الذين عرفونى في بلاطه قد ماتوا أو اختفوا »

وهنا استطرد الرئيس فقال :

— لعلك ترحب أن أسمع شهادة شخص يعتبر نفسه شاهداً هاماً في النزاع . أنه ولا شك قد جاء ليثبت براءة الكونت .. وهأنذا اتلو الخطاب الذى تلقيت منه وهو : « سيدى الرئيس .. فى استطاعتى أن أزود لجنة التحقيق بما يلقي الضوء على مسلك اللفتنانة جنرال الكونت دى مورسيرف فى «إيبروس» ومقدونيا ، فلقد حضرت وفاة على باشا ، وأعرف مصير فاسيليكى وهايدى ، ويسرنى أن أضع نفسى تحت تصرف اللجنة ، بل وأطالب بمنحى شرف سماع شهادتى .. وسوف أكون فى حجرة الانتظار بالمجلس حين تسلم هذه الورقة اليكم ! »

وبعد خمس دقائق ظهر الحارس ومعه تلك الشاهدة فنظر اليها الكونت دى مورسيرف فى دهشة ورجب .. وابتدراها رئيس اللجنة : « هل كنت شاهداً عياناً للأحداث موضوع التحقيق ؟ »

فأجاب الحساء المجهولة بذلك الصوت العذب الرنان الماثور عن الشرقيات : « نعم ، كنت فى الرابعة من عمري ، ولكن لما كانت تلك الأحداث وثيقة الصلة بحباتى فقد وعيت جميع تفصيلاتها ! »

فسالها الرئيس : « من أية ناحية كانت الأحداث وثيقة الصلة بحياتك ؟ »  
فاجابت : « اننى انا هايدى بنت على باشا والى بانينا من زوجته  
فاسيليكي ! »

فقال الرئيس وهو ينحنى لها فى احترام عميق : « هل تستطيعين اثبات  
هذه الصفة التى تدعينها لنفسك ؟ »

فقلت : « نعم أستطيع ذلك . . فهذه شهادة ميلادى موقع عليها من  
أبى وكبار موظفيه الرسميين ، وهذه شهادة معموديتى - فقد أنشأتنى أمى  
على دينها - ثم هذا خطاب مختوم من رئيس وزراء مقدونيا وابيروس . .  
وأخيراً - ولعله الدليل الأعظم - هذه وثيقة بيعى وبيع أمى الى التاجر  
الأرمنى ( الكوبر ) بواسطة الضابط الفرنسى الذى احتفظ لنفسه - فى  
مساومته الدنيئة مع الباب العالى - بـزوجة ولى نعمته وابنته ثمناً لخيانته  
أياه . . وقد باعنا بمبلغ أربعمائة ألف فرنك ! »

وأخرجت الفتاة الوثائق من حقيبة حريرية كانت تمسك بها تحت ثيابها ،  
ثم سلمتها لرئيس اللجنة !

وغامت على وجه الكونت سحابة من الشحوب المخيف ، واندفع الدم الى  
عينيه ازاء هذه الاتهامات الفاضحة التى أصفى إليها أعضاء اللجنة واجبين . .  
بينما ظلت هايدى محتفظة بهدونها الذى بدأ أقسى من كل ثورة ثم شرع  
الترجم يقرأ بصوت مسموع ترجمة وثيقة البيع ، المكتوبة بالعربية !  
ولم ينطق الكونت دى مورسرف بكلمة أثناء تلاوة هذه الوثيقة ، وقد  
تجلت تعاسته على وجهه واضحة الخطوط !

وقال الرئيس يخاطب المتهم : « ان الكونت دى مورسرف يعلم يقينا أن  
عدالة المحكمة من عدالة الله ، وهى لاتعرف غير وجه الحق ، وعلى هذا لن تدع  
خصوصك يسحقونك دون أن تتيح لك فرصة الدفاع عن نفسك ! هل تطلب  
مزيدا من التحقيقات والأدلة ؟ هل نرسل عضوين من اللجنة الى بانينا لهذا  
الغرض ؟ . . تكلم ، أجب ! »

فقال الكونت بصوت خائر : « ليس عندى ما أجب به ! »

فقال له الرئيس : « هل تعنى أن ابنة على باشا صادقة فيما تقول ؟ »

ونظر الكونت حواليه نظرة تلين قلوب الوحوش ، لكنها لم تستطيع أن  
تنسى قضائه واجبه . . وعندئذ شق سترته التى أحس أنها تخنقه ، وفر  
من القاعة كالمجنون لا يلقى على شيء !

وحين سكنت الجلبة التى أعقبت ذلك قال الرئيس يخاطب أعضاء اللجنة :  
« أيها السادة ، هل ترون ادانة الكونت دى مورسرف باعتباره قد ارتكب  
جريمة الخيانة وما يلاسها من النصرات التى تجعله غير مستحق لأن يكون  
عضواً فى هذا المجلس ؟ »

فوافق أعضاء لجنة التحقيق على ذلك بالإجماع !

## مبارزة لم تتم

حمل بوشان الى صديقه المحطم البرت دى مورسرف انباء محاكمة ابيه ، فلما انتهى من سردها رفع الشاب وجهه الذى كسته حمرة العار وغسلته الدموع ، وامسك بذراع بوشان قائلا :

— يا صديقى .. ان حياتى قد انتهت ! .. وبودى لو أعرف خصمى الذى يلاحقنى بهذه الكراهية العمياء لكى اقتله او يقتلنى ! .. وانا اعتمد على صداقتك كى تساعدنى فى هذا البحث ، اذا لم يكن الاحتقار قد اقتلع هذه الصداقة من قلبك ! »

فقال له بوشان : « اذكر لك ما أحجمت عن الاشارة اليه لدى رجوعى من يائينا ! .. لقد توجهت أثناء قيامى بتحقيق الأمر هناك الى مدير البنك الرئيسى فى المدينة كى أسأله عن معلوماته .. وما كدت أشير الى الموضوع قبل أن أذكر اسم أبيك ، حتى بادرنى الرجل قائلا : « اننى أعرف الأمر الذى جاء بك الى هنا . فقد سألتنى عنه منذ أيام عميل لى من رجال المال الباريسيين هو مسيو دانجلر »

فصاح البرت : « يا للشيطان .. آه ، انه هو حقا الذى طالما لاحق أبى بغيرته العمياء من المكآنة التى بلغها .. ثم هناك فسخ مشروع زواجى من ابنته دون سبب ، الأمر الذى يزيد المسألة وضوحا ! .. اذا كان دانجلر هو المسئول فسوف يموت أحدا قبل أن تغرب شمس هذا اليوم ! »

فقال بوشان : « اذا كنت حقا تعنى ما تقول فينبغى ان تنفذ هذا القرار فوراً . أعنى ان تذهب الآن لمقابلة دانجلر »

وبعد قليل كان خادام البارون دانجلر يعلن سيده برغبة البرت فى مقابلته ، لكن دانجلر — اذ تذكر حوادث اليوم السابق — أبى أن يستقبله .. على أن رفضه هذا لم يجده فتىلا فان البرت كان قد تبع الخادم الى قرب باب الحجرة التى يجلس فيها سيده فلم يكذب سمع كلمة الرفض حتى اقتحم الباب ، يتبعه بوشان .. فصاح به دانجلر : « سيدى .. اليس لى أن استقبل أو لا استقبل فى بيتى من اشاء ! .. ماذا تبغى منى ؟ ! »

فاجابه الشاب وهو يدنو منه : « ابغى أن اقترح لقاء فى مكان منعزل لا يزعجنا فيه أحد لمدة عشر دقائق ، هذا يكفى .. وبعدها لن يبقى على قيد الحياة سوى أحدا فقط ! »

فاجابه دانجلر وقد شحج وجهه من الغضب والخوف :



— دعنى احذر لك اذن ، فمن عادتى حيثما التقيت بكلب مسعور ،  
اقتله !.. هل هى غلطتى ان يجلب ابوك على نفسه العار ؟  
فقال البرت : « نعم ايها النذل التعس انها غلطتك !.. من الذى كتب الى  
يانينا يستفسر عن الامر ؟ »

فقال دانجلر : « انا الذى كتبت بلا شك !.. واحسب ان من حق كل اب  
يعتزم تزويج ابنته من شاب ان يستفسر ما شاء عن اسرة ذلك الشاب  
وماضيه !.. وانا اجزم لك بانه ما كان ليدور بخلدى قط ان اسأل اهل  
يانينا من تلقاء نفسى ! »

— اذن فمن الذى حثك على الكتابة ؟  
— ليس غير صديقك الكونت دى مونت كريستو  
— وهل عرف الكونت الرد الذى تلقينه ؟  
— نعم ، لقد عرضته عليه !

واحس البرت ان دمه يصعد الى مخه ، ولم يعد لديه شك فى ان الكونت  
دى مونت كريستو متحالف مع خصوم ابيه !.. ومن ثم انتحى البرت  
بصديقه بوشان جانبا وصارحه بهذه الحواطر ، فقال له هذا :

— انت على حق ! ان مسيو دانجلر لم يكن غير عامل ثانوى فى هذه المأساة  
المحزنة .. اما المسئول الاول الذى ينبغى ان تطلب منه ايضاحا فهو  
الكونت دى مونت كريستو !

وهنا التفت البرت الى دانجلر قائلا : « فلتعلم اذن ان هذا ليس فراق  
نهائيا بيننا ، الا اذا ثبت لى صحة كلامك . وانى اهب الان لاطلب ايضاحا  
عن الامر من الكونت دى مونت كريستو ! »

وعلم البرت ان الكونت موجود فى دار الاوبرا فقصده الى هناك ، ولم يكده  
ينتهى الفصل الثانى حتى اقتنح مقصورة الكونت يتبعه شاهداه : بوشان  
وشاتو رينو .. فابتدره الكونت مرحبا : « طابت ليلتك يا مسيو دى  
مورسيرف »

فاجابه البرت : « نحن لم نأت الى هنا يا سيدى كى نتبادل التحيات  
القائمة على الرياء والنفاق ، والادب الزائف أو الصداقة المزعومة .. وانما  
جئنا لنتطلب ايضاحا ! »

فقال الكونت فى هدوء : « الحق انى لست افهمك يا سيدى ، واذا كنت  
افهمك فلا مفر لى من ان انهك الى ان صوتك مرتفع أكثر مما ينبغى ..  
فانا المضيف هنا ، وانا وحدى صاحب الحق فى ان يعلو صوتى على صوت  
سواى .. فلتغادر مقصورتى حالا ! »

ثم اشار له نحو الباب ، فى اروع مظاهر الوقار !  
فاجابه البرت وهو يضرب يده بقفازه : « حسنا !.. سأعرف كيف اجعلك  
تخرج من مكنك ! »

فقال الكونت في هدوء : « مرحى ، مرحى ، أرى انك تريد أن تتشاجر معي ، لكنني سأعطيك نصيحة واحدة في هذا الصدد يحسن بك أن تعيها جيداً . انه لمن سقم الدوق ان تتظاهر بالتحدي ، فان التظاهر لا يخدع كل انسان يا مسيو دي مورسيرف ! »  
وعلى كل حال لتتفق من الآن ، ولتكن المباراة بالمسدسات ، في الساعة الثامنة ، في غابة فنسين !



وبعد حين استقل الكونت عربته ، وكان هادئاً باسمه ، فوصل الى منزله بعد خمس دقائق . . ولم يكذب يدخل حتى نادى تابعه عليا وابتدره قائلاً :  
— احضر لي مسدساتي ذات الصليب العاجي . .  
وحين احضرها له تناول احدها فصوبه نحو طبق حديدي كان يتخذه هدفاً يتدرب عليه ، وفي هذه اللحظة طرق الباب ودخل خادمه بابتستان . . وقبل أن ينطق بكلمة رأى الكونت في الغرفة المجاورة امرأة تضع على وجهها نقاباً مقبلة في اثر الخادم ، فلما ذات المسدس في يد الكونت والسيوف التي على المنضدة امامه اندفعت داخله . . واذا ذلك خرج الخادم وأغلق الباب . . فدارت المرأة بعينها فيما حولها كأنها لتستوثق من أنهما وحيدان ، ثم انحنى كمن تتأهب للركوع ، وضمت يديها في توسل يائس وهتفت في ضراعة :

— ادمون ! . . انك لن تقتل ابني يا ادمون !  
فتراجع الكونت واطلق آهة تعجب ، ثم ترك المسدس يسقط من يده وسألها :

— ما هذا الاسم الذي نطقته به يا مدام دي مورسيرف ؟  
فصاحت وهي تزيع النقاب عن وجهها : « انه اسمك ! . . اسمك الذي انا وحدي لم انسه . . ان مدام دي مورسيرف ليست هي التي تتوسل اليك الآن . . بل مرسيديس ! »  
فقال الكونت : « ان مرسيديس قد ماتت يا سيدتي ، ولست اعرف الآن امرأة بهذا الاسم ! »

فقالت : « كلا ! ان مرسيديس على قيد الحياة يا سيدي ، وهي ما تزال تذكر ، فهي وحدها التي عرفتك حين رأيتك ، بل عرفت بك بصوتك قبل أن تراك يا ادمون ! . ومنذ تلك اللحظة تتبعت خطاك وراقبتك ، وخشيت بأسك ، ولست في حاجة الى أن أسأل عن اليد التي انزلت الضربة التي يترنح تحت وطأتها الآن مسيو دي مورسيرف . . بل ان ابني بدورهم قد استنتج من تكون ، وقد عزا المصائب التي دهمت اباه الى تدبيرك ! »

— أنت مخطئة يا سيدتى ، فهى ليست مصائب ، وانما هى عقاب ! ..  
ولست انا الذى يضرب مسيو دى مورسيرف ، وانما هى العناية الالهية  
التي تعاقبه !

— ولماذا تمثل أنت العناية الالهية ؟ لماذا تذكر أنت ما ارادت هى أن يطويها  
النسيان ؟ . ماذا يهمك من أمر يائينا وواليتها ؟ . ادمون ! . أى اذى الحق بك  
فرناند مونديجو بخيائته لعلى باشا ؟

— آه يا سيدتى ، كل هذا امر يخص الضابط الفرنسى وابنة فاسيليكي  
ولا يخصنى انا ، أنت محقة في ذلك . . . واذا كنت قد اقسمت لانتقم لنفسى  
فان هدف انتقامى لم يكن الضابط الفرنسى ، أو الكونت دى مورسيرف  
وانما هو صياد السمك فرناند ، زوج مرسيديس سلييلة عشيرة كاتالان . .

فصاحت الكونتيس : « آه يا سيدى ، يا له من انتقام رهيب من أجل  
غلطة كان القدر هو المسئول عن جعلى أرتكبها . . فالواقع اننى انا المذنبة  
الوحيدة يا ادمون ، واذا كنت تبغى الانتقام من أحد فليكن انتقامك منى أن  
التى لم يكن لى من قوة الخلق ما يمكننى من احتمال غيابك ووحدى . . ! »  
— ولكن . . من كان السبب في غيابى ، وفي دخولى السجن ؟

— لست أعلم . . وصدقنى !

— اننى اصدقك يا سيدتى ، أو هذا ما أرجوه على الأقل ! . . لكنى سأذكر  
لك السبب . لقد اعتقلت وسحنت لانه في اليوم السابق لموعد زواجى منك ،  
وفي مقهى ( لاريزرف ) ، كتب شخص يدعى دانجلر خطابا أرسله الصياد  
فرناند بنفسه الى الجهة الموجه اليها !

تم مضى الكونت الى درج مكتبه ففتحه وأخرج منه ورقة حال لونها وبهت  
حبرها من طول الزمن ، فوضعها في يد مرسيديس . ولم تكن سوى خطاب  
دانجلر الى قاضى التحقيق !

فقالت مرسيديس بعد أن قراتها ، وهى تمر بيدها على جبينها المبلل  
بالعرق :

— يا للفضاعة ! . . وكانت نتيجة هذا الخطاب أن . .

— كانت نتيجته ما تعرفينه جيدا يا سيدتى ، من اعتقالى على المائدة  
وايداعى السجن . . لكنك لا تعرفين كم بقيت في السجن . لا تعرفين انى  
عشت أربعة عشر عاما في زنزانة بقصر « آيف » ، على بعد بضعة  
كيلومترات منك ! . . لا تعرفين انى قضيت تلك المدة أجدد القسم كل  
صباح على ان انتقم . . ولو انى لم أكن أعلم وقتئذ أنك قد تزوجت من  
فرناند — جلادى — وأن أبى قد مات من الجوع !

فقالت مرسيديس وهى ترتجف : « هل يمكن ذلك ؟ »

فأجابها الكونت : « هذا ما عرفته عند خروجى من السجن . . وهذا  
ما جعلنى أحرص على الانتقام لنفسى من فرناند ، وقد فعلت !

ونكست المرأة التعسة رأسها ، وتركت ذراعها تسقطان الى جانبها ،  
وتخاذلت ساقها تحتها . . ثم ركعت على ركبتيها متوسلة قائلة : « اصفح  
يا ادمون ، اصفح من اجلى انا التى ما زلت احبك ! »

فاندفع الكونت نحوها ورفعها عن الارض . . فلما جلست على مقعد  
نظرت الى وجهه المهيب الناطق بالرجولة ، وبالحزن والكراهية ولم تتكلم ،  
فسألها هو : « اتريدين الا اسحق تلك الشجرة اللعينة ، وان اتناول عن  
هدف فى اللحظة التى بلغته فيها ؟ . هذا مستحيل يا سيدتى . . مستحيل ! »  
فهتفت الام التعسة : « ادمون ! . عندما اتاديك باسم ادمون ، لم  
لا تناديني باسم مرسيديس ؟ »

— مرسيديسى ؟ ! . . حسنا يا مرسيديس ! . انت على حق ولا شك  
فما زال لهذا الاسم سحره القديم . . وانها المرة الاولى منذ زمن طويل التى  
انطق فيها به فى وضوح . . اواه يا مرسيديس ! لقد هتفت باسمك فى ظلمة  
البأس والحزن والجنون . . مرسيديس ! . يجب ان انتقم لنفسى ، فقد  
تعذبت اربعة عشر عاما . . بكيت اربعة عشر عاما ، والان اصارحك بانى  
ينبغى ان انتقم لنفسى !

— انتقم لنفسك يا ادمون ، ولكن دع انتقامك يحل بالمذنبين لا بالابرياء . .  
انتقم منه ، ومسى ، ولكن ليس من ابنى ! »

— مكتوب فى التوراة ان ذنوب الآباء تقع على الابناء حتى الجيلين الثالث  
والرابع . . فاذا كان الله ذاته قد املى هذه الاحكام على نبيه ، فلماذا اكون  
انا ارحم من الله ؟

فاستطردت مرسيديس قائلة وهى تمد ذراعها نحو الكونت :

— ادمون ! . منذ عرفتك فى البداية عبدت اسمك واحترمت ذكراك . .  
ادمون يا صديقى ! . لا تلمح الصورة النبيلة النقية التى تنعكس على مرآة  
قلبي . . لو عرفت الصلوات التى رفعتها الى الله من اجلك وقت ان كنت  
احسبك حيا ومنذ رجعت انك مت ! . . لقد ظللت عشر سنوات احلم كل  
ليلة بحلم واحد هو انك حاولت الهرب من السجن بوضع نفسك فى كفن  
سجين آخر ميت ثم القيت من قمة قصر ايف فسقطت على الصخور  
وتحطمت جمجمتك ! . . ادمون ، اقسم لك برأس ابنى الذى التمس الان  
عفوك عه انى لبثت ارى تفاصيل هذه الفاجعة المخيفة كل ليلة طيلة عشر  
سنوات ، واسمع صرختك المروعة ورأسك يصطدم بالصخر ، فكنت  
استيقظ من نومى ارتجف من الفزع وانا احس بقشعريرة كالبرد . .  
وهكذا ترى يا ادمون انى بدورى قد قاسيت آلاما مروعة . . والان هانذا  
ارى من احببت على اهبه ان يقتل ابنى ! »

فاهت مرسيديس بهذه الكلمات فى لهجة اسى وبأس مريرة ، لم يستطع  
الكونت دى مونت كريستو ازاها ان يجمع زفرة حسرة موجعة !  
ان الاسد روض نفسه والمنتقم قد هزم ! . . ولم يلبث ان قال لها : « ماذا

تطلبين منى ؟ . حياة ابنك ؟ . حسنا ، انه سوف يعيش ! »  
وهنا اطلقت مرسيديس صيحة جعلت الدموع تلمع في عيني الكونت ،  
وقالت وهى تمسك بيده وترفعها الى شفيتها .  
- شكرا ! شكرا لك يا ادمون ! الآن حققت ظنى فيك ، فى الرجل الذى  
احببت على الدوام . . دعنى اعترف بذلك الآن !  
- ليس فى ذلك من بأس على كل حال ، فان ادمون المسكين لن يعيش  
طويلا كى يستمتع بحبك . ان الموت لن يلبث ان يعيده الى القبر ، شبحا  
يختفى فى الظلام !  
- ما تعنى يا ادمون ؟

- اعنى اننى ينبغى ان اموت ، فما احسبك تفترضين ان فى مقدورى  
مواجهة الحياة لحظة واحدة بعد ان اهنت امام الملأ من فتى سوف ينتشى  
بصفحى كما لو كان انتصارا له ! . . ان اول شيء احببته بعدك يامرسيديس  
هو كرامتى ، وتلك هى القوة التى جعلتنى أسمو على الآخرين . . والآن جئت  
انت فسحقتنى بكلمة واحدة منك . . لذلك ينبغى ان اموت !  
- لكنك تعدنى بشرفك ان المبارزة لن تتم ، اليس كذلك ؟  
- بل انها ستتم ، ولكن بدلا من ان يسيل دم ابنك على الارض ، سوف  
يسيل دمي أنا !

فشهقت مرسيديس ، واندفعت نحو الكونت ، لكنها توقفت فجأة  
وقالت : « ادمون ! . ما دمت قد نجوت من كل ما مر بك ، وما دمت قد  
رايتك ثانية على قيد الحياة ، فهناك اذن اله تعملو ارادته ارادتنا . . وأنا  
أومن به من صميم قلبي ، وفى انتظار معونته اركن الى وعدك بأن ابنى  
سيميش ، اليس كذلك ؟

فأجاب الكونت وقد ادهشه تقبل المرأة لتضحيته المميته دون تردد :  
- نعم يا سيدتى ، سوف يعيش !

- ادمون لم تبق لى غير كلمة واحدة أقولها لك : لئن كنت ترى أن وجهى  
قد ذبل ، وعيني قد انطفأتا ، وجمالى قد ذهب ، فلم تعد مرسيديس  
تشبه المخلوقة التى كانتها فيما مضى . . فانك سترى ايضا ان قلبى لم  
يتغير . . فوداعا اذن يا ادمون ، ليس لى ما اطلبه من السماء اكثر مما  
حببتى به . لقد رايتك ثانية يا ادمون ، ووجدتك نبیلا عظیما كهدى بك  
فى الماضى . . فوداعا يا ادمون ، وداعا . . وشكرا ! »

. . ثم فتحت مرسيديس باب حجرة المكتب واختفت قبل ان يفیق  
الكونت من الصدمة الموحجة التى أحدثها له حبوط انتقامه المرموق !  
وحین دقت ساعة الانفاليد ایدانا بحلول الساعة الاولى بعد الظهر ، كانت  
عربة مدام دى مورسيرف تتعد بها فى طريق الشانزليزيه . . بينما رفع  
الكونت دى مونت كريستو رأسه وهتف محدثا نفسه كمن يفیق من حلم :

— بالى من غبى! .. كيف لم امزق قلبى وعواطفى فى هذا اليوم الذى اعترمت فيه ان انتقم لنفسى؟



وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى مضى الكونت وشاهده مكسمليان موريل الى مكان المبارزة ، حيث تقدم مكسمليان نحو «بوشان» و « شاتو رينو » شاهدى خصمه ، فانجنى الثلاثة بعضهم لبعض فى ادب ، ثم وصل البرت دى مورسيرف فقفز من جواده على بعد خطوات وانضم اليهم !

كان البرت شاحب الوجه غائر العينين ، شأن من لم يدق طعم النوم طيلة الليل .. وبعد ان شكر الحاضرين على تجشمهم عناء الحضور قال :

— عندي كلمة اريد ان اقولها للكونت دى مونت كريستو امامكم جميعا ! فتقدم الكونت منه فى هدوء واتزان يتناقضان مع اضطراب خصمه ، ووقف الاثنان تفصل بينهما ثلاث خطوات .. فقال البرت فى صوت مختلج :

— سيدى الكونت! .. لقد وجهت اليك اللوم على تصرفك بصدد مسلك مسيو دى مورسيرف فى « ابيروس » .. وكان من رايى بصرف النظر عن آثامه التى ارتكبها ان ليس لك حق فى مؤاخذته عليها! .. لكنى وقفت بعد ذلك على ما بدل رايى واقنعنى بانك تلك هذا الحق .. وليس غدر فرناند مونديجو بعلى باشا هو الذى من اجله التمس لك العذر ، وانما هو غدر الصياد فرناند بك انت ، والتعاسة البالغة التى لحقت بك بسببه .. وهانذا اقول علانية وعلى رؤوس الاشهاد انك كنت محقا فى الانتقام لنفسك من أبى .. وانى — بوصف كونى ابنه — اشكرك لانك لم تقس عليه اكثر مما فعلت ! »

ومد الكونت كريستو يده الى البرت وقد تندت عيناه بالدموع ، فصافحه هذا فى احترام وتوقير اقرب الى الخشوع! .. بينما غمغم الكونت : « حقا ان الله موجود .. الان فقط اكتمل ايمائى بانى مبعوث من السماء للانتقام ! »



عاد البرت الى منزل أبيه فى شارع هلدن \* وبعد ان القى نظرة ساخرة على كل أسباب الترف التى جعلت حياته منذ الطفولة سعيدة سهلة .. بدأ يجمع كل حاجياته مبتدئا بصورة أمه ، وأسلحته ، وتحفه ، ثم ترك فى أحد الأدراج المفتوحة جميع النقود التى كانت فى جيبه ، وكشفا بكل الاشياء التى تركها فى الخزان \* وحين فرغ من ذلك سمع صوت عربة تقف أمام الباب ، ورأى أباه يستقلها ثم تسير مبتعدة به .. فاستدار



« ووقف الاثنان تفصل بينهما ثلاث خطوات »

الابن عن النافذة واتجه نحو حجرة أمه • وكأنما تحرك الاثنان بوحى فكرة واحدة ، فقد وجد أمه تفعل مثلما كان يفعله هو منذ برهة ! • رأى كل ثيابها ومجوهراتها ونقودها مرتبة فى أدراجها ، وهى تجمع مفاتيحها • • ففهم ألبرت مغزى ذلك ، وهتف بأمه وقد كاد تأثره يعجزه عن الكلام « أوه يا أمى ، لا يمكن أن تكونى اعتزمت مثل ما اعتزمت • • لقد جئت لاودع بيتك ، وأودعك ! »

فأجابته قائلة : « أنا أيضا ذاهبة ! • وقد وطنت نفسى على أنك سترافقنى فهل ترانى خدعت فى ظنى ؟ »

— سأنفذ جميع رغباتك يا أمى العزيزة ، وما دام عزمك قد استقر على هذا القرار فلننصرف بحكمة • لقد خرج أبى منذ هنيهة ، والفرصة الآن سانحة كى نذهب دون أن نقدم له ايضاحا !  
— أنا على أتم استعداد يا ابنى !

وخرج ألبرت ليستدعى عربة ، وقد أعد فى ذهنه خطة الانتقال الى مسكن مفروش متواضع فى شارع «دى سانت بير» • • وحين عاد بالعربة وهبط منها لينادى أمه اقترب منه شخص مجهول وسلمه رسالة قائلا « انها من الكونت » ثم اخفى « برتوشيو » من حيث أتى !

ولم يكده الشاب يقرأ الرسالة حتى لمعت فى عينيه الدموع ، ودون أن ينطق بحرف سلم الرسالة الى أمه ، فقرأت فيها : « عزيزى ألبرت • • لقد اكتشفت خططك ، وأرجو أن أقنعك بوجهة نظرى • أنت حر فى أن تغادر بيت أبيك وتأخذ أمك الى بيتك ، ولكن أذكر يا ألبرت أنك مدين لها بأكثر مما يستطيع قلبك المسكين النبيل أن يبذل لها • فاحفظ بالصراع لنفسك واحتمل جميع آلامك ، ولكن جنب أمك محنة الفقر التى لا بد سستقترن بمحاولتك ، ولو فى البداية • • فهى لا نستحق شيئا من النكبة التى حلت بها اليوم ، والله لا يحب أن يتألم البرىء من أجل المذنب ! • • أنا أعلم انكما قد اعتزمتما مغادرة منزل شارع دى هيلدر دون أن تأخذا شيئا من أموالكما أو متاعكما • لا تسألنى كيف علمت بذلك ، وانما حسبك أنى علمت به وكفى ! • • »



وكان الكونت دى مورسيرف قد توجه بمرتبته الى دار الكونت دى مونت كريستو ، حيث أمر رب البيت بادخاله الى الصالون • • وفيما كان هذا يذرع الحجرة للمرة الثالثة ، دخل مضيفه ، قائلا فى هدوء :

— أهذا أنت يا مسيو دى مورسيرف ؟ حسبت انى أخطأت السمع !

فقال دى مورسيرف وشفته تلتججان فى انفعال عاقه عن الاستمرار فى الكلام : « نعم ، انه أنا ! »

— وهل لى أن أعرف سبب تشرفى بزيارتك فى هذه الساعة المبكرة ؟



— جئت لأقول لك : اننى بدورى أنظر اليك باعتبارك عدوى ٠٠ جئت لأقول لك انى أمقتك بوحى الغريزة ، بحيث يخيل الى أننى طالما عرفتك ، وطالما كرهتك ٠٠ وبالاختصار ، ما دام شباب اليوم لن يتبارزون ، فقد بقى علينا أن نفعل ٠ هل أنت مستعد ؟ ٠٠ أنت تعلم أننا سننزل نقتتل حتى يموت أحدا !

فأوما الكونت دى مونت كريستو موافقا ، وواصل دى مورسيرف كلامه فقال :

— اذن فلنبدا ! ٠ لسنا فى حاجة الى شهود !  
— هذا صحيح ، فنحن نعرف أحدا الآخر تمام المعرفة ٠٠  
— بل بالعكس ، فنحن لا يكاد أحدا يعرف عن الآخر شيئا يذكر !  
وهنا شحب وجه الكونت دى مونت كريستو شحوبا مخيفا ، ولمعت عيناه ببريق كاللهب ، ثم اندفع نحو غرفة مجاورة وعاد بعد لحظات مرتديا سترة لبحار وقبعة ينسدل من تحتها شعره الأسود الطويل ، وقد عقد ذراعيه فوق صدره وتقدم من غريمه شامتا ، بينما اصططت أسنان هذا وارتجفت قدماه تحته ، أخذ يتراجع فى فزع حتى اصطدم بمنضدة فاستند اليها ٠٠ بينما صاح به الكونت دى مونت كريستو :

— فرناند ! ٠ من بين المائة اسم التى أطلقها على نفسى لست فى حاجة الى أن أذكر لك غير اسم واحد ، لعلك عرفته الآن من هيئتي ٠٠ فأننى برغم الأحزان والعذاب الذى قاسينته أطالعك اليوم بوجه ترد اليه سعادة الانتقام والنشفي شبابه القديم ! ٠٠ وجه لا بد أنك رأيته مرارا فى أحلامك منذ زواجك من مرسيديس ، خطيبتي !

ومد الجنرال يديه مستنجدا من الرعب الشديد الذى اعتراه ، ومضى يتلمس الجدار حتى بلغ الباب فانسحب منه وهو يطلق هذه الصرخة اليائسة : « ادمون دانتيس ؟ ! » ٠٠ وما بلغ الباب الخارجى حتى ارتمى بين ذراعي حوذه الذى عاونه على ركوب العربى ، وعاد به الى البيت !  
٠٠ وأمام البيت كانت تقف عربى متواضعة — لم تر من قبل أمام بيت نبيل مثله — فدلّف الجنرال الى الداخل ، بينما كانت زوجته وابنه يهبطان السلم ، والفتى يخاطب والدته :

— تشجعى يا أماه ، فلم يعد هذا بيتنا !  
فاختفى الأب وراء احدى الستائر فى آخر لحظة وهو يشهق شهقة مروعة لم يصدر مثلها يوما من صدر انسان ٠٠ شهقة رجل تهجره زوجته وابنا فى يوم واحد !

وحين بلغ مخدعه أطل ليلقى نظرة أخيرة على العربى وهى تبتعد حاملة أعز من له فى الوجود ٠٠ وفى اللحظة التى كانت العربى تختفى فيها عن ناظريه سمعت طلقة نارية تصاعد على أثرها الدخان من خلال ثغرة فى زجاج النافذة أحدثها الانفجار !

## سم ينقذ من سم

كان مكسمليان موريل قد عاد من مكان المباراة الى منزل أسرة فيلفور ، حيث كانت فالتين فى انتظاره فى غرفة جدها ٠٠ وأثناء حديثها عن اعتزام جدها الانتقال بها الى مسكن مستقل بسبب عدم ملائمة طقس ذلك الحى لصحتها ، قالت له :

- الواقع أنى فقدت شهيتى وصرت أحس كأن معدتى تجاهد كى تألف شيئاً ما !

فسألها مكسمليان : « وأى علاج تستعملين لمداواة هذه الحالة ؟ !

- أبتلع كل صباح ملعقة صغيرة من المزيج الذى أعد من أجل جدى ٠٠ أعنى أنى بدأت بملعقة واحدة والآن أتناول أربع ملاعق ٠٠ وهو مزيج مر الطعم الى أقصى حد !

شحب وجه نوارتييه وهو يصغى الى كلام حفيدته ، كأنما أدرك خطورته ، فأشار لها كى تحضر القاموس لأنه يريد أن يتكلم ٠٠ وفى تلك اللحظة اندفع الدم الى وجنتى الفتاة ، وصاحت وهى تترنح قليلا : « أوه ، هذا غريب ! لست أدرى ، لكان الشمس تسطح فى عيني ! »

واستندت الى النافذة ، فهرع مكسمليان نحوها منزعجا ، لكنها ابتدرته مطمئنة : « لا تقلق ، انه عارض طارىء ، وقد زال ٠٠ ولكن ، اليس هذا صوت عربة تقف أمام الباب ؟ »

وفتحت الباب وأطلت ، ثم قالت : « نعم ، انها مدام دانجلر وابنتها ، جاءتا لزيارتنا ٠٠ الى اللقاء ، فانه ينبغى أن أذهب قبل أن ترسلا فى طلبى ٠٠ ابق مع جدى يا مكسمليان ، والى اللقاء ! »

لبث الشاب يراقبها وهى تهبط السلم المؤدى الى جناح مدام دى فيلفور وجناحها هى ٠٠ وما كادت تنصرف حتى أشار الشيخ المشلول الى مكسمليان كى يحضر القاموس ويترجم اشاراته ، وكان الشاب قد عرف طريقة التفاهم معه هكذا من فالتين

وقال نوارتييه للشباب : « احضر الابريق والكوب اللذين فى غرفة فالتين ! »

فدق الشاب الجرس للخدام ، وأمره باحضار الاتنتين ، وكانتا فارغتين تماما ، فسأله سيده :

— كيف ذلك فالتنتين قالت انها لم تشرب غير نصف محتويات الابريق؟  
وأجاب الخادم بأنه لا يدري ، ولعل الخادمة أفرغت الباقي  
وأشار اليه سيده أن يسأل الخادمة ، فأوما مطيعا ثم انصرف وعاد بعد  
حين يقول : « كانت الانسة دى فيلفور تعبر غرفتها الى غرفة زوجة أبيها ،  
حين أحسست بالظما فشربت ما تبقى فى القدح ، أما الابريق فقد أفرغه  
السيد ادوارد كى يصنع بحيرة تمرح فيها بجعاته ! »  
وفى أثناء ذلك كانت مدام دانجلر تنهى الى مضيفتها بشرى خطبة الأمير  
كافالكانتي لابنتها ، وأثناء الحديث التفتت الضيفة الى فالتنتين قائلة :  
« ماذا بك يا ابنتى ؟ لقد تعاقب الشحوب والاحمرار على وجهك أربع مرات  
فى دقيقة واحدة ؟ »

وانتهزت مدام دى فيلفور الفرصة فقالت للفتاة : « يحسن أن تذهبي  
لتستريحي يا فالتنتين ، فانك لست على ما يرام ، ولتشربى قدحا آخر من  
الماء ، فهو ينفعك ! »  
وعلى أثر انصرافها قالت المرأة لمضيفتها : « ان أمر هذه الفتاة يزعجنى  
وأخشى أن تكون مصابة بمرض خطير ! »

وأثناء عودة فالتنتين الى حجرة جدها غامت على عينيها سحابة جعلتها  
تنزلق من السلم وتسقط على الارض ، فلحق بها مكسمليان ورفعها بين  
ذراعيه .. وطفرت من عيني نوارتيه صرخة رعب شلت على فمه .. ثم أقبل  
دى فيلفور فهرع نحو ابنته وأخذها بين ذراعيه وصاح قائلا : « طيب ..  
طبيب .. مسيو دافورنى .. أو لعل الأفضل أن أدعوه بنفسى » وخرج  
على عجل ، بينما خرج مكسمليان من الباب الآخر !

وحين عاد مسيو فيلفور وبصحبه الطبيب ، كانت فالتنتين قد عادت الى  
وعبها ، لكنها ظلت عاجزة عن الحركة أو الكلام .. وبعد أن فحصها وكتب  
لها العلاج مضى الى غرفة نوارتييه وأغلق الباب وراءه .. ثم قال له :  
« أعتقد أن اليد التي أصابت باروا هي التي تهاجم فالتنتين الآن ؟ »  
فأوما موافقا ، ثم ابتسم وهو ينظر الى زجاجة المزيغ الذى يتناول منه كل  
صباح .. فهتف الطبيب :

— حسنا ! .. فهمت يا سيدى .. انك جعلت جسمها يألف هذا السم  
بالتدريج قبل أن تعطى الجرعة القاتلة .. ولولا هذا الاحتياط لماتت فالتنتين  
قبل أن تتمكن من اسعافها !

وفى الوقت الذى عاد فيه الطبيب الى مخدع فالتنتين ، برفقة أبيها ،  
استأجر راهب ايطالى يدعى السنيور جياكومو بوزوني المنزل الملاصق  
لبيت فيلفور !



فى الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم نفسه كان البارون دانجلر

يذرع حجرة صالونه في قلق ظاهر ، في انتظار دخول ابنته التي طلبت أن تتحدث اليه على انفراد في تلك الغرفة بالذات . ولم تلبث أوجيني أن دخلت مرتدية ثوبا من « الساتان » الأسود ، وقد صفقت شعرها وأمسكت فقاظيها كما لو كانت ذاهبة الى دار الأوبرا !

وسألها أبوها : « ماذا تريدان أن نقول لى ؟ »

فأجابته فى لهجة حازمة جعلته يقفز من مقعده كالمدوغ :

— أريد أن أقول باختصار : اننى لن أتزوج الكونت أندريا كافالكانتى !

— ماذا ؟ اصغى الى يا ابنتى ؛ ولسوف أحذرك بالصراحة التى تحببها .

اننى حين طالبتك باتهام هذا الزواج كنت أنظر الى هدف خطير من ورائه !

— تعنى أن مركز المالى مهدد ؟

— نعم يا نيتى ، وأنا أريد تزويجك من الكونت كافالكانتى لانه سوف

يضع بين يدي ثروته الطائلة البالغة ثلاثة ملايين من الجنيهات

فقالت الفتاة باحتقار : « هذا عظيم ! »

— انت تخشين أن أحرملك من هذه الثروة ؟ ولكن هذه الملايين الثلاثة

سوف تدر ربعا قدره عشرة ملايين أو اثنا عشر مليونا ، بفضل مشروع

امتياز للسكك الحديدية حصل عليه بالاشتراك مع زميل لى ٠٠ ومطلوب

منى أن أودع خلال أسبوع أربعة ملايين ، مقدار حصنى فى المشروع ، على

أن زواجك نفسه من هذا الثرى كفىل بأن يرد لى سمعتى المالية

— هل تعدنى بأن تسترد مركز المالى باستغلال هذه السمعة ، دون أن

تمس مبلغ الثلاثة الملايين ذاته ؟ وأن تدفع مهرى البالغ نصف مليون فرنك

عند الزواج ، وأن تترك لى حريتى الشخصية كاملة ؟

— أعدك بذلك !

— إذن سأتزوج مسيو كافالكانتى !

وحددت الساعة التاسعة من مساء اليوم نفسه موعدا لتحرير عقد الزواج ،

فارتدت العروس ثوبا بسيطا أنيقا ، بينما جلست أمها تثرثر مع بوشان

وشاتو رينو ودبراى ٠٠ وحلس دانجلر يتحدث الى نفر من رجال المال

المدعويين عن مشروعات الضرائب التى يعتزم تنفيذها اذا عين وزيراً ٠٠ ثم

تحدث الكونت أندريا كافالكانتى عن ألوان الترف التى قرر ادخالها على

الاجتماعات الرفيعة بفضل ايراده السنوى الضخم !

وفى الساعة التاسعة أعلن وصول الكونت دى مونت كريستو ، وقد

دخل بينما كانت مدام دانجلر تضع توقيعها على عقد زواج ابنتها ، قائلة

لصديقتها مدام دى فيلفور : « أليس من سوء الحظ أن يحول حادث سرقة

دار الكونت دى مونت كريستو ، دون حضور صديقنا مسيو دى فيلفور ؟ »

وهنا قال الكونت دى مونت كريستو ، الذى كان قليل الكلام بحيت

كانت كل كلمة ينطق بها تلفت الاسماع :

.. آخني أن اكون أنا المتسبب بلا قصد في اعاقه مسيو فيلفور عن الحضور  
.. فلقد عثر خدمي اليوم على سترة السارق الذي قتله شريكه عند هبوطه  
من نافذة داري ، وكانت قد فقدت أثناء فحص رجال البوليس والاسعاف  
لجراحه .. وبتفتيشها وجدت فيها ورقة تتضمن خطابا موجها الى البارون  
دانجلر !

وهنا هتف دانجلر منعجبا : « لي أنا ؟ ! »  
فقال الكونت : « نعم ! ولما كانت هي والسترة هما الدليل المادي في  
الجريمة فقد أرسلتهما الى قاضي التحقيق ، حشية أن تكون هناك مؤامرة  
مدبرة ضدك ! »

فقال-دانجلر : « هذا معقول !.. ألم يكن السارق القتييل قاتلا من  
« خريجي » الليمان ؟ »

.. نعم .. وهو يدعى « كادروس » !  
وهنا شحب وجه دانجلر قليلا ، بينما تسلل الكونت أندريا كافالكانتى  
في سكون الى خارج الغرفة .. فقال الكونت دي مونت كريستو :  
.. أرى أن قصتي قد أثارت جوا من الانزعاج ينبغي الاعتذار بسببه  
للبارونه والآنسة دانجلر .. فهل لكم أن تتابعوا اجراءات العقد ؟  
وكانت البارونة قد فرغت من التوقيع ، وردت الريشة لمسجل العقود ،  
فصاح هذا مناديا : « الامير كافالكانتى .. الامير كافالكانتى .. أين سمو  
الامير ؟ »

وفي تلك اللحظة اقتحم الصالون نفر من جنود البوليس يتقدمهم ضابط  
اقترب من البارون دانجلر في حركة مريبة ، فأطلقت البارونة صرخة  
وسقطت مغشيا عليها ، بينما بدا على وجه دانجلر رعب شديد !

وتساءل الضابط البوليس : « أيكم يا سادة يدعى أندريا كافالكانتى ؟ »  
فساد المكان هرج ومرج ، وراح الكل يبحثون عن الامير المختفي ، بينما  
هتف دانجلر مستفسرا : « لماذا تبحثون عنه ؟ »

فأجاب الضابط : « انه مجرم هارب من ليمان طولون ، وهو متهم الآن  
بقتل زميله السابق في الليمان ، المدعو كادروس ، أثناء فراره من دار  
الكونت دي مونت كريستو ! »  
لكن أندريا كان قد لاذ بالفرار .. !



دقت الساعة الحادية عشرة ، وفالنئين راقدة في فراشها تغالب الحمى ،  
بعد أن انصرفت الممرضة منذ عشر دقائق .. وكانت الحمى قد هبت  
للمريضه ألوانا من الإخيله والهواجس والرؤى المتتابعة المخلعة .. وكان  
المصباح يرسل صوءه الضئيل المرعش ، الذي يرسم أشكالا وأشباحا  
تزيد في هواجس المحموعة .. وفجأة خيل الى فالنتين أنها ترى باب غرفتها  
يفتح على مهل في سكون ، ويتسلل منه الى الداخل شبح يعترب من فراشها

متلصصا . وتذكرت فالننين أن خير وسيلة لتبديد تلك الرؤى هي أن تشرب جرعة من الدواء الذى أعده لها الطبيب ، فمدت يدها تتلمسه . . . وفى هذه اللحظة هرع الشبح نحوها كأنما ليمنعها من أن تشرب ، فاستردت هي ذراعها مدعورة ، بينما تناول هو الكأس فسكب فيها ملعقة من دواء كان معه . . . ثم همس لها :

— الآن يمكنك أن تشربى !

كادت فالننين تصرخ مدعورة ، لولا أن وضع الشبح يده على فمها ، فغمغت وقد تبينت شخصيته . « الكونت دى مونت كريستو ؟ »

فأجابها . « اصغى الى ، أو بالأحرى انظرى الى شحوب وجهى واحمرار عيني . . . اننى منذ أربع لبال لم يغمض لى جفن ، كى أسهر على حمايتك ، من أجل مكسملين ! »

فغمغت فالنتين وقد عاودها الاطمئنان : « هل حدثك بما كان ؟ » فقال الكونت لها : « نعم لقد ذكر لى كل شيء ، وأكد أن حياتك عنده آمن من حياته ، وقد وعدته بأنك ستعيشين ! »

— تقول انك سهرت على حمايتى . . . لكنى لم أرك !

— قضيت معظم وقتى مختبئا خلف هذا الباب ، الذى يقود الى المنزل الملاصق ، وقد استأخرته خصيصا لهذا الغرض . . . وأثناء مراقبتى الطويلة رأيت الاشخاص الذين يزورونك ، والطعام والشراب الذى يعد لك . وكنت كلما وضع لك سم فاقل اسندلت به سرايا صحيا منعشا !

— سم قاتل ؟ . . ما هذه الاشياء المرعبة التى تحدثنى عنها ؟

— لم تكونى أولى من نعرض لهذا الخطر هنا . . هل نسيت ما حدث للمركيز والمركيزة دى سان ميران ، ولذلك الخادم الأيمن ( باروا ) . . ؟ لقد سقطوا جميعا صرعى بالطريقة نفسها ! . . وكان المنتظر أن يلقي المسيو نوارتييه مثل هذا المصير فيموت بالسم أيضا ، لولا أن العلاج الذى يتعاطاه منذ ثلاث سنوات أعطاه مناعة ضده !

— يا للسما . . اذن فهذا هو السبب الذى جعل حدى يسقيني من دوائه طيلة الشهر الاخير ؟

— انه دواء مر المذاق ، ليس كذلك ؟ اذن فجدك يعلم أن قاتلا يعيش تحت سقف هذا البيت ، ولعله يرنا فى شخصه . . وقد حرص على أن يحضنك — وأنت محبوبته — ضد ذلك السم . ولكن حتى هذا التحصين لم يكن لينفذك من سلاح آخر مميت اسنعمل ضدك خلال هذه الايام الاربعة الأخيرة !

— ولكن من يكون هذا القاتل ؟

— ألم ترى أحدا يدخل عرفتك أثناء الليل ؟

— لقد طالما رأيت أشباحا تقترب ثم تتعد ، لكنى حسبتها من خيالات الحلم ، كما حسبتك أنت فى البداية !

بـاذن تذرعى بكل شجاعتك ، وارهنى سمعك لكل صوت ، وراقبى كل شىء جيداً خلال تظاهرك بالنوم .. وعندئذ ترين كل شىء !  
فأمسكتى فالتنين بيد الكونت وهمست : «أعتقد أنى أسمع صوتاً يقترب ..  
أتركنى الآن ! »  
— الى اللقاء اذن

ومشى الكونت على أطراف أصابعه الى الباب الذى دخل منه ، فاخفى وراءه .. ومرت عشرون دقيقة ، بطيئة ، رهيبة ، ثم فتح باب غرفة فالتنين دون صوت .. ولحمت شبحاً يقترب من فراشها ، ثم يهمس : «فالتنين ! ..  
فالتنين ! » فلما لم تجب ، سمعت سائلاً يصب فى الزجاجاة التى تشرب منها .. واذا ذاك بذلت جهدها كى تفتح أجفانها قليلاً وتنظر من خلالها ..  
فراة امرأة تصب فى الماء سائلاً من قارورة معها .. ولم تكن هذه المرأة سوى زوجة أبيها ، مدام دى قيلفور !

ولم تفق فالتنين من ذهول المفاجأة الذى استمر دقائق بعد خروج المرأة الاثمة الا حين فتح الباب المقابل فى سكون ودخل منه الكونت دى مونت كريستو وقال لها : « تنزعجى من أى شىء يحسدك لك ، حتى لو شعرت بأنك فقدت النظر أو السمع أو الوعي .. أو حتى لو صبحوت فوجدت نفسك داخل نعش مغلق ! .. وانما قولى لنفسك عندئذ : ( هناك صديق ، بمثابة أب ، يعيش من أجل سعادتى وسعادة مكسمليان ، وهو سيحمينى ) .. ذلك لاننى وحدى من يستطيع انقاذك ، وسأفعل ! »  
ثم أخرج من جيبه حبة فى حجم الحمصة وقدمها لها ، فابتلعها ..  
واذا ذاك قال لها : « الآن يا طفلى المحبوبة ، وداعاً الى حين » .. ثم اختفى !  
وفى الصباح اسنبطأت الممرضة يقظة المريضة فدخلت لتوقظها .. فلما رأتها هامدة ، بيضاء الشفتين صرخت مدعورة .. فدخل على صوت صرختها الطبيب دافرينى وقال : « ماذا ؟ أهى الاخرى أيضاً ؟ رباه ! »



هبط الكونت دى مونت كريستو من عربته أمام منزله البارون دانجلر ، واستقبله هذا بابتسامة حزينة قائلاً :  
— أجنث تعزىنى .. لقد تكاثرت المصائب فى بيتى ، فقد فرت ابنتى وهجرتنى ، بعد فضيحة كافالكانتى !  
فقال الكونت فى هدوء : « ان أى حادث من النوع الكفيل بتحطيم من لا يملك كنزاً غير ابنته ، يصبح محتملاً فى نظر من يملك الملايين ! »  
فقال البارون دانجلر : « اذا كان الثراء يجلب التعزى فينبغى أن أعزى فانى ثرى .. وفى اللحظة التى دخلت فيها كنت قد فرغت من توقيع صكوك بمبلغ خمسة ملايين من الفرنكات ! »

فسأله الكونت : « هل هي مستحقة الدفع فوراً ؟ » واذ أوماً موافقاً قال له :

— اذن سأقبل المغامرة ! لقد فتحت عنديك حساباً بستة ملايين من الفرنكات ، لم أسحب منها حتى الآن الا تسعمائة ألف فرنك ، أى أن لى عندك خمسة ملايين ومائة ألف ، لكننى سأأخذ هذه الصكوك التى تساوى خمسة ملايين وأعطيك ايضاً بأنى تسلمت كل حسابى ! ٠٠ انى فى حاجة الى هذا المبلغ اليوم !

وسارع الكونت الى وضع الصكوك فى جيبه ، فبدأ الفرع على دانجلر وقال له : « ولكن ٠٠ ولكنى مدين بهذا المبلغ لجهة ما ، وقد وعدت بدفعه اليوم ! »

— اذن تدفع لى المبلغ بأية وسيلة أخرى غير هذه الصكوك ٠٠ ولو أنى كنت سأفأخر بأن بنك دانجلر قد دفع لى خمسة ملايين من الفرنكات فى اللحظة التى طلبتها فيها ٠٠ انه أمر يدعم الثقة فيك !

وطافت بذهن دانجلر فكرة مفاجئة ، فرضخ لطلب الكونت وفيما كان الكونت دى مونت كريستو يتأهب للانصراف دخل ممثل الجهة التى تدين دانجلر بالخمسة الملايين ، فقال له البارون :

— لقد سبقت الكونت دى مونت كريستو فأخذ من حسابه مبلغ خمسة ملايين من الفرنكات ، ولو أنى حررت فى يوم واحد صكوكاً بعشرة ملايين لأحدث ذلك هزة فى السوق ، فهل لك أن تحضر ظهر غد ؟

فوافق الرجل على ذلك وانصرف ، بينما همس دانجلر لنفسه :

— فى هذا الموعد سوف أكون فى مكان بعيد !

أما فالتين فدفتن فى مقبرة «الابلاشيز» ، وأغرق أبوها نفسه فى العمل ، لكنه عجز مع ذلك عن أن ينساها ٠٠ فدخل ذات يوم جناح زوجته ، وكانت جالسة تقلب بعض الصحف والمجلات ، وقد ارتدت ثيابها وقفازيها تأهباً للخروج ٠٠ وبادر فيلفور فأحكم اغلاق الباب بالرتاج ثم وقف بين زوجته وبين الباب ، فسألته وهى تحاول أن تقرأ أفكاره : « ماذا هناك ؟ »

فقال لها : « سيدتى ٠٠ أين تحتفظين بالسهم الذى تستعملينه ؟ »

فانطلقت من المرأة صرخة أو شهقة مكتومة ، وشحب وجهها شحوب الأموات ، وأجابته متلعمة : « انى ٠٠ انى لا أفهم ماذا تعنى ! »

— لقد سألتك أين تخفين السهم الذى قتلت به صهرى وحماتى وخادم أبى ثم ابنتى ؟

— ما هذا الذى تقول ؟

— ليس لك أن تسألنى بل عليك أن تجيبى فقط !

— هل أجييب القاضى أم الزوج ؟

— القاضى يا سيدتى ٠٠ القاضى !



فاخعت المرأة وجهها بين يديها وغمغمت : « أواه يا سيدى ٠٠! أتوسل اليك ٠٠ لا تصدق الظواهر ! »

— يا لك من جبانة ! لقد طالما لاحظت حين أمثالك من الذين يقتلون بالسم . ولكن فأتك وأنت نعددين سمومك وتزيلين آثارها ببراعة تبلغ حد الاعجاز ، أن تقدرى النهاية التى سوف تقودك اليها آثامك . ولكن لعلك قد احتفظت ببيعة من سمك العجيب الفعال كى ينجيك من العقاب الذى تستحقينه ٠٠!

فركعت الزوجة النساب على ركبتيها ومدت اليه يدها مناشدة، فقال لها: « أرى انك تعترفين بجرائمك، لكن الاعتراف للقاضى فى آخر لحظة لا يخفف من شدة العقوبة . على أن زوجة القاضى الاول فى العاصمة ينبغي ألا تموت على المنسفة فتتلطخ بصرة واحدة سمعة زوجها وابنها . سيدتى ، انه لنصرف حكيم منك أن تموتى بذلك السم نفسه !

وارنمت عند قدمي زوجها وهى تطلق ضحكة هسنيرة مخيفة ، فقال لها وهو يهم بمغادرة الغرفة : « فكرى فى الأمر يا سيدتى ، وسأخرج الآن فادا وجدت عند عودتى أن العدالة لم تأخذ مجراها فسوف أبلغ ضدك بلسانى . وأقبض عليك بيدى ! »



تمكن البوليس من القاء القبض على المجرم الهارب اندريا كافالكانتى - أو « بنديتو » - ثم قدم للمحاكمة بفضل الجهود التى بذلها مسير دى فيلفور قاضى التحقيق، وقد افتن فى صياغة تقرير الاتهام بأسلوبه القوى الصارم . وفى الجلسة نودى المسم وتليت عليه النعمة ثم سأل القاضى :  
— اسمك ولقبك ؟

— اسمح لى يا سيدى أن أجيب عن أسئلتك بغير الرنيب التقليدى المنع . والا فلن أجيب على الإطلاق !

فنظر القاضى الى المحلفين فى دهشه . ونظر هؤلاء بدورهم الى فيلفور ٠٠ بينما ظل المتهم محتفظا بهدوء عجيب !

— سنك ؟

— سوف أبلغ الحادية والعشرين بعد أيام قلائل ، فقد ولدت ليسة ٢٧ سبتمبر سنة ١٨١٧ فى صاحية أوتوى القريبة من باريس !

وهنا رفع فيلفور رأسه عن الاوراق التى كان يكتب فيها ، وشحب وجهه لدى ذكر تاريخ الميلاد ومكانه ٠٠ بينما مسح المتهم شفثيه بمنديل فاحر ! وعاد فيلفور يسأله : « مهنك ؟ »

فأجاب : « فى البدايه كنت مريعا ، ثم صرت لصا ، وأخيرا أصبحت قاتلا ! »

وأحدثت هذه السخرية ضجة فى صفوف المحلفين والنظارة ، ونظرا لجمع  
الى المتهم الوقح باشمزاز ، بينما احمر وجه فيلفور وتامل فى مقعده كمن  
يبغى هواء يتنفسه ٠٠ فسأله المتهم وهو يتسهم : « هل تبحث عن شيء  
يا سيدى المحقق ؟ »

ولم يجب فيلفور ، فتابع الرئيس استجواب المتهم :

— والآن ، هل لك أن تذكر اسمك ؟

— لست أستطيع ذلك ، لانى لا أعرفه ٠٠ لكنى أعرف اسم أبى . وفى  
وسعى أن أذكره لكم !

وهنا تساقطت قطرات العرق من جبين فيلفور على الاوراق التى أمسكها  
بيده المتقلصة ٠٠ بينما استطرد المتهم فقال فى هدوء :

— ان أبى يشغل منصب قاضى تحقيق !

فتساءل الرئيس ذاهلا ، دون أن يلحظ الانزعاج البادى على فيلفور :  
« قاضى تحقيق ؟ ٠٠ تقول قاضى تحقيق ؟ »

— نعم . واذا أردتم معرفة اسمه فسأذكره لكم ٠٠ انه يدعى « فيلفور » !  
واذ ذاك انفجرت بين النظارة العاصفة التى حاولوا فى البداية فمعها  
توقيرا للمحكمة ٠٠ وشخصت العيون جميعا نحو فيلفور ، وكان كأنما  
حولته الصدمة الى حثة هامة ٠٠ بينما تابع المتهم اعترافه فى صوت قوى  
فقال :

— أيها السادة ٠٠ انى مدين لكم بالبراهين المنبئة لأقوالى . لقد ولدت  
فى المنزل رقم ٢٨ شارع « النافورة » فى حجره مبطنة بالحرير الاحمر ٠٠  
ثم أخذنى أبى بن ذراعيه . بعد أن ذكر لأبى أنى ولدت ميتا ، ولفنى فى  
منشفة عليها حرفا « هون » ثم حملنى الى الحديقة حيث دفننى حيا !

وسرت بين المحلفين قنصيريرة رهيبة ، بينما تابع الرئيس أسئلته :

— كيف وقفت على كل هذه التفصيلات ؟

— كان هناك شخص أخذ على نفسه أن ينتقم من أبى ، فكمن له فى الحديقة  
فى تلك الليلة ، حتى رآه يدفن صندوقا فى الارض ، فطعنه بسكينه ثم  
أخرج الصندوق الذى حسبه يحوى كنزا ، فلما وجدنى حيا أخذنى الى ملجأ  
اللفطاء فى باريس حيث بقيت به ثلاثة أشهر حتى أخرجتنى منه زوجة  
أخيه وعادت بى الى بيتها فى ( كورسيكا ) ٠٠ وهناك نشأت فى رعاية  
أولئك القوم الطيبين . لكن الوضع المقلوب الذى صاحب مولدى طغى على  
الفضائل التى حاولوا بنها فى قلبى ٠٠ فنموت فى الرذيلة حتى صرت  
مجرما . وذات يوم كنت ألعن الاقدار التى خلقتنى شريرا فقال لى منقذى :  
( لا تجدف على الاقدار أيها الفنى التعس . فالجريمة جريمة أبىك الذى نذكر  
للجحيم حين دفنك حيا كى نموت خاطئا . قبل أن يدركك غفران الله )

« ومنذ ذلك اليوم كففت عن التجديف على خالقى ، وصرت ألعن أبى ! »

ولهذا نطقت الآن بهذه الاقوال التى ملأت قلوبكم اشمئزازا ٠٠ فاذا كنت قد ارتكبت بذلك جريمة اضافية فعاقبوني، واذا شعرت معي بأني منذ يوم مولدى لاحقننى الاقدار بالأسى والمرارة والبؤس . فارثوا لحالي ! »

وسأله الرئيس : « وأمك ؟ ٠٠٩ »

فأجاب : « أمي بريئة ٠٠ فقد حسبتني ميتا ٠٠ لذلك لم أعبأ حتى بأن أعرف اسمها ، ولست أعرفه ! »

وعندئذ انطلقت من بين صفوف النظارة صرخة ناقبة صادرة من امرأة كانت تغطي وجهها بنقاب ٠٠ فلما أجهشت بالبكاء فى نوبات هستيرية سقط النقاب عن وجهها فعرّف الجميع فيها « مدام دانجلر » ٠٠ ولم يكذبصر فيلفور بقع عليها حتى هب من مقعده واقفا دون وعى منه ٠٠ وتابع الرئيس أسئلته للمتهم قائلا :

— الأدلة ٠٠ الأدلة ٠٠ تذكر يا هذا أن هذه الاقوال المروعة يجب أن تسند الى أدلة حاسمة !

فأجاب بنديتو ضاحكا : « تريدون الأدلة ٠٠٩ انظروا اذن الى وجه مسيو دى فيلفور ثم طالبوني بالأدلة ! »

واتجهت جميع الانظار الى قاضى التحقيق ، الذى عجز عن مواجهة آلاف العيون المسلطة عليه ٠٠ فنهض من مقعده وسار مترنحا مشعث الشعر وقد بدت على وجهه خدوش أطافره ، فانطلقت من الجميع غمغمة دهشة ٠٠ وخاطبه المتهم قائلا :

— أبى ! انهم يطالبوننى بالأدلة ، فهل تريدنى أن أقدمها ؟

وهنا قال فيلفور : « كلا ٠٠ لا فائدة من ذلك ! »

فصاح به الرئيس : « ماذا تعنى ؟ »

فقال : « أعنى أنني أشعر باستحالة مقاومة ليلى الجبارة المميّنة التى تسحقني ٠٠ اننى الآن بين يدي اله منتقم جبار ، ولستهم فى حاجة الى أدلة ، فان كل ما ذكره هذا الشاب صحيح ٠٠ وانى منذ هذه الساعة أضع نفسي تحت تصرف ممثل الاتهام الذى سيخلفنى ! »

ثم سار نحو الباب كمن يمشى نائما ومضى الى منزله حيث دخل غرفة زوجته ، وصاح بها : « هيلويز ! هيلويز ! »

ووجدوها واقفة فى وسط الغرفة شاحبة الوجه غائرة العينين ، فهتف بها : « هيلويز ، ماذا حدث ؟ »

فأجابت فى حشجة بدت كأنها تمزق حلقها .

— لقد تم لك ما أردت ٠٠ ماذا تبغى بعد ذلك ؟ !

ثم سقطت بكل ثقل جسمها على الأرض ٠٠ فهرع فيلفور نحوها وأمسك بيدها التى كانت متقلصة على قنينة صغيرة ثم هتف : « رياه ٠٠ لقد ماتت ! »

واندفع كالمجبول الى خارج العرفة وهو بصرخ . « ادوارد .. ادوارد ..  
أين أبى ؟ يجب ابعاده عن البيت حتى لا يرى ! »  
فأجابته الخدم : « السيد ادوارد فى عرفة والدنه .. لقد اسدعه منذ  
نصف ساعة ولم يخرج ناسه ! »

واسرع عائدا الى تلك العرفة فانطلقت من صدره صرخة مرعبة وهو يلوح  
جثة ابنه فى ركز قضى وعمغم : « ايها بد الله ! » ولم يستطع البقاء فى  
رفقة حنين ، وكانما أراد ان يجد شخصا يقص عليه أحزانه ويبكى الى  
حواره .. فمضى الى عرفة ابنه !

وهناك وجد بوارنسه يصغى بانبيهه الى الأب « بورونى » ، الذى كان  
هادئا باردا كعادته .. فقال له فيلفور : « هل أنت هنا يا سيدى ؟ ..  
أولا تظهر الا فى صحبة الموت ؟ »

فالتفت الأب بورونى اليه ، واذا رأى هيئة فيلفور أدرك أن الممسحة التى  
در امر اثارها فى المحكمة قد تمت طبفا لحظته المرسومة ، فأجاب : « لقد  
جئت لأصلى على جنمان ابنتك .. ولا أقول لك انك قد دفعت ديك بما فيه  
الكفاية ، واننى منذ هذه اللحظة سأصلى الى الله كي يغفر لك ، كما أغفر لك  
أنا أيضا ! »

فهتف فيلفور وهو يتراجع الى الخلف مفرعا : « يا للسما ! .. ليس  
هذا صوت الأب بورونى ! »

فابتسم هذا واوما موافقا ، ثم خلع عباءته وشعره المستعار ، وأسدل  
شعره الطبيعى على عنقه .. فصاح دى فيلفور مرتاعا : « الكونت دى مونت  
كريستو ! »

— انك لست مصيبا تماما يا سيدى القاضى .. ينبغى أن ترجع بذاكرتك  
الى الورا أكثر من ذلك لكى تعرف مواطنك القديم ادمون دانتيس

وجن جنون دى فيلفور ، وانطلق يعدو حتى بلغ الحديفة ، فأخذ يحفر  
الارض بفأس فى يده وهو يصيح :

— انه ليس هنا .. ليس هنا ! لكننى سوف أجده .. سوف أجده ولو  
ظلمت أحفر الى الأبد !

وكانما خشى الكونت أن تنطبق عليه جدران البيت المشؤوم فاندفع الى  
الشارع وهو يسائل نفسه لأول مرة عما اذا كان قد أصاب أم أخطأ فيما  
فعل ! .. « أوه ، كفى .. كفى .. فلأنقد الأخيرة ! »

وحين بلغ منزله وجد مكسملبان فى انتظاره ، فقال له وهو يبتسم :

أعد نفسك للسفر يا مكسملبان .. فسوف تغادر باريس غدا !

— أليس عندك ما تفعله هنا بعد الآن ؟

— كلا ! .. فإله يشهد أبى فعلت أكثر مما ينبغى !

وفى اليوم التالى رحلا . يرافقهما من الخدم « بابتستان » وحده . فقد

أخذت هايدى عليها معها ، وبقي « برتوشيو » مع نوارتييه ١



دخل البارون دانجلر بعربته مدينة « روما » من طريق بوابة « ديل بوبولو » . ثم اتجه بها الى اليسار حتى أمر الحوذي بالوقوف أمام باب « فندق أسبانيا » . وهناك دخل فتناول وجبة شهية وسأل عن عنوان بنك « تومسون وفرنسي »

وحين غادر الفندق بصحبه الدليل انسل من جمهرة المتسكعين عند الباب شخص تبع البارون ودليله بخفة رجال البوليس السري وبراعتهم . . . ولما دخلا البنك تبعهما الى الردهة الداخلة حيث كلف دانجلر أحد الكتيبة بإبلاغ المدير نبأ حضوره ، ثم أدخل الى حجرة المدير بعد قليل ، بينما جلس مراقبه على أحد المقاعد بالردهة أمام الكاتب الذي انصرف عنه نحو خمس دقائق . ثم رفع رأسه عن أوراقه ، واذا اطمأن الى أن أحدا لا يسمعه غير ذلك المراقب قال يحدثه : « أهذا أنت يا ببينو ؟ »

فرد عليه هذا هامسا : « لعلك وجدت في هذا السيد صيدا دسما ؟ »

فقال الكاتب : « كيف لا ، وقد جاء ليسحب خمسة ملايين من الفرنكات بإيصال من الكونت دي مونت كريستو ؟ »

وسأله المراقب : « كيف عرفت كل ذلك ؟ »

فأجاب : « لقد أخطرنا به من قبل ! »

ثم خرج دانجلر منهلل الوجه ، فودعه المدير حتى الباب . . . ثم تبعه « ببينو » بعد ذلك !

وفى الصباح استيقظ دانجلر متأخرا ، فتناول افطاره ثم أمر باعداد العربات للسفر . معتزما الرحيل الى البندقية ، حيث يتسلم جانبا من ثروته التي بقيت له ، ثم يتابع السفر الى فيينا ، حيث يتسلم بقيتها ويقيم هناك على أنه لم يكدهم يقطع بعربته ثلاثة فراسخ بعد روما حتى أوقفت عربته فجأة وفتح بابها ، وأطل منه أربعة من رجال العصابات المسلحين ، أمره أحدهم بالهبوط ، ثم عصبوا عينييه وقادوه الى مغارة في قلب الصخر ، حيث أدخلوه زنزانة خالية نظيفة تقع تحت سطح الأرض بعشرات الامتار ، وفي ركن منها فراش من القش مغطى بجلد الماعز . . ثم أغلقوا عليه الباب !

ومر يوم كامل ، ذاق فيه المليونير السجن آلام الجوع ، وتنبه أخيرا على حركة بقرب الباب ، فاذا « ببينو » يجلس خارج الزنزانة يعد طعاما شهيا وقد وضع الى جواره زجاجة من النبيذ وسلعة من العنب . . فسأل لعاب دانجلر ، وطرق الباب بخفة ، فأقبل عليه اللص يسأله : « هل فحامتك جائع ؟ »

فقال له : « عجباً ! كيف لا وأنا لم أتناول طعاماً منذ ٢٤ ساعة ؟ »  
نعم يا سيدي ، اني جائع ٠٠ جائع جداً !  
فسأله ببينو . « ماذا تحب من ألوان الطعام ٠٠ اننا هنا جميعاً رهن  
إشارة وفخامتك ! »

— أريد دجاجة ، وسمكا ٠٠٠ أى شئ ٠٠ المهم ان آكل !  
وعندئذ نهض اللص وصاح كما يفعل النذل فى المطاعم : « دجاجة محمرة  
لصاحب الفخامة ! »

ولم تمض لحظات حتى أقبل شهاب نصف عار يحمل على رأسه صينية  
بها الطبق المطلوب ، فوضعه اللص أمام السجين ٠ ولم يكده هذا يتناول  
السكين والشوكة ويهم بقطع الدجاجة حتى استوقفه « ببينو » قائلاً :  
— العادة هنا أن تدفع قبل الأكل ، فقد لا يعجبك الطعام !

وقال دانجلر لنفسه : « لقد سمعت أن الدجاج رخيص هنا فى إيطاليا ،  
حتى ان الدجاجة لا يزيد ثمنها على ١٢ سننيماً ، ولن أدعهم يخدعوننى ! »  
ثم أخرج من جيبه ليرة قذف بها الى اللص ، فتناولها هذا ولكنه استوقف  
السجين عن : « كل مرة أخرى قائلاً فى هدوء :  
— فخامتك مدين لى الآن بمبلغ ٤٩٩٩ ليرة !

ففتح المليونير فاه ذاهلاً ثم قال ساخراً : « كم أنت لطيف ! يا لها من  
دعابة ! ٠٠ لك ليرة أخرى ودعنى أكل ! »  
فأخذ اللص الليرة الجديدة فى عدم مبالاة وقال : « يبقى لى فى ذمتك الآن  
٤٩٩٨ ليرة ٠٠ سأحصل عليها فى الوقت المناسب »  
فقال دانجلر وقد ساءه أن الدعابة طالأت : « انك لن تحصل عليها على  
الإطلاق ٠ اذهب الى الشيطان انت ودجاجتك ما دمت لا تعرف مع من  
تتعامل ! »

وهنا أشار ببينو الى الشاب نصف العارى ، فرفع المائدة ورجع بها من  
حيث أتى ، بينما عاد اللص الى تناول طعامه خارج الباب !  
وارتمى دانجلر على جلد الماعز ، وانقضت ثلاثون دقيقة بدت له قرناً من  
الزمان ، فلما عجز عن تحمل آلام الجوع ، نهض واتجه الى الباب وهتف  
قائلاً : « تعال هنا يا سيدي ٠٠ لماذا تدعنى أموت جوعاً ؟ ٠٠ قل لى ماذا  
يطلبون منى ؟ »

فأجاب : « انك أنت يا سيدي الذى ينبغي أن تطلب ٠٠ مر ونحن ننفذ ! »  
— اذن افتح الباب فوراً ٠٠ اسمع يا هذا ٠٠ أريد شيئاً آكله ، أفهم ؟  
— أى لون من الطعام تفضله ؟

— قطعة من الحبز الجاف ، ما دام الدجاج يباع فى هذا المكان اللعين بسعر  
جنونى !

— خبز ؟ حسناً ! اذن تدفع أربعة آلاف وتسعمائة وثمانية وتسعين ليرة،

فقد دفعت فخامتك ليرتين مقدما ! ٠٠ ان كل ألوان الطعام هنا سواء فى الثمن ! وفخامتك تملك خمسة ملايين وخمسين ألف فرنك ، أى ثمن خمس دجاجات ونصف دجاجة ! ٠٠

وهنا ارتعد دانجلر ، اذ انكشفت الحقيقة لعينييه ، وأدرك مدى الخطر الذى يهدده ، فصاح باللص :

— انكم تريدون تجريدى من كل شئ ٠٠ الافضل من ذلك أن تنهشوا لحمى وعظامى ! أين هو كبيركم ؟ أريد أن أراه حالا !

وفى اللحظة التالية ظهر « لويجى فامبا » أمام البواب فسأله دانجلر :

« كم تطلب فدية لى ؟ »

— لا شئ غير الملايين الخمسة التى تحملها !

فازدرد دانجلر لعابه وقد شعر برعب لا مثيل له ، وقال : « ولكن ، هذا المبلغ هو كل ما بقى لى من ثروة ضخمة ، فاذا حرمتنى منه فالأولى أن تأخذ حياتى أولا ! »

— نحن ممنوعون من أن نريق دمك ! هنا رئيس أعلى منى !

واستمر تصميم دانجلر على عدم الدق على يمين ، عرض بعدهما مليون فرنك ثمنا لوجبة طعام ٠٠ فأرسلوا اليه عشاء فاخرا وأخذوا منه المليون ! ٠٠

ومنذ تلك اللحظة اعتزم السجين ألا يرض على نفسه بشئ ، وفى نهاية اليوم الثانى عشر تناول عشاءه الشهى ثم حسب حسبته ٠٠ فاذا المبلغ الباقى معه لا يجاوز الخمسين ألف فرنك !

وهنا حدث أمر غريب ، فان الرجل الذى فرط فى الخمسة ملايين لم يتحمل التفريط فى الخمسين ألفا ٠٠ بل اعتزم أن يحتفظ بها ولو مات جوعا !

وانقضت ثلاثة أيام على هذا المنوال ، وفى اليوم الرابع كان قد أصبح حطام انسان ، هيكلا باليا ٠٠ حتى لقد راح يقات من فتات الجير والحصير الذى يكسو بلاط الحجرة ! ٠٠ وأحيانا كان يهدى ٠٠ تم عرض على ببينو ألف فرنك ثمنا للقمعة واحدة من الخبز ، لكن اللص لم يجب !

وفى اليوم الخامس جر جسمه جرا الى الباب ، وركع على ركبتيه مناشدا اللص قائلا : « أأستم مسيحيين ؟ أتريدون قتل شخص هو فى نظر السماء أخ لكم ؟ » . وهنا سمع دانجلر صوتا عميقا رزينا يسأله : « هل شعرت بحاجتك الى التوبة والتكفير عن ذنبك ؟ »

فجعل الصوت شعر رأسه يقف ! ٠٠ وحاولت عيناه الضعيفتان أن تميزا الأشياء ، فرأى وراء اللص شخصا ملتفعا بعباءة ، تكاد تحجبه الظلال ، فسأله وهو يرتعد فرقا :

— اكفر عن أى ذنب ٠٠؟ ماذا تعنى يا سيدى ؟

— عن الشر الذى ارتكبته !

— انى أكفر عن كل شرورى يا سيدى لعل أنال الغفران !

— اذن فأنا أصفحك عنك !  
ثم خلع الرجل الغريب عباءته ، وتقدم نحو النور . فهتف دابجلر  
— الكونت دى مونت كريستو ؟ !  
فقال له : « انت مخطئ » ، اننى لست الكونت دى مونت كريستو ؟ »  
— اذن من أنت ؟  
— أنا الرجل الذى بعته وانتزعت منه خطيبته وسحقته ، كى تصل على  
جنمانه الى المجد والثراء ! .. أنا الرجل الذى قتلت أباه جوعا ، وعرضته  
هو للموت جوعا .. ومع ذلك فهو يغفر لك ، لأنه يطمح فى أن يغفر الله  
له ! .. أنا ادمون دانيس !  
وعندئذ أطلق دابجلر صرخة مروعة وخر على ركبتيه .. فصاح به  
الكونت : « انهض .. فحياتك فى أمان ، الأمر الذى لم يتح لشركائك ..  
فأحدهم جن . والثانى مات .. احتفظ بالخمسين ألف فرنك لك . انى  
أمنحك أباه .. أما الملايين الخمسة التى سرقتها من المستشفيات فقد ردتها  
اليها يد أمينة ! »  
ثم التفت الى فامبا قائلا : « حين يفرغ من طعامه .. أطلق سراحه ! »



كانت الساعة السادسة مساء ، حين انزلق اليخت الفاخر على صفحة  
البحيرة الكبرى المحتلة بين جبل طارق والدرنيل ، وبين تونس والبنديقية .  
حاملا على ظهره مكسملان موريل ، فى طريقه الى جزيرة الكونت دى مونت  
كريستو حيث واعد الكونت على اللقاء هناك  
وحين هبط الشاب وجد الكونت فى انتظاره ، وأخذه هذا الى كهوفه  
المفروشة بالدمقس والحرير وأفخر الطنافس والرياش ، ثم قال له :  
— اصغ الى يا صديقى .. أنت تعلم أنه ليس لى أهل ، وأننى قد اتخذتك  
بمنابة ابن لى ، وسوف أورثك المائة مليون فرنك التى أملكها .. فاستمتع  
بها . انها تفتح لك أبواب المجد والسعادة وكل شيء !  
فاجابه الشاب فى لهجة التصميم : « كلا . لن يعوضنى ذلك عن فقد  
ملاكى الجميل .. أريد أن أموت كى ألحق بفالنتين .. لقد وعدتنى بأن  
تمنحنى الموت . بطريقك السهلة المريحة .. فأنجز وعداك ! »  
واذ رأى الكونت تصميم الشاب ، سقاه جرعة من مادة كان يحتفظ بها  
فى زجاجة صغيرة محلاة بالاحجار الكريمة .. فبدأ مكسملان يفقد حواسه  
بالندريج ، حتى خيل اليه أنه يرى أبواب السماء تفتح لاستقباله ، وفالنتين  
تخبت للاقائه .. ثم غاب كل شيء عن ناظريه .. وركد بلا حراك !  
وبعد قليل أحس أنه يعيق ، فتأمل فى رقدته حتى استرد شيئا من



وعيه ، ثم هتف : « آه ، لقد خدعنى الكونت ! ما زلت على قيد الحياة ! »  
ومد يده ليختطف سكيناً كانت على منضدة قريبة ، كى ينهى بها حياته  
.. واذا ذاك سمع صوت فالتين يهتف به : « أفق يا حبيبي ، وأنظر الى ! »  
كان الكونت دى مونت كريستو قد سقى فالتين ليلة زارها فى مخدعها  
مخدراً يجعلها تبدو فى هيئة الميتة ، فلما دفنت وانصرف المشيعون أخرجها  
من نعشها الذى كان قد نرك به ثقبا يمر فيه الهواء ، ثم سقاها سائلاً  
أعادها الى وعيها .. ونقلها الى جزيرته كى يمهّد الطريق الى لقائهما مع  
حبيبها مكسمليان

وأثناء اغفاءة الشاب أدخلها الى حيث يرقد ، ولبث الاثنان يرقبان يقظة  
النائم . وقال الكونت يحدث الفتاة : « فالتين .. لا شئ سوف يفصلكما  
على الارض ، بعد أن دفع مكسمليان نفسه الى أحضان الموت كى يلقاك ! »  
يكفينى سعادة انى جمعت بينكما .. فليسعدكما الله ! »

وبعد لحظات أفاق الشاب من تأثير المخدر ، فلم يكده يصدق عينيه ..  
وركم جاثياً على ركبتيه أمام حبيبته التى ردت اليه !  
وفى الصباح التالى كان الحبيبان يتنزهان على شاطئ البحر ، حين اقترب  
منهما فبطان اليخت وسلم الى الشاب رسالة من الكونت دى مونت كريستو  
هذا نصها :

« عزيزى مكسمليان .. سوف يحملكما اليخت الى حيث ينتظر نوارتيه  
حفيدته الغالية ، كى يباركها قبل الزواج .. أما كهوفى التى فى الجزيرة ،  
وقصرى فى الشانزليزيه وقصرى الآخر فى « تريبور » فهى هدايا الزواج  
التي يهبها ادمون دانتييس لابن سيده القديم موريل ، ورجائى أن تشاركك  
زوجتك اياها .. أما نروتها التى ورثتها عن أبيها الذى جن ، وأخيها الذى  
مات بين أحضان أمه ، فانى أطعم فى أن تتنازل عنها للفقراء ! »

« وقل للملاك التى ستشاركك حياتك أن تصلى بين حين وآخر من أجل  
رجل حسب نفسه - كما فعل ابلتس من قبل - فى مرتبة الله ، لكنه يعترف  
الآن فى خشوع ومدلة أن الله وحده هو الذى يملك الإرادة العليا والحكمة  
اللانهاية .. فلعل هذه الصلوات تخفف من وخر الضمير الذى يشوب  
حياته ! » أما أنت يا موريل فالتى بهر فترفى معك : ليس فى الدنيا  
سعادة مطلقة و شقاء مطلق ، وانما هناك مقارنة بين حالة وأخرى .. ومن  
ذاق الألم والعذاب كان أقدر الناس على أن يحس السعادة القصوى .

وينبغي أن نعرف الموت كى نقدر متى والى الله .  
« فلتعش يا عزيزى ولتسعد .. مع فالتين .. واياك أن تنسى يوماً  
أن حكمة البشرية جمعاء تلخص فى هاتين الكلمتين : « انتظر ، وتدرع  
بالأمل ! »  
صديقك

ادمون دانتييس

أو

الكونت دى مونت كريستو





## القصص العالمية للحكيم

اسكندر ديماس

مارغريت ميتشل

جون شتاينبك

سومرست موم

مارسيل مودريت

جورج سيمنون

بيرل باك

سير والتر سكوت

شارل ديكنز

فيكتور هيغو

يوهان جوته

ارنست همنغواي

اجاثا كريستي

جيمس هيلتون

الفرسان الثلاثة "مزيكين"

الكونت دي مونت كريستو

زكوب مع الريح "مزيكين"

رجال ونساء .. زكوب

ليلة غرام

كنت بها سوما

غادة الكاماليا

جريمة في الربيع

الأرض الطيبة

عذارى المعبد

ايقانهر "أوالفارس الأسود"

رافيد كوبر فيلد

أندرب نورتر دام

الام قرنته

العبور والبحر

سوف تشرق الشمس

الكأس الأخيرة

عدالة السماء

القاتل الخفي

الرجل الفاضل

غادة طيبة

عذراء وثلاثة رجال

